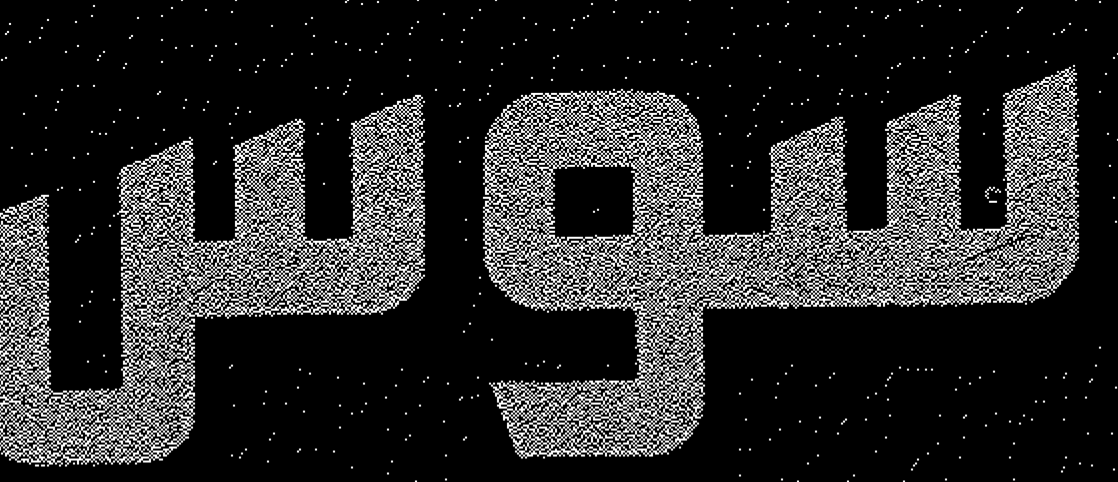
تيري وايت

كيفن هيويت

كاهن
ام... اسوس



تيري وايت

كاهن
ام جاسوس

تيري وايت

كاهن أم جاسوس

كيفن هيويت



بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع

تلفون وفاكس: ٨٣٤٢٦٥ - ٣١٧٤٢٥ - تلكس: MCS ٢٠٧٧٧ - ٢٢٥٩٧ بلدغ -

ص.ب: ٢٥/٢٨٦ غبيري - بيروت - لبنان.

تمهيد

كنت في واشنطن اقوم ببعض الجولات بعد ستة أشهر من إحتجاز تيري وايت . زرت وزارة الخارجية وبعض مؤسسات الابحاث حيث يعمل قدامى مسؤولي الإدارة. كما وزرت الشركات الاستشارية في بلتاواي التي يشتغل فيها قدامى مسؤولي وزارة الدفاع والاستخبارات الاميركيين معلوماتهم وصداقاتهم لتحقيق الأرباح ومن خلال أبواب النفوذ هذه بدأت ابحث عن معلومات حول ما حدث لمبعوث اسقف كانتربري .

وكنت أنوي اعداد فيلم لهيئة الإذاعة البريطانية BBC لكن الأخبار كانت تنذر بالشؤم ، إذ اختفى وايت في دهاليز بيروت السوداء. وفي عام ١٩٨٧ قطعت معظم الحكومات الغربية علاقاتها مع الشطر الغربي من العاصمة اللبنانية. وكانت نتف المعلومات التي ترد من هناك لا تتعدى الشائعات .

وكسابقتها اصطدمت الإدارة الاميركية الجديدة ، بمسألة الرهائن ففي الصيف الذي تلا احتجاز وايت ، انتقل الرهائن إلى ملف الانتظار فقد ماتت المبادرات وضربت عندما كُشف عن أن إدارة ريغان قد تبادلت الرهائن بالاسلحة. وكانت الحكمة المقبولة هي أن الرهائن قد دفعوا نصيبهم. وخيّم صمت طويل على المسؤولين الرسميين في واشنطن ولم يظهر أن احداً منهم يعرف ما إذا كان تيري وايت حياً أو ميتاً.

كنت اجري محادثة مثمرة مع مسؤول كبير في الإدارة فقال لي بنفور ظاهر « كانت معاملتنا لتيري وايت مخزية ». فسألته ببعض المفاجأة « لماذا ؟ » اجابني وهو يبتسم بحزن ودون تعمد « إذهب واسأل اوليفر نورث ».

كان نورث في بعض الاوقات الشاهد النجم في تحقيقات الكونغرس حول ما عرف بقضية إيران ـ كونترا. كان محاطاً بالمحامين في قاعة المحكمة بيد أنه كان من الصعب مقابلة هذا الرجل الذي يعرف أسرار تلك القضية المعيبة .

ولم أشأ أن أغادر واشنطن خالي الوفاض ، وخصوصاً بعدما التقيت مسؤولاً سابقاً في وزارة الخارجية ، فأعرب لي عن استعداده للكلام ، ذلك أنه كان ضحية من ضحايا قضية إيران ـ كونترا لذا اخذ عليّ عهداً بأن لا اذيع أو انشر أي شيء قبل اطلاق سراح تيري وايت ، إذ يمكن أن يسيء محتجزوه في بيروت فهم ما ينشر من معلومات. وهكذا تعهدت له ولجميع الأشخاص الذين اتصلت بهم ومن ضمنهم عناصر

مكتب وايت في لامبث بعدم افشاء أي شيء.

اخبرني ذلك المسؤول كيف استخدم اوليفر نورث وبعض مسؤولي الإدارة، تيري وايت دون علمه، مما عرّضه للاحتجاز بتهمة انه جاسوس للاميركيين وفيما بعد قلت عن قضية وايت انها «اخر قذيفة غير منفجرة في عهد ريغان». وقال احد المحامين في مكتب المدعي العام المختص الذي حقق في هذه القضية أنه لا يجد أي موضوع حساس اكثر من موضوع تيري وايت.

وهكذا ادركت أن دراما اخرى تحركها، شخصيات اخرى ومآسي مختلفة، كانت تكمن في الفضيحة السياسية الكبيرة التي حدثت في الولايات المتحدة في العقد الفائت. كانت هناك اسئلة سياسية بالتأكيد. من هو المسؤول الذي كان يعلم بالتعامل مع مبعوث كانتربري وسمح به؟ تبين لي أن ما حصل كان دراما انسانية اشترك فيها شخصان.

كان اوليفر نورث وتيري وايت مسيحيين كليهما. احدهما وُلِدَ من جديد، والاخر انغليكاني ورع. وقد جمعهما هدف مشترك. البحث عن الرجال البريئين المحتجزين في بيروت. أما أوليفر نورث، فقد كان يعتبر انه ينفذ مهمة كلفه بها قائده وكان متحمساً لها كأنه عنصر من مشاة البحرية. وقد اصبح لا مبالياً تجاه الاخرين مع أنه كان يحبهم ويحترمهم. لقد قال فيما بعد «ان العمليات السرية هي بجوهرها كذبةً. إن مأساة تيري وايت هي انه وقع ضحية خداع كبير هو التذرّع

بتحرير الرهائن».

وهذا لم يكن قصة بسيطة عن الخداع والخيانة فقد كان كل من الرجلين يحب الآخر ويحترمه. وبعد مرور اربع سنوات ونصف على احتجاز تيري وايت، قال لي اوليفر نورث أنه يتوقع أن يجدد صداقته مع تيري وايت عندما يطلق سراحه. قد يكون ذلك وهماً كبيراً. وإذ طرحت فكرة اعداد هذا الكتاب، قابلت ذلك بنفور. إذ أنه بدا لي ان القصة قد تركت للاعبين الاساسيين بيد أنه مع الوقت رحت اقتنع ان العلاقة المريبة بين كولونيل في البيت الأبيض ومبعوث لاسقف كانتر بري كانت اكثر من علاقة بارزة في الدراما السياسية الكبيرة. انها قصة تروي كيف تصبح الأمم والافراد ضحايا لهواجس كبيرة، ودون مراعاة للحذر والحيطة والعواقب المحتملة.

هذا وتوصلت للتعرف إلى معظم الذين عملوا مع تيري وايت، فاحترمتهم جميعاً، ذلك أنهم كانوا يعانون عندما كانوا يعلمون أنه يواجه محنة كبيرة لا يستطيعون وضع حد لها. وان تصميمهم على النضال لاطلاق سراحه، على الرغم من النصائح السياسية المخالفة ليستحق كل تقدير.

وهكذا وضعت الكتاب، وهو سرد أولي لقصة رجل عمل على اطلاق سراح الأخرين فاصبح رهينة.

ولا بد لتيري وايت الذي اصطلى بجحيم الاسر، أن يروي في وقت ما قصته بنفسه.

على زاوية باحة المطار

بينما كان ينتظر تفتيش حقائبه في مطار هيثـرو في لندن، تعـالت صيحات التشجيـع من الركـاب وتمنى له ضبـاط الأمن التـوفيق في مهمته. إلتقط السيـاح كاميـراتهم. لقد كـان تيري وايت مشهوراً لأنه حرّر الرهائن.

وصل إلى المطار برفقة حشد من الصحافيين. فبدا وكأنه لمبعـوث أسقف كانتـر بري مُـرافقين صحافيين. في المـاضي كـان المبعوثـون يتنقلون بين العواصم دون أن يـلاحظهم أحـد وكان إخفاءُ شخصياتهم عاملاً ضرورياً لنجاح مهماتهم. واليوم وفي عصر الإعلام، يواجه المبعوث المكلف بإجراء مفاوضات سـرية، أبـواق الصحافـة ومراسلي التلفـزيون ـ إنـهُ بطل وطني على وشك أنْ يبدأ بمساومة المتدينين المتعصبين والخاطفين.

كـان ذلك في ١٤ تشـرين الثاني/ نـوفمبر ١٩٨٥ وكـان تيري وايت على وشك القيام برحلته الأولى إلى بيروت المدينة

التي وصفها فيما بعد بأنّها أعطت للفوضى السياسية إسماً عاطلاً. في الماضي كان يعمل لإطلاق سراح الرهائن البريطانيين فقط، وها هو الآن ذاهبٌ إلى لبنان من أجل المحتجزين الاميركيين. لم يكن هؤلاء أكثر من حفنة من تعيسي الحظ. لقد أصبحوا مادة إختبار لسلوك إدارة ريغان الذي وعد لدى اعتلائه سُدَّة الرئاسة بأنَّهُ لن يكون هناك مكان يختبىء فيه الإرهابيون مما أثار سخرية بعض المتطرفين اللبنانيين إذ أصبح إطلاق الرهائن الموضوع الملح في فترة رئاسته.

كان وايت قد إستقل طائرةً تابعة لشركة طيران الشرق الأوسط عندما هبطت طائرة أخرى قادمة من واشنطن متأخرة، عن موعدها بضع ساعات. أسرع أوليفر نورث في ردهة المطار وانتقل إلى محطة الوصول الثالثة يرافقه مسؤول رسمي في وزارة الخارجية الأميركية.

تقدّم نورث طابور الركاب ليقدم جواز سفره.

ثم قال وهو يلهث: «أنا مسؤول في البيت الأبيض أريد أن أرى تيري وايت قبل أن يغادر إلى لبنان. وإنَّ طائرته على وشك أن تُقلع خلال دقائق. عرض نورث بطاقة تعريف من البيت الأبيض على موظف الهجرة الذي ذهل وتقبل بعد تردد روايته وسهّل أمره.

قال باركر بورغ وهو المسؤول المرافق لنورث: «لقد أقنعه «اولي» وجعله يشعر أنَّ هذه أهمُّ حادثة في العالم».

كان أوليفر نورث معاون مدير الشؤون السياسية والعسكرية في أركان البيت الأبيض وكان يقوم بوظيفة ضابط إرتباط مع عائلات الرهائن، ومع الوقت أخذ يمارس مهاماً عملانية ويبذل جهوداً لتحرير الرهائن المحتجزين في لبنان. لم تستطع بَزَّتَهُ الرسمية إخفاء حقيقته ولم يكن شعره أطول من شعر عنصر مشاة البحرية وكان وجهه ينمُّ عن الحذر وعيناه تظهران الحزمَ والتصميم.

هرع الرجلان إلى الممر الموصل إلى محطة الركاب الثانية التي تنطلق منها الرحلات إلى اوروبا والشرق الأوسط على متن طائرات تابعة لشركات غير بريطانية. فتوجه نورث على الفور إلى مركز شركة طيران الشرق الأوسط.

قال: «أريد أن أتحدَّث إلى تيري وايت وأنا أمثلٌ حكومة الولايات المتحدة».

أجابه الموظف المسؤول: لقد أنهت الطائرة تحميل الركاب وغادرت البوابة.

فطلب نورث بإلحاح مقابلة مدير المركز ولدى وصول هذا الأخير طلب منه نورث الإتصال بالطائرة للتحدث مع وايت: «من الضروري أن أتحدث معه لضمان نجاح مهمته» قال ذلك وهو يحدِّق مباشرة بعيني الرجل. لقد كان ذلك جزءاً من السحر في شخصية نورث الذي جعل الناس يُؤمنون به.

وصلت رسالة إلى وايت: أنَّ السيد نورث ينتظره على

البوابة فهل يريد التحدث إليه؟ وافق وايت في الحال وبعد إعلام رُبَّان الطائرة، نُقِلَ إلى زاوية الباحة حيث كان اوليفر نورث وباركر بورغ ينتظرانه بين شاحنات نقل الحقائب.

قال تيري وايت: «أوليفر إنهُ لجميل أن أراك»، كان الشخص الوحيد الذي يسمي نورث «اوليفر» لقد كانت الكلمة انكليزية بحتة وتوحي بالأرستقراطية.

أخرج نورث صورة فوتوغرافية من جيبه. كانت صورة لرجل ذي لحية ووجه ينمُّ عن الحزم والتصميم. طلب نورث من وايت أن يدرس هذه الصورة. قال نورث إنها صورة عماد مغنية وهو الرجل الذي تعتقد أجهزة الإستخبارات أنّه يقف وراء خطف الرهائن الأميركيين واحتجازهم. كان مغنية برأيه خطيراً وهو أهمّ إرهابي مطلوب في العالم. فإذا تمكّن وايت من الإجتماع به خلال رحلته، فإنه سيتعامل ولا شك مع الشخص الذي يستطيع إطلاق سراح الرهائن، بكلمةٍ منه. أقرَّ نورث أنَّهُ على الرغم من سمعة مغنية المخيفة فإنهم لا يعرفون عنه إلاّ القليل وإنَّ واشنطن مهتمة بأيِّ شيء يتمكن وايت من معرفته. حَدَّق المبعوث الأنغليكاني مرة أخرى بالصورة. لقد كان ذلك وجهاً لمئات المقاتلين المسلمين في بيروت.

كما تحدّث نورث عن مجموعة من السجناء المحتجزين في الكويت والذين طالب محتجزو الرهائن في بيروت بإطلاق سراحهم مقابل تحرير المحتجزين الأميركيين. لقد إتُّهِمَ أولئك بزرع قنابل في مدينة الكويت. وقال إنَّ موقف الولايات

المتحدة من ذلك ثابت فقد كانت تعارض تقديم أيَّ تنازل للإرهابيين ولم تكن مستعدة للضغط على الكويت. لكن نورث أدرك أنَّهُ سيكون من المفيد لوايت في مفاوضاته مع محتجزي الرهائن، إذا وعدهم أنَّه سيتعامل مع مسألة السجناء في الكويت بطريقة إنسانية.

تحدَّثَ الرجال الثلاثة لمدة عشرين دقيقة تقريباً تبادلوا بعدها التحيات وقال نورث: «باركك الله يا تيري».

كانت مقابلة مثيرة. حجز بعدها نورث وبورغ في أوَّل رحلة إلى واشنطن ثم غادرا بعد الإجتماع القصير الذي عقداه في زاوية باحة المطار. تجدر الإشارة إلى أن مفكرة نورث تشير إلى أنَّه كان قد تحادث على الهاتف مع تيري وايت قبل أربعة أيام من اللقاء. ولم يكن الموقف الأميركي حول السجناء في الكويت جديداً. وبالتالي لم يكن هناك حاجة للإسراع إلى لندن في الدقيقة الأخيرة.

أقرَّ باركر بورغ الذي كان يرافق نورث أنَّ «تلك لم تكن الطريقة المناسبة لأنجاز ذلك العمل». كان بورغ مساعد مدير مكتب مكافحة الإرهاب في وزارة الخارجية. وكانت له مصلحة مباشرة في قضية الرهائن أما بالنسبة لإجتماع باحة المطار فقد هزَّ بكتفيه وابتسم.

كانت هذه المقابلة علامةً بارزةً في الدراما التي كان يحبُّ نورث أنْ يؤلفها فغالباً ما كان يسافر في الليل ويلتقي مع

رجل الإتصال ثم يعود إلى مكتبه في واشنطن في اليوم التالي دون أنْ يعرف زملاؤه عن رحلاته. كان يعيش في عالم من الخداع وصفه أحد المعنيين بمسألة الرهائن: «اجتماعات سرية وتحضيرات غريبة مثل شخصيات مسرحية كازابلانكا». كان خيط رفيع يفصل بين الحقيقة والخيال. قال يوجين دوغلاس وهو مبعوث فوق العادة للرئيس ريغان في مسألة اللاجئين وقد كان صديقاً لنورث ولوايت أيضاً : «كان لنورث حِس مسرحيٍّ كان يعرف عن العديد من اجتماعاته ومنها لقاء زاوية باحة المطار. قال: «إنَّ هذا عمل كوميدي هزلي حيث يشرف الأبله على قمع الإضطرابات».

ومع ذلك ، كان نورث رجل التناقضات . ربما كانت رحلة لندن مُتَهوّرةً وغير ضرورية ولكنها أغوت تيري وايت وجعلته يتباهى بأنَّ مسؤولاً في البيت الأبيض قد قطع هذه المسافة من أجله . وقد تحوّل المبعوث الانغليكاني دون أنْ يشعر أوْ يدرك إلى شبكة عمل غير رسمية كان نورث قد بدأ بإعدادها . وهي شبكة لا تسيطر عليها الحكومة الأميركية . وبعد عرض صورة مغنية على وايت ، طُلِبَ منه أيضاً بأنْ يمرر أيّة معلومة يحصل عليها في رحلته ـ وهذه خطوة خطيرة لهذا المبعوث .

في الماضي كانت مهمات تيري وايت مستقيمة نسبياً . والآن ها هو يعمل في أجواءٍ غامضة حيث نجد الخط الفاصل بين العمل لإطلاق الرهائن الأميركيين والعمل لصالح الحكومة

الأميركية ، غير واضح . لقد جذبت معرفته بالمجموعات اللبنانية مسؤولي الإستخبارات . وكان كمبعوث للكنيسة يحتمي بإستقلاليته . كان عليه التحدث إلى الحكومات ولكنه لم يتحمل مسؤولية العمل لصالحها . إنَّ المحافظة على هذه المسافة ضرورية من أجْلِ حياته وسمعة الكنيسة الانغليكانية . ولقد أصبح معروفاً أحياناً بحيث أنَّ مهمته صارت ترتبط بسمعة الكنيسة .

كان على وايت أن يعمل مع نورث عن قرب وذلك لمدة ثمانية عشر شهراً وهو متأكد من أنَّهُ يتعامل مع مسؤول رسمي في البيت الأبيض . لقد إلتقيا حوالي عشرين مرة . واستناداً إلى أحد زملاء وايت المقرّبين فقد أجريا أكثر من ثلاثين إتصالاً هاتفياً . ذلك أن العلاقة بينهما لم تكن مجرد علاقة عمل بين مسؤولين من مؤسستين ، الحكومة والكنيسة . لقد رأى كل منهما في الآخر إنعكاساً لنفسه . وقد استُدرِج كلاهما للمخاطرة وللعب أدوارٍ بطولية . وقد أصبحا ، وبطريقتين مختلفتين منهمكين بهذا التحدي فبالنسبة لنورث انها مسألة إفتخار ومكابرة على الطريقة الأميركية . فلقد نزع الخاطفون قفازاتهم . أما بالنسبة لوايت فكانت مسألة ثقة ، لقد كانت عائلات الرهائن تضع فيه كل أملها .

أصبح وايت أسير نورث وإطلاعه على أداوت السلطة الخفية . وقد لاحظ أصدقاؤه هذا الإهتمام . لاحظ السفير يوجين دوغلاس أنَّ « تيري وايت قد ذُهِل كثيراً بفنون العمل

الحكومي » وأضاف :

« إنَّ هنـاك عالمـاً كامـلاً تحت تصرفهم ، بكـل طاقـاته ومـوارده . يمكن لهؤلاء النـاس أنْ يلتقـطوا جهـاز الهــاتف أو يضغـطوا على زر ويمكن أنْ تَحْـدثَ أمـورٌ خـارجَ مــدى نـظر المواطنين العاديين . . . هنـا كان تيـري وايت العادي مبعـوث الكنيسـة يُعِدُّ العـدة لمساعـدة الرهـائن دون أيّ معرفـة مسبقـة ووجد نفسه مرتبطاً بالحكومـة الأميركيـة التي وثقت به وأطلعتـه على المكـان الذي تعتقـد أنّ الرهـائن محتجزين فيـه وعلى ما يجري هناك ! لقد أذهله ذلك كثيراً » .

ما كان وايت لا يعلمـه تمامـاً ، في تلك الإجتماعـات ، هو أنَّ مسألة الرهائن قد أدَّت إلى نشوء وضع أخلاقي بحد ذاته حيث تتعـرض الأصول الأخـلاقية للفســاد الناتـج عن الضرورة السيـاسيـة لإطـلاق سـراحهم . كـان نـورث ينتمي إلى عـالم مـانوي(*) يقسم الأمـور إلى خير وشـر . وكان الخـاطفـون في بيروت قوى مظلمة وغير متحضِّرة يجب القضاءُ عليها . من هنا يمكن تبـرير أيَّ عمـل يؤدي إلى تدميـرهم وتحريـر الرهـائن . وكما قال نورث : « لقد عـرضت على الإيرانيين رحلة مجـانية إلى ديزني لاند إذا إستطعنا إعادة الأميركيين إلى بلادهم » .

وبالرغم من وجود مظهر جانبي للعلاقة بين نورث ووايت

(*) مذهـب أسسه ماني الفارسي في القرن الثالث الميـلادي يدعـو إلى الإيمان بعقيدة ثنوية قوامها الصراع بين النور والظلام (المترجم) .

يتعلق فيما أصبح معروفاً بقضية إيران ـ كونترا . فقد كانت هذه العلاقة دليلاً على فشل الغرب في إقامة إستراتيجية متجانسة للتعامل مع مسألة الرهائن . لقد أفسِدَت القيم وتلطخت المثل واخْتُرِقَت القوانين واستُغِلَّ الناس .

فقام تيري وايت بجولات مكوكية بين الرهائن في بيروت واوليفر نورث معتقداً أنَّ وضعه كمبعوث للكنيسة يمكن أنْ يمنحه بعض المناعة . لكن ذلك لم ينفع ، فكانت المأساة ذلك أنَّهُ عندما عرف كيف إستُخِدمَ ، كان قد تأخَّر كثيراً . لقد تشوّهت سمعته . وكانت الطريقة الوحيدة التي يراها لخلاص اسمه وسمعته هي العودة إلى بيروت ، رحلة سوف تنتهي باحتجازه كرهينة !

المارد اللطيف

ينتمي تيري وايت إلى تلك الفئة من المبعوثين والوسطاء الذين يكونـون جاهـزين دائماً لجميـع القضايـا الدوليـة . كان معروفاً في بريطانيا لأنّه أخرج السجناء من الأنظمة الثـورية في إيران وليبيا . لقد أخِذَ البريطانيون به فقد كان بـطلهم . رجل من الكنيسـة وهاوٍ ينـاضل ضـد الدكتـاتوريـات والمتـطرفين . وغالباً ما كان يبدو غير منتظم وكأنه قام بدوره في آخر لحـظة . كان طويل القامة إلى حد غير مريح بحيث يبلغ طوله ستة أقدام وثمـانية إنشـات . كانت لحيتـه مهملة . وكـان يحمـل حقيبـة قديمة من الطراز الذي يحمله معلمو المدارس الكبار السن .

كان وايت موضع إلتباس فيما إذا كان رجل دين أو مرافق أسقف كانتربري . لقد كان في الحقيقة سكرتير شؤون الـطائفة الانغليكـانيـة ويتقـاضى راتبـاً مقـداره ستـة عشـرة ألف جنيـه استـرليني في السنة . وعنـدما أُنشيء هـذا المركـز عام ١٩٨٠

خصيصاً له لم يدرك أحدٌ ما ستكون واجباته . ولم يكن دور المبعوث ظاهراً ، إذ ليس للكنيسة الانغليكانية في الحقيقة أيٌّ سابقة في التدخل في الشؤون الدولية التي لا تتعلق بأمور الكنيسة . أصبح تيري وايت رجل الأسقف الأبرز يقوم بزيارات إلى ما وراء البحار ويجول على مراكز الطائفة الانغليكانية .

كان قد مضى على وجوده في وظيفته ثلاث سنوات عندما احتُجِزَ ثلاثةُ مبشرين بريطانيين في إيران بتهمة التجسس . وكانت البلاد في قمة الإضطرابات الثورية ، ودولة آية الله الخميني الإسلامية في بداية نشوئها ، يتنابها هاجس تطهير البلاد من ربقة الماضي . لقد طُرِد مؤيدو الشاه من منازلهم الفخمة في شمال طهران . وفي الليل كان مسلحون يرتدون سترات مموهة يفتشون السيَّارات بحثاً عن أعداء الثورة . وقد تمَّ الإستيلاء على السفارة الأميركية التي سُمِّيت بـ « عش الجواسيس » . ثم احتجز موظفوها كرهائن . وقد أقنعت الوثائق التي عُثِرَ عليها في المبنى ، المسلحين بأنَّ الولايات المتحدة كانت تتآمر ضد نظام الخميني .

أعتُقِل المبشرون البريطانيون في خضم جنون العظمة الثورية . أوثقت المبشرة « جين واديل » وغُطِّيت بغطاء صوفي ثُمَّ أُطلقت النار عليها من قبل رجلين كانا قد اقتحما شقتها . وبعد ذلك خضعت لعملية جراحية ولكن قبل أنْ تتمكن من مغادرة البلاد ، إتهمها أحد رجال الدين بالتجسس ثُمَّ أُخِذت

إلى سجن إيفن المشهور الذي كانت الشرطة السرية في عهد الشاه تستخدمه للتعذيب والذي سرعان ما عادت إليه الشبهة نفسها في عهد آية الله .

أدرك أسقف كانتربري أنَّ مبادرات وزارة الخارجية البريطانية لن تؤدي إلى أيَّة نتيجة . فإذا كانت الولايات المتحدة هي الشيطان الأكبر فان بريطانيا في نظر الإيرانيين هي بذرة الشيطان . لذا اختار الأسقف الدكتور رونسي ليناشد آية الله الخميني مباشرة ويخاطبه كزعيم ديني زميل . فكتب : « إنّي أُحييك بإسم الإلٰه الواحد » وطلب من الزعيم الإيراني أنْ يلتقي مبعوثه تيري وايت .

وصل تيري وايت إلى طهران في كانون الأول ديسمبر ١٩٨٠ . واستقبله رجال الحرس الثوري كزعيم ديني . وقد بدا بثوبه الأسود الفضفاض وصليبه المعلق ولحيته الكثة كأنَّه رجل دين من كنيسة الروم الأورثوذوكس وليس كعلماني من الكنيسة الانغليكانية . لقد حلَّت التقاليد المسيحية مكان الدبلوماسية العلمانية . وأقفل الملالي في إيران آذانهم في وجه حكومات الغرب وتعاملوا فقط مع المؤمنين من أهل الكتاب . وهكذا تشجع المتوسلون إلى الدولة الإسلامية على إظهار إيمانهم كما يظهره الملالي . فكشف تيري وايت عن نزعة إلى الدرامية وقد تأثر المستمعون الإيرانيون من أقواله .

كان وايت يهدف في رغبته في لقاء الخميني بأنْ يظهر

للسلطات الإيـرانية أنّـه يُمثل الكنيسـة المسيحية وأنّـهُ منفصـل تماماً عن الحكومة البريطانية وبعد وصوله بوقت قصير إستدعى من تبقى من الانغليكـانيين في إيـران ، حـامـلاً معـه تحيـات الأسقف ، مقترحاً عليهم إقامة قداس .

توجه وايت إلى كنيسة سان بول في طهران وكان ما يـزال يرتدي الثـوب الأسود ويحمـل صليباً كبيـراً . وعندمـا بدأ يعظ فُتِحَ الباب الخلفي للكنيسة فجأة ودخل منه خمسـة من حراس الثورة يحملون أسلحة أوتـوماتيكيـة . توقف عن الـوعظ ومشى باتجاههم وحيَّاهم . ثمَّ أخبرهم أنَّهُ مسرور لقدومهم وأجلسهم في الصف الأمامي . كان أحدهم يحمل آلة تسجيل . فتحـول الإحتفال إلى محاضرة . وقد فاجأ وايت الحشد بأنْ قـرّر إعادة القداس من أوَّله . وقـد تمكن وايت من خلال تـوصيات هؤلاء الحراس ، من زيارة المبشـرين في السجن وإقامـة إتصال مـع المسؤولين في القيـادة الإيـرانيـة المعنيين بمصيـر السجنـاء البريطانيين .

كـان المبشرون قـد تكيفوا مـع الوضـع . فلقـد ذكَّـرت الحياة في سجن ايفن ، جين واديل بالمدرسة الداخلية . وكان السجينان البريطانيان الآخران الدكتـور جون وأودوري كـولمان وهما مبشران يتعاطيان الأمور الطبية قد عملا في إيران لأكثر من عشـرين سنة . وقـد إحتفلا داخـل السجن بالـذكـرى الـرابعـة والثـلاثين لزواجهمـا . وقد قـال الدكتـور كولمـان : تمكّنا من الحصـول على كعكة ، ومن دعـوة بعض حرّاس الثـورة . انـا

نـظرنا إلى هؤلاء الجنـود على أنّهم أبناؤنـا . وقد دأبت زوجتي على رتق ثيابهم وقد دَمَعتْ عيـون العديـد منهم عندمـا غادرنـا السجن » .

خـــلال بضعـة أشهــر أُطلق سـراح المبشــرين . ولقـد شجعت زيـارة تيري وايت القيـادة الإيـرانيـة على إعـادة النـظر بقضيتهم والتحقق سخف التهم المـوجهة إليهم . لقـد تأثـرت وزارة الخارجية البريطانية بوساطة وايت . فقالِ أحد المسؤولين إنَّ الوساطة تعبِّر عن « الدهاء والصداقة » . هذا وقد كان وايت خلال مفاوضاته صبوراً مباشراً ومتفهماً لشكـاوى الفريق الآخـر بحيث قـال : إنَّ عدداً قليـلاً من الناس يلجـأ إلى الشـر فهنـاك دائمـاً جانب معقـول وجيـد في مكـان مـا ، عليـك ان تحـاول العثور والبناء حوله» .

كـان وايت وفياً منفتحـاً وإجتماعيـاً ـ كان ذلـك الـطفـل المغـامر الـذي قلما يتخفى . لقـد تحـدّى حُـرّاس الثـورة إلى مبـاراة في شهـر السـلاح ، وفي ذلـك يقـول بعـدئــذ : «نـظر الحراس إليَّ وكأنهم يقولون إنَّك زميل كبير . وهكذا إقتـرحت عليهم مباراة في شهر الأسلحـة . لقد قبـل إثنان أو ثـلاثةُ منهم التحـدي لكن لم يـربـح أيٌّ منهم » . لقـد أعجبت الصحـافـة البريطانية بالمـوضوع وكتبت عن المـارد اللطيف الذي يـروّضُ حراس الثورة .

لم يكن إطـلاق سراح المحتجـزين سريعـاً ومباشـراً كما ذُكِـر . فقد كـانت الحكومـة البريـطانية تجـري محادثـات مـع

القيادة الإيرانية من خلال السيد ليف ليفلاند وهو دبلوماسي سويدي بارز . وجرى الإتفاق على « تسليم جُثّة إرهابي إيراني قُتِلَ بإنفجار قنبلة في فندق كوينز غاردن في لندن في أيار/ مايو الماضي وإعادتها إلى إيران . كان السيد ليفلاند قادراً على أنْ يتعهد للإيرانيين أنّه إذا أُزيل حاجز المبشرين الثلاثة فإنَّ بريطانيا سوف تسمح ببيع قطع التبديل لدبابات تشيفيتين ولقد مكّنت مهمة تيري وايت الحكومتين من حلٍّ مشكلة مربكة دون أن تظهرا بأنّهما توصلتا إلى تسوية .

لقد أدّى تحرير المبشرين إلى تحوّل تيري وايت إلى شخصية معتبرة في بريطانيا . لأنه كان يستوفي كل الشروط . شخص عادي ، غير معروف سَحَرَ الثوار الإسلاميين بشعوره ومرحه . فوجدت وسائل الإعلام في نطاق بحثها عن الأبطال ، مرشحاً غنياً بالفضائل والمثل البريطانية بحيث كان المديح مسرفاً وزائداً عن حدّه وخطيراً حتى انه مُنح جائزة MBE وذلك في إحتفال في قصر باكنغهام حيث كان يمشي على العكازات بعدما أُصيب بجراحٍ من جرّاء حادثٍ تعرَّض له بينما كان يقود درّاجة هوائية .

وبعدما كان مساعداً مغموراً لأسقف كانتربري ، سرعان ما وجد تيري وايت نفسه تحت محور الطلب ، إذ سَعَتْ المنظمات الخيرية إلى طلب رعايته وطلبت الكنائس منه أنْ يملأ مقاعدها . وطلبت الصحفُ القصص والنوادر وكل شيء يظهر إسمُه عليه . جاء في إحدى المقالات أنَّهُ كان يستطيع أنْ

يـرى ما سيحـدث في المستقبل . فقـد حَلِمَ أنّه شـاهد أسقف أوغندا حناني لووم وهو محاطٌ باللهب . بعد ذلك شعر بإنزعاج وبأنَّ شيئاً مـا قد حـدث للووم . فيما بعـد عَلِمَ أنَّ الأسقف قد قتـل . وفي مناسبـة أخرى وبينمـا كان يقـود السيارة وبصحبتـه زوجتـه لاحت له رؤيـة حادث سيـر . وصف ذلـك لـزوجتـه . وبعدما إنعطف عن الطريق وجد حادث اصـطدام مطابق تمـاماً لمـا وصفـه . قـال : « لا أعلم لمـاذا علي أَنْ أتعـرّض لهـذه التجارب . إنَّه شعور غريب » .

بعد ثلاث سنـوات ، وفي عام ١٩٨٤ تـوتّرت العـلاقات بين بريطانيـا وليبيا عنـدما فتـح أحدُ المسلحين النـار من داخل المكتب الشعبي الليبي في لندن على تظاهـرة معاديـة للقذافي وقُتِلت الشـرطيـة الشـابـة إيفـون فلتشـر . تخـوف الجمهـور البريطاني وحاصرت الشرطة البناية . لكن الحكومة البريطانيـة قيّدت إجراءاتها لعلمها أنَّ ثمـانية آلاف بـريطاني يعيشـون في ليبيـا هُمْ رهائن عنـد اللزوم . أخيراً تمَّ طـرد الليبيين من البلاد وقطعت بريطانيا علاقاتها الدبلومـاسية مـع ليبيا . إنتقمت ليبيـا واحتجزت أربعة بريطانيين واتهمتهم بالتجسس .

بعد ثلاثـة أشهر قـرّر أسقف كانتـربري تـولي قضيتهم . لكن بعد موت الشرطية البـريطانيـة أضحى من المستحيل على الحكومة البريطانية أنْ تتحدث مع الليبيين لكن الكنيسة كـانت قادرةً على بحث مسائل إنسانية مثل راحة السجناء . فزار وايت ليبيا ثلاث مرات في النصف الثاني من عـام ١٩٨٤ وفي بدايـة

عام ١٩٨٥ .

لقد كانت مهمةً مُحبطة وتتطلب الصبر والمهـارة والمرح وقـد سألـه ذات مرة عنـدما وصـل إلى طرابلس ، نـائب وزيـر الخارجية عما إذا كانت رحلته على متن الخطوط الجوية الليبية مريحة أم لا فأبدى وايت مـلاحظة هي أنَّـهُ من الصعب عليه أنْ يلائم بين قامته الطويلة ومقعد صغير . فـأجابـه الوزيـر : « إنَّ مجتمعنا الشعبي يحاول أنْ يساوي بين الجميع لذلك لا يـوجد على طائراتنا مقاعد من الدرجة الأولى » .

إبتسم وايت وقـال : « ربما تكـون هـذه نيّـة الإنسـان ، لكنها بالتأكيد ليست من تخطيط الله » .

ثُمَّ قـال المسؤول بسـرعـة : « آه ، لكن ألم تـلاحظ أنَّ الطائرة هي أميركية التصميم » وهكذا ضحك الرجلان وانكسـر الجليد .

في عيد الميلاد إستقبل القذافي وايت في خيمة بدوية . حيّاهُ المبعوث الانغليكاني ببضع كلمات عربية كان قـد تعلمها بسرعة في لنـدن قال القـذافي في إشارة ، إلى عيـد الميلاد أنَّ يسوع الناصري هو أحدُ ثلاثة أنبياء عظماء في الإسلام .

لم يشـأ وايت أنْ يجادل . وقـال : إنَّ عيـد الميـلاد هـو مناسبة هامة عنـد المسيحيين . إنَّهُ ليس إحتفـالاً بالمحبـة فقط بل بالعدالة أيضاً .

إبتسم الـزعيم الليبي ولم ينسَ ذِكْـرَ بعض البـريـطانيين

المحتجزين منذ ثلاثة أشهر دون محاكمة .

عندها قدّم له وايت ما يسمى بـ « هدية الميلاد » . كانت الهدية كتاباً عن أرسطو والعرب . قال وايت للزعيم الليبي : « إنَّهُ يتحدث عن تأثير الفكر الاغريقي على العرب في القرنين السابع والثامن » شعر القذافي بلذة المديح وبدأ يتحدث مطولاً عن العلاقات الإسلامية المسيحية في أفريقيا . وكان وايت قد تعلَّم كيف يصغي إلى قادة العالم الثالث ونظرتهم التاريخية . فشعر القذافي بالرضى عن هذا الموضوع وأحنى وايت رأسه .

وقد وردت خلال الإجتماع ، ملاحظة إلى الزعيم الليبي تقول أنَّ البريد الليبي يوصل الرسائل إلى أصحابها في فترة حوالي ستة أشهر !

قال وايت : « أرى أنَّ عندكم خدمة بريد فعّالة » .

ضحك الزعيم الليبي الذي كان يجد لذة في هذه اللقاءات العامة مع الوفود الغربية التي تزوره لطلب ما ويعلق على أحاديثهم بأسئلة متواضعة .

بعد ذلك تمكَّن وايت من إعلان نجاحه : « قال العقيد القذافي أنَّهُ يبدي إحترامه للكنيسة ولمهمتي ، ولو كانت السلطة بيده لأطلق سراح البريطانيين الأربعة فوراً » .

الزعيم الليبي ترك القرار النهائي لمؤتمر الشعب الذي

إجتمع في ٨ كانون الثاني / يناير ١٩٨٥ في حلقةٍ كبيرة وطلب من تيري وايت أَنْ يلقي كلمةً أمامه .

تأثَّر المؤتمر وأمر بإطلاق سراح البريطانيين الأربعة وفقاً لبعض الشروط : فعلى الكنيسة الانغليكانية أَنْ تعمل لإطلاق سراح الليبيين المعتقلين في السجون البريطانية . ويجب أَنْ تسلم بريطانيا « الكلاب الضالة » المعادية للقذافي إلى السلطات الليبية . وعلى بريطانيا ان توقف النشاطات الدعائية ضد ليبيا وعلى الكنيسة أنْ تساعد الليبيين الذين ادعوا أنَّهم عوملوا بقساوة من قبل السلطات الليبية .

تجنَّبَ تيري وايت إعطاء أي تعهد لليبيين ومع ذلك فقد زار في الأشهر التالية عدداً من الليبيين المعتقلين في السجون البريطانية واعتقد المسؤولون في وزارة الخارجية الأميركية أنَّ الحكومة البريطانية قد أشارت إلى القذافي بشكل شخصي بأنَّها ستنظر في بعض الشكاوى الليبية .

كان ذلك إنتصاراً بالنسبة لوايت . فامتدحته رئيسة الوزراء لمهارته وصبره « وأسرفت المقالات الصحافية في ثنائها . إذ قالت إحدى الصحف : « كيف قام بذلك ؟ إنَّ شخصيته عامل مهم . وبورك الانغليكاني المتواضع تيري وايت لحضوره المؤثر » . وقالت صحيفة أخرى : « إنَّهُ يكتسب شهرة وذلك بتولي مهمات مستحيلة ينجح في تنفيذها » . وأضافت صحيفةٌ أخرى أيضاً : « لقد جعل نفسه أحد أكثر المسيحيين شعبية في هذا الوقت . وهو رجل يبدو أنَّ

له تأثيراً واضحاً في السلام على الأرض والمعاملة الحسنة بين الناس » . وتتابعت الجوائز . رجل العام وجائزة تمبلتون للأعمال الإنسانية وعددٌ آخر من درجات الشرف وألقابه .

لقد فاق هذا العرفان بالجميل كُلَّ التوقعات : فلقد نَشَأَ تيري وايت في قرية ستيال في مقاطعة شيشاير . كانت قرية إنكليزية قديمة مثالية :

كنيسة حيث كان تيري يحضر بعض الدروس في الطابق العلوي . كان والده شرطي القرية وكانت العائلة تعيش في منزل للشرطة . كانت والدته تعلّمُ في مدرسته نهار الأحد . لقد كان يعيش في عالم مغلق ويشعُّ بالحنان . كان للقرية حدود ممتدة مع الريف . وكان تيري وهو في سن الرابعة ينتظر أمام بوابة الحديقة فيذهب مع رجل مسن لحضور القداس الصباحي . ذات يوم ذهب وحده دون علم عائلته التي كانت تثق بنفسها ولا تنحاز إلى أيٍّ من المدن .

ترك تيري وايت المدرسة في أواخر الخمسينات وكان في السادسة عشرة ، عندما تطوَّع في « حرس القنابل » وهي التشكيل الأوَّل من « المشاة المحلية » . فساعدته قامة الطويل لأن يصبح الحارس المثالي . بعد ذلك دخل المستشفى مصاباً بمرض غامض ثم خرج من المستشفى بشكل متهوّر فحار الأطباء بأمره . وعندما استقرت حالته عاد إلى وحدته . فتبين أخيراً أنَّه مصاب بحساسية من الصباغ الموجود في قماش اللباس الكاكي . وهكذا أنهى وايت خدمته العسكرية .

أُبقي في المستشفى لإجـراء فحوصـات أخـرى . فـزاره هنــاك ضبـاط من جيش الكنيســة وهي منـظمــة تشبـه جيش الخــلاص . أُعجب وايت بــإلتــزامهم وسجَّــل إسمــه في مـدرستهم . فـأسهم جيش الكنيسـة بـرتبِـهِ وزيِّـه الخـاص في تحقيق الخيبـة التي أصيب بها من جـرَّاء تـرك الجيش . وكـان التـدريب منظمـاً وقاسيـاً يركّـز على التبشير . وهـذا مـا لاءمـه كثيراً . وخلال الصيف كان على المتطوعين أنْ يسحبـوا عربـةً من عجلتين قُـرب المنتجعات البحـرية ويسـاعدوا الأبـرشيـات المحليــة ويعقـدوا إجتمــاعـات على الشــاطىء . وكـان بين المقاعد منبر للوعظ و « اكورديون » يعلو صوته في مقابل أجهزة « التـرانـزستـور » . كـان هنـاك دمى مسيحيـة لإداء لعبـة نبش وجـودي . وكانت ألعـابُ المساء تتنـافسُ مع قـاعات الـرقص والتراتيل تتقارع مع صخب الحانات إنَّهـا الكنيسة في مـواجهة العالم . لقد كان تبشيراً لطيفاً شكَّـل جزءاً من النسيـج الخاص للمناطق الساحلية الإنكليزية فيِ الخمسينات .

نـادراً ما كـان تيري وايت يتحـدث عن إيمـانـه . كـانت مهمة التبشير عملية مخلصة ولهذا كانت مسيحيـة . لم يَجْذِبْـهُ أبـداً أنْ يكون كـاهناً ليعبـر عن إيمانـه من على المنابـر . فقـد إختار عوضاً عن ذلك أنْ يدخل الخدمة موظفاً علمانياً وليصبـح أحـد الجنـود المجهــولين في الكنيسـة . لقــد نصـح أسقف بـريستـول بتعليم الكبــار . ودرّب الأوغنـديين على الأعمــال الكنيســة الانغليكـانيــة وعمـل مستشــاراً في دورة تعليم ديني

كاثوليكي في روما . وفي عام ١٩٨٠ أصبح مساعداً لأسقف كانتربري ولكن في عام ١٩٨٥ وبعد زياراته إلى ليبيا صار معروفاً في بريطانيا أكثر من رب عمله . فقبلت الصحف . في نطاق إمتداحه ، بأنْ تضمِّن ذِكراً للأسقف تحت عناوين منها : « صانع المعجزات » .

لم يفاجأ بعض أصدقاء تيري وايت بقدرته على مواجهة حراس الثورة وباجتماعه مع القذافي . كان فيليب تورنر قد إجتمع معه في أوغندا ولاحظ حبه للمغامرة . فقال : « إنَّ تيري رجل متطور جداً وأعتقد أنه مقامر ويحبُّ المخاطر . أنا لا أعني ذلك في مجال السوء . . . ولكني أظنُّ أنَّهُ فعلاً يحبُّ مواجهة هذه الأمور » .

كتب أحد أصدقائه وهو مراسل دبلوماسي سابق : « أظنُّ أنَّ مفتاح ذلك الرجل هو أنَّهُ ينتمي إلى قرن آخر وأنا شخصياً أفكِّرُ بصفحات جون بونيان ورواية « تقدم الحجاج » . وأفكر أيضاً في روايات « هنتي » عن الشباب البريطانيين الذين يذهبون إلى مواقع خطرة في أفريقيا ويتجرأون على كل شيء .

كان الآخرون يبحثون عن دور بارز ليلعبوه . كان لدى يوجين دوغلاس سفير الولايات المتحدة فوق العادة في مسألة اللاجئين إنطباع أنَّ تيري وايت الذي وإن تلقى الكثير من المديح ، فقد شعر أنَّهُ إستبعد عن المؤسسة بسبب خلقيته كان دوغلاس في جامعة كولومبيا وتدرَّج في المناصب الحكومية

بسهولة . وقال : « كنت أعرف الرؤساء وألتقي رؤساء الدول ولي أصدقاء في السلك الدبلوماسي وإنَّ تيري أراد أن يكون هكذا » .

لقد أعطت مهمات إيران وليبيا تيري نظرة جديدة . بدأ يرى أنَّ الكنيسة الانغليكانية تلعب دوراً في الشؤون الدولية عن طريق الصليب الأحمر الدولي ومع وجود أبواب عديدة في العالم الإسلامي مقفلة بوجه الدبلوماسية العادية ، رأى أنَّ الكنيسة هي المؤسسة الوحيدة القادرة على إقامة حوار مع الأنظمة الإسلامية الراديكالية . كانت النظرة مُغرية . لقد رفعت وايت فوق العالم الدنيوي للكنيسة وساعدت الأسقف بان تراجع للإنتقاد الذي كان يُوَجَّهُ إلى الكنيسة من أنَّها تفقد إيمانها وصوتها وجماهيرها .

فبينما كان وايت يتفاوض مع الليبيين تقرّبت فيه الكنيسة المشيخية(*) في الولايات المتحدة لمصلحة أحد عناصرها المحتجزين في لبنان ومع أنّهُ كان مشغولاً جداً ولم يستطع المساهمة في الحال ، فإنَّهُ كان يريد المساعدة . كان ذلك بالضبط الوضع الذي يعتقد أنَّ الكنيسة يجب أنْ تتحرك فيه . لكن العمل لمصلحة الرهائن الأميركيين هو عمل مختلف . وسوف يحوّله من رجل مشهور في بريطانيا إلى شخصية دولية

(*) كنيسة بروتستانتية يديرها شيوخ منتخبون يتمتعون جميعهم بمنزلة متساوية (المترجم) .

وخلال الثمانية عشر شهراً التالية كان يُؤَمِّنُ العناوين الرئيسية للصحف وأصبح شخصيةً معروفةً في نشرات الأخبار المسائية في أميركا ، مكتسباً فضول الصحافيين . وقد عقد عدداً لا يحصى من المؤتمرات الصحافية . لكن « الرهائن » كانت كلمة خطيرة في القاموس السياسي الأميركي . لقد أثَّرت على سمعةِ البلد في الماضي وكان هناك أناس لا يريدون إذلال الولايات المتحدة مرةً أخرى . لذا كانت مهمةً محفوفةً بالمخاطر لمبعوث انغليكاني .

رهينة أميركية تناشد

كـان بنجامين ويـر مبشراً في لبنـان منذ إحـدى وثـلاثين سنة . شاهد هذا البلد يـزدهر ثم يتفكـك . لقد كـانت بيروت باريس الشرق الأوسط ، وقـد تميز ذلـك البلد بأرضـه الجميلة حيث يمكنـك أن تـذهب إلى الجبـال في الصبـاح ، وتمـارس ريـاضة التـزلـج ثم تعـود بعـد الـظهـر وتسبـح في ميـاه البحـر المتوسط ! لقد رأى الغرب فيه مركزاً حضارياً متقدماً في منطقة لم يفهمهـا جيداً . وفي عـام ١٩٧٦ زال ذلك الـوهـم . وطفت المجموعات السياسية الـدينية على السـطح وبدت على شكـل ميليشيـات مسلحة . لقـد بدأت الحـرب الأهليـة . فـوجـدت الـطائفة المسيحيـة المهيمنة نفسهـا تقـاتـل ضـد الفلسـطينيين والمسلمين الممتعضين من النـظام ، ممـا أدّى إلى تحـول في موازين القوى وسرعان ما شهد النـزاع مذبحـة تتبعها أخـرى . حـاولت القوى الخـارجية أن تعـرض نظامهـا الخاص . وكـان هنـاك أتباع لسـوريا وأتبـاع لإسرائيـل وأتباع لأميـركا . ففشـل

الجميع ، واستمرت بيروت تعاند في بقائها أخطر مدينة في العالم : يقطنها المسلحون وتخاض فيها المعارك .

وبشكل تدريجي إبتعد معظم الأجانب عنها . ولم يبق منهم سوى مجموعة صغيرة لم يفقد بعض أفرادها تعلقهم بالبلاد على الرغم من الإرهاب والبربرية أما بالنسبة للآخرين فقد أصبحت المأساة قضية بحد ذاتها . ومن بين هؤلاء كان المبشران الأميركيان بنجامين وكارول وير .

كان بنجامين وير رجلاً هادئاً ومفكراً ، كانت نظاراته المعدنية وصلعته الظاهرة تضفي عليه هيئة مدرّس في عمر متوسط . كان رجلاً مسالماً يعيش في مدينة الوجوه الغاضبة . كان يعمل موظفاً في « المشيخية » في مدينة النبطية الإسلامية الشيعية . وبعد ذلك بدأ هو وزوجته يدرّسان في مدرسة اللاهوت للشرق الأدنى في بيروت . لقد ترك هذا البلد الكثير في حياتهما ولذلك لم يغادراه .

وفي أيار/ مايو ١٩٨٤ سادت فوضى أشد رعباً من الإشتباكات على الخط الأخضر الفاصل بين المسلمين والمسيحيين . فجالت العصابات المسلحة في بيروت الغربية المسلمة وبعضها كان ينتمي إلى ميليشيات معروفة والبعض الآخر لم يكن له أيٌّ ولاء سوى لنفسه أو لأسياده الذين يدفعون له بالخفاء .

لقد أضيف خطر آخر على الأجانب : بدأ احتجاز

الغربيين كرهائن . ففي تلك السنة اختطف ثلاثة أميركيين من الشوارع ومن بينهم رئيس محطة وكالة المخابرات المركزية C.I.A . وفي كل مرة كان يخرج بنجامين وكارول وير خارج شقتهما كانا يدركان أنهما يجازفان .

في ٨ أيار/ مايو ١٩٨٤ لذلك قررا ، أن يذهبا سيراً إلى مركز المجمع المسكوني الذي يبتعد بضعة شوارع ، حيث كانا يعملان . وما إن مشيا مسافة قصيرة حتى توقفت سيارة خلفهما . ترجل منها رجلان وقالا شيئاً ما . لم يفهم بنجامين وير هذه الكلمات فسأل : « ماذا تريدان ؟ » .

صرخ الرجل : أريدك أنت ثم دفع بنجامين باتجاه السيارة . فأدرك كلاهما في الحال أنَّ هذه محاولة خطف وبدأ بالصراخ . كتب بنجامين وير فيما بعد :

« حاولت أن أقاوم لكن الرجل كان أكثر فتوّةً وأشدّ قوّة منّي . لقد أمسك بربطة عنقي وشدّني باتجاه السيارة . فتحت ذراعي على جانبي باب السيارة لكنه رفسني بقوة من الخلف ودفعني إلى المقعد الخلفي . قفز رجل ذو لحية سوداء إلى المقعد الأمامي الأيمن وصوّب سلاحاً أوتوماتيكياً نحو رأسي بينما بدأ السائق بتحريك السيارة . أرغمني الرجل الذي أمسك بي على الإنبطاح على أرض السّيارة ثم غطاني بكيس ووضع يده على ظهري . وراحت السيارة تسرع . فأدركت عندها أنّي تحت رحمة خاطفيَّ دون معين ، وانني غير قادر على الإفلات » .

هرعت كارول ويـر إلى مركـز للشرطـة فحدّق بهـا رجال الشرطة وبأفواه مفتوحة . لقد تركتهم سنين الحرب البشعة دون أيّة سلطة . ولم يعد أحد يطلب مساعدتهم ! وهكـذا استدعي قائد الشرطة الذي قال لها مؤكداً :

« لا تقلقي سـوف نعيـدُ زوجـك قـريبـاً » . أقـام بعض الحواجز في المدينة : إنهم موجودون ، يوقفون السيـارات في بعض الأحيـان ولكنَّ رجـال الميليشيـات يتجـاهلونهم كمـا يتجاهلون ما تبقى من إشارات المرور الضوئية .

لقد ربّت كارول وير أطفالها الأربعة في خضم الفـوضى اللبنانية . وذكّرت أصدقاءها بالمغامر الأميركي القـوي الايمان والمتمرس على النكسات . وبعـد زيارتهـا إلى مركـز الشرطـة توجهت إلى السفارة الأميركية وأصـرّت على لقاء السفيـر الذي كان في ذلك الوقت في الولايـات المتحدة فـأخذت إلى نـائب رئيس البعثة وقد كتبت فيما بعد عن لقائها هذا :

سـألها المسؤول : « مـاذا تتوقعين ؟ ألم تقتـرح السفارة على جميـع الرعـايا الأميـركيين الذين لا ضـرورة لوجـودهم ، الرحيل ؟ لا نستطيع أن نحمي عناصرنا من الخطف » .

ردَّت كـارول وير : « إنَّ خـطف الأميركيين هـو ردٌّ على سياستنا الأميركية » .

قـال المسؤول : « أنتِ لا تتوقعين منـا أنْ نغيِّر سيـاستنـا الخارجية أليس كذلك ؟ » .

وهكذا بدأت علاقة صعبة تصادمية في الغالب مع المسؤولين الأميركيين ونظراً لإحباطها بدأت تبحث عن جهة أخرى تساعدها على إطلاق سراح زوجها .

كان عام ١٩٨٤ عام الإنتخابات الرئاسية في الولايات المتحدة . لم تشأ إدارة ريغان أنْ تقر أنَّ هناك أزمة رهائن جديدة . فمنذ أربع سنوات كان على جيمي كارتر أنْ يخوض الإنتخابات وما يزال ثلاثة وخمسون أميركياً محتجزين في إيران وقد عاقبه الشعب الذي لا يرغب بالمسامحة تجاه إذلال القوة الأميركية . لقد بدأ رونالد ريغان حملة إعادة انتخابه ، وكان أضرُّ شيء لديه هو أن يظهر الوشاح الأصفر هو رمز للأقارب الغائبين ، مرة ثانية في أميركا كما حدث في أزمة الرهائن عام ١٩٨٠ .

لقد وصل إلى السلطة وهو يعد بإحياء الحلم الأميركي . أكّد للشعب أنّ أميركا ما زالت مدينة فوق تلة ، ينتظرها أفضل الأوقات . وعد بحملة صليبية عالمية ضد الملالي والإرهابيين والمجرمين ـ أولئك الذين ذروا الرمال في عيون أميركا . صرح قبل توليه السلطة بقليل : « على الإرهابيين أنْ يحذروا . ستكون سياستنا العقاب السريع والفعال » .

وبينما كان الناس على وشك الإدلاء بأصواتهم ، أراد مسؤولو الإدارة أن يقللوا من أهمية احتجاز حفنة من الأميركيين في لبنان .

كـان هنـاك إعتبـار آخـر . كـان المسؤولـون في وزارة الخـارجية يعتقـدون أنّ الولايـات المتحـدة قـد عـالجت أزمـة الـرهائن الأخيـرة بطريقـة غير صحيحـة . ففي كل ليلة كـانت الأخبار المسائية تذكّـر أميركـا بالأيـام التي مضت على احتجاز الزملاء المواطنين في إيران . وهذا ما فرض ضغطاً غير معقول على الـرئيس وأدّى إلى تعزيـز مـوقف محتجـزي الـرهـائن في المساومة . وفي هـذه المرة حثّ بعض المسؤولين على تقـرّب بـطيء بحيث تخفّ قيمة الـرهينة وذلـك بـالإقـلال من إهتمـام الرأي العام بها .

تطابقت هذه الإستـراتيجية الـواقعية مـع تغيير في تقـدير أهمية لبنان بالنسبة للولايات المتحدة التي تعبت ادارتها بحلول عـام ١٩٨٤ من تورطهـا في لبنان . فلقـد ضحّتْ بحيـاة بعض الأميـركيين دون أن تكسب شيئـاً . وكـانت قـد انفجـرت في نيسـان/ ابريـل من السنة الفـائتـة قنبلة في السفـارة الأميـركيـة وقتلت ثـلاثة وستين شخصـاً وجرحت أكثـر من مئـة . وكـانت مخبأة داخل سيـارة سائق شيعي إلى قـرب حائط السفـارة وكان سعيـداً بـأن يمـوت شهيـداً . وقـد تبـع ذلـك حـادث أسـوأ للأميركيين ففي تشرين الأول/ أوكتوبر دخلت شاحنة مرسيدس محملة بـالمتفجرات إلى مقـر قيادة مشـاة البحريـة في بيـروت وانفجرت مؤدية إلى مقتل مئتين وواحد وأربعين عسكرياً .

هذا التفجير دمّرَ الإرادة الأميركية القاضية بالإستمرار في لعب دور في لبنان وأصبح هذا البلد هامشياً بالنسبـة للمصالـح

الأميـركية . فتم تخفيف الـوجود الـدبلومـاسي وانتقـل معـظم الـدبلوماسيين إلى بيـروت الشرقيـة الأكثر أمنـاً نسبياً . ونُصـح الأميركيون بعدم البقاء في لبنان .

وهكذا وعندمـا ذهبت كارول ويـر في أيار/ مـايو ١٩٨٤ إلى الإدارة وطلبت المساعدة للعثور على زوجها أصيبت بخيبة أمـل . لقد تبلدت الـرغبة الأميـركية في العمـل بسبب الفشـل المتكرر . فبقيت وير ، خـلال الصيف في بيروت على مقـربة من زوجها . وسعت مع عـدد من مسؤولي دول الشرق الأوسط ومن ضمنهم وزيـر الخارجيـة السوري . وكـانت تُستقبل بكـل احترام أينما حلَّتْ لكنها لم تتلقَ سوى التعاطف .

في تمـوز/ يوليـو تلقت السفارة الأميـركية شـريط فيديـو يظهر ويـر وهو في الأسـر . كانت لحيتـه كثّة وشعـره طويـلاً . فاعتقدت زوجته أنّهُ شـاحب وواهن . قال في الشـريط أنه قـد احتُجـز من أجل أنّ تجـري مبادلتـه مع سبعـة عشر سجينـاً في الكويت وكان هؤلاء قد نفذوا تفجيرات ضد سفـارتي الولايـات المتحدة وفرنسا في الكويت في كـانون الأول/ ديسمبـر ١٩٨٣ وقتـل من جراء التفجيـرات خمسة أشخـاص وجـرح أكثـر من ستين . كان ثلاثة من أولئك السجناء قد حكم عليهم بـالإعدام وكانوا ينتمون إلى مجموعة عراقيـة معارضـة هي حزب الـدعوة الذي كان يهدف إلى الإطاحـة بالحكـومة العـراقية واستبـدالها بنـظام إسـلامي ممـاثـل للنـظام الإيـراني . كـان ثـلاثـة من المحتجزين لبنانيين وكان أحدهم قد حُكِم عليه بالإعدام وكـان

قريباً لأحد الخاطفين في بيروت . ولأوّل مرة ، أدركت كارول وير أنَّ هناك دافعاً محدداً وراء إحتجاز زوجها وليس مجرد العداء للغرب .

في نيويورك كلفت الكنيسة المشيخية نائب مديرها فريد ويلسون بأن يقوم بوظيفة ضابط إرتباط مع الإدارة الأميركية . كان هذا مندوباً للكنيسة وكان حازماً وعنيداً لكنه لطيف في كلامه وحَذِرٌ من الحكومة . طلبت منه كارول وير أنْ يحدد لها موعداً مع وزير الخارجية لكن جورج شولتز تهرّب من اللقاء بها . قابل ويلسون ريتشارد مورفي مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى وجنوب آسيا ، لكن اللقاء لم يكُنْ مشجعاً . فلم يكونا على علم بمكان وجود بنجامين وير ولا بمن يحتجزه . فقد كان التحقيق بهذا الموضوع صعباً ومطوّلاً .

قالت كارول وير : في نهاية آب/ اغسطس بدأت أشعر بصعوبة الإنتظار الطويل عندها تذكر أحدهم في الكنيسة أنَّ مبعوث أسقف كانتربري واسمه تيري وايت كان قد نجح في إطلاق سراح المبشرين في إيران . فاتصل به فريد ويلسون في أيلول/ سبتمبر ١٩٨٤ ، في مكتبه في قصر لامبث في لندن . تشجع ويلسون ، فمع أنَّ وايت كان منهمكاً بموضوع البريطانيين الأربعة المحتجزين في ليبيا ، فإنّهُ طلب من ويلسون تفاصيل حول قضية وير ووعده بالمساعدة عندما ينتهي من مشاغله .

وكان تصميم كارول وير يزداد مع تزايد الإحباط . فقد ناشدت القس حبيبي جاكسون ومحمد علي وهما من الأميركيين السود اللذين كان ينظر إليهما في بعض أنحاء العالم الثالث على أنهما مناضلان ضد الظلم الأميركي .

أصدر كل من الرجلين تصريحاً وناشدا الخاطفين ، لكن ذلك كان بمثابة أصوات في الضباب ، تبدأ قوية ثم تخف لتختفي نهائياً .

في أوائل عام ١٩٨٥ فقدت الكنيسة المشيخية صبرها على ما اعتبرته « بيروقراطية في واشنطن » ولم يتفق المسؤولون على تحديد الجهة التي تحتجز الرهائن .

اعتقد البعض أنها إيران ، وقال الآخرون إنّها سوريا بينما اعتبر البعض الآخر أنّ ذلك كان وببساطة من فعل ميليشيا محلية تحاول أنْ تجري تبادلاً مع الأقارب المحتجزين . لذا أدرك فريد ويلسون وكارول وير أنّ عليهما أن يُعبّئا الرأي العام الأميركي من أجل أن تصبح مسألة الرهائن قضية مهمة في واشنطن . وقد ساعدهما على ذلك احتجاز شخصين أميركيين آخرين في بيروت . في ٨ كانون الثاني / يناير ؛ فقد احتُجز الأب مارتن جنكو وهو راهب كاثوليكي ورئيس هيئة الإغاثة الكاثوليكية في المدينة . ومع أنّ كارول وير كانت حزينة لدى سماعها هذا النبأ إلاّ أنّها أدركت أنّ ذلك قد يساعد قضية زوجها هذا وبعد ثلاثة أشهر جاء دور تيري أندرسون كبير مراسلي الشرق الأوسط في وكالة الاسوشياتد برس وقد كان له

أصدقاء كثيرون من الجسم الصحافي اللبناني في بيروت وكان لوكالة أب إتصالات هامة في واشنطن .

في ذلك الربيع بدأت كارول وير بجولات في الولايات المتحدة وعقدت مؤتمرات صحافية وإجتماعات ولقاءات تلفزيونية . فكان لحملتها تأثير واضح . وكان صوتها يُعبّر عن الأميركي العادي الذي يشكو من « الفشل » في واشنطن . كانت تُهمةً يهتم بها الكثيرون من الأميركيين . لقد قالت بشكل عاطفي ، في نهاية أول مؤتمر صحافي : « هل أنتظر أربعمائة وأربعاً وأربعين يوماً لإطلاق سراح بن ؟ وتلك كانت الفترة التي أمضاها الرهائن الأميركيون في الأسر في إيران . كانت كارول وير تحثُّ الإدارة على الإعتراف بأنَّ لديها أزمة رهائن جديدة .

وأخيراً وفي ٢١ آذار/ مارس حصلت على موعد مع وزير الخارجية جورج شولتز . فسألته كيف كان ينظر إلى مطالب الخاطفين المتعلقة بالمحتجزين في الكويت . كان السيد شولتز حازماً : لن تتدخل الإدارة مع أية حكومة أخرى وبصورة خاصة إذا كانت في معرض مقاومة إبتزاز الإرهابيين .

عندها إقترحت السيدة وير بأن تتفاوض الحكومة الأميركية مباشرة مع الخاطفين . قال السيد شولتز أنَّ هؤلاء الناس سمعوا أصواتاً من الله ولم يذعنوا ، ومن المستحيل أنْ نتكلم معهم .

لم توافق كارول وير على هذا الكلام . إنّهم ليسوا

بمعتـوهين . إنهم أنـاس لـديهم شكـاوى ضـد الـولايـات المتحدة .

غضب السيد شولتز وضَرَبَ يده على الطاولـة . وذكَّرهـا بـاحتفال عـاشوراء حيث يَعْمـد المسلمون الشيعـة إلى ضـرب أجسـادهم بالسكـاكين حتى تسيل منهـا الدمـاء وذلـك لإظهـار رغبتهم في التضحيـة بأنفسهم . قـال إنَّ هؤلاء الناس بـدائيون ووثنيـون . ومع ذلـك فقد حـاول ابن السيـدة ويـر الـذي كـان موجوداً أثناء المقابلة أنْ يشرح مدلولات عاشوراء وبدا أنَّهما لن يصلا إلى أيَّة نتيجة وتركا واشنطن غير متشجعين .

عندها قـررت الكنيسة أنْ تحشـد طاقـات المجموعـات المسيحيـة المؤثرة في جميـع أنحاء أميـركـا . فـأرسلت آلاف البطاقات البريدية إلى البيت الأبيض تطلب القيام بتحرك ما في موضوع الرهائن . مع أنّ الرئيس ريغـان قرر عـدم لقاء السيـدة وير إلاّ أنَّ أركانـه اعترفـوا أنّه كـان عليهم أن يستخدمـوا ثلاث سكرتيرات إضافيات من أجـل التعامـل مع البـريد الإضـافي . وبدأ الإحساس بأزمة رهائن جديـدة يتصاعـد لكن كانت هنـاك عوامل أخرى قد بدأت تغيّر موقف الإدارة .

فمن بين الـرهـائن المحتجـزين عـام ١٩٨٤ كـان وليم بكلي رئيس محـطة وكالـة المخابـرات المـركـزيـة في بيـروت والذي كان شخصاً هاماً في العمليات الأميركية لجمع معلومات الإستخبـارات في الشرق الأوسط . كـانت وكالـة المخابـرات المركزيـة قد فقـدت روبرت آيمـز ، وهو أحـد أكثر المـوظفين

خبرة ، في انفجار سابق . وكان بكلي قد أرسل إلى بيروت لإحياء الشبكة الإستخبارية للوكالة . لم يكن خطفه مجرد نكسة . فقد قيل أنّ بكلي كان يحمل مستندات تكشف عملاء وكالة المخابرات المركزية في الشرق الأوسط .

جَعَلَ مدير وكالة المخابرات المركزية في ذلك الوقت وليم كايسي مسألة اطلاق سراح بكلي من الأولويات . فأعيد تركيز الأقمار الإصطناعية كي تتجسس على بيروت وضاعفت وكالة المخابرات المركزية من إمكانياتها لمراقبة المحادثات الهاتفية بين بيروت ودمشق . وقام كايسي بزيارة إلى دمشق ليتحدث إلى الإستخبارات السورية . واصطحبه رجل الأعمال السوري عمران أدهم وسافر بجواز سفر أرجنتيني . وعلى الرغم من العداوة بين سوريا والولايات المتحدة فإن الإجتماع لم يكن غير ودّي ـ وإن لم يؤد إلى أيّة نتيجة .

بحث كايسي أيضاً فرض ضغوط على الكويتيين من أجل إطلاق سراح سبعة عشر محتجزاً متهمين بتفجير السفارتين الأميركية والفرنسية وهذا ما كان أحد المطالب الرئيسية للخاطفين . كان بحثه في الإستسلام للإبتزاز دليلاً على يأسه . فعارضته وزارة الخارجية في ذلك وقال مسؤولوها أنَّ هذه الفكرة تقوّض سياسة الولايات المتحدة في معارضة تقديم التنازلات للإرهابيين وبحلول ربيع عام ١٩٨٥ إزداد تصميم كايسي بعد ورود تقارير تفيد أنّ بكلي يتعرض للتعذيب . وكان مدير وكالة المخابرات المركزية قريباً من أذن

الرئيس ريغان ، فبدأت مسألة الرهائن المحتجزين في لبنان تستحوذ على مزيد من الإهتمام .

وهكذا فكلما تزايد عدد الرهائن المحتجزين بات من الصعب تجاهل النداءات ، ولم يعد هناك مجال لإعتبارهم مخطوفين منعزلين . وقد كانت هناك نظرة شائعة مفادها أنّ إيران وسوريا تقفان وراء الخطف ، وهما الدولتان اللتان تعتبرهما الإدارة الأميركية عرابتي الإرهاب الدولي ولم يعد ممكناً للرئيس ريغان الإستمرار في حربه ضد الإرهاب في الوقت الذي يظهر فيه بمظهر العاجز في لبنان وهنا ركّز بعض المعلقين على علاقات سوريا الوثيقة مع الإتحاد السوفياتي وقالوا من الممكن ان تكون أميركا تواجه خطة سوفياتية لجعل الشرق الأوسط غير آمن للأميركيين وذلك بتشجيع خطف الرهائن . كان الدليل ركيكاً ، لكن الجو العام كان التغيير ، إذ كانت أميركا تواجه تحدياً وكان كافياً بالنسبة إلى الإدارة التي تتكابر في الموضوع .

وخلال النصف الأول من عام ١٩٨٥ بقي تيري وايت على اتصال مع فريد ويلسون . وفي ١٠ أيار/ مايو وبينما كان وايت في نيويورك في طريقه إلى استراليا ، وافق على لقاء كارول وير في الكنيسة البروتستانتية الابسكوبية في مانهاتن . عرضت عليه رسالة كان بنجامين قد كتبها إلى الكنيسة المشيخية في شباط/ فبراير وفيها يشكو حكومة الولايات المتحدة التي لم تكن تفعل شيئاً لضمان اطلاق السجناء في

الكـويت . قال : « أنـا متأكـد ، انـه متى أطلق سـراح أولئـك السجناء ، فانه سيطلق سراحي والآخرين في الوقت نفسه » .

وأضاف ان الخاطفين كانوا يعـارضون تـدخل أي فـريق ثالث ، وحتى سوريا . وقال : « لقد قيل لي انـه إذا جرت أيـة محاولة للتدخل من قبل فريق ثالث فان حياتنا ستصبح في خطر شـديد وسـوف يتم تفجيـر المكـان الـذي يحتجـز فيـه ، على رؤوسنا » .

وعلى الـرغم من التحذيـر الغامض من ان الخـاطفين لا يريدون التعامل مع أي وسط خارجي ، حثت كارول وير وفريد ويلسون تيري وايت على ان يكون مفاوضـاً من قبل الكنيسـة . وكـان قد بحثـا مرتين من قبـل في اقامـة اتصالات بمعـزل عن الحكومات .

وافق وايت من حيث المبدأ ، ولكنه أخبـرهما بـالحاجـة إلى موافقة رسميـة من أسقف كانتـربري . وقـد سر الاثنـان . ورأيا ان وايت متعاطـف مع محنتهما . مشدداً على انه لا يملك أيـة نظرة سيـاسية للمـوضوع إنمـا كان يعمـل بصورة إنسـانيـة مستقلة ، هـذه العبـارة ، ستصبـح بعـد وقت بـطاقـة الـدعـوة الخاصة به .

لم يكن تيري وايت قد عمل لصالـح الأميركيين من قبـل وكان يحتاج إلى بعض المقدمات في واشنطن . ومع انه كانت لديه بعض الإتصالات في واشنطن فقـد كان لـه أيضاً أصـدقاء

في الكنيسة البروتستانتية الابسكوبية .

كان البروتستانت الابسكوبيون الأميركيون ينتمون إلى المجموعة الانغليكانية ولهم المعتقد نفسه والتقاليد نفسها ، كما ان معظم طقوسهم تشبه تلك التي تعتمد في الكنائس الإنكليزية .

وكانت الكنيسة البروتستانية الابسكوبية صغيرة بالمقارنة مع الكنيسة الكاثوليكية أو الكنيسة المعمدانية ولكنها كانت تتمتع بدعم بعض المسؤولين في الحكومة ـ كان لها روابط خاصة وقوية مع إدارة ريغان . وفي الثمانينات أصبح الابسكوبيون طائفة كبيرة ، أحاطت بالنزعة الانغليكانية وبالنزعة الأصولية « المولودة حديثاً » . كان مسؤولو إدارة ريغان مثل روبرت مكفرلين وجون بويندكستر واوليفر نورث ونائب الرئيس جورج بوش يقيمون الصلاة في كنائسها .

كان أحد أصدقاء تيري وايت مدير برنامج إغاثة الكوارث في الكنيسة الابسكوبية وهو سمير حبيبي كان قد جاء إلى الولايات المتحدة طالباً ثم استقر فيها . وكان بعض أفراد عائلته ما يزالون يعيشون في القدس بينما كان أقاربه الآخرون جزءاً من الشتات الفلسطيني وقد حاز بعضهم على مواقع مؤثرة ونافذة في الأردن وسوريا والعربية السعودية . لقد ساعدت اتصالاته على الحصول على موعد لتيري وايت مع العقيد القذافي . فتحول وايت إليه من أجل ان يدبر له حضور ايجاز

في واشنطن حول الرهائن الأميركيين . استخدم حبيبي اتصالات الكنيسة مع الإدارة وحدد له موعداً مع مكتب جورج بوش . وكان نائب الرئيس في ذلك الوقت يرئس قوة عمل تعالج شؤون الإرهاب .

في ٩ أيار/ مايو توجه تيري وايت وسمير حبيبي ومساعده إلى جناح نائب الرئيس في الطابق الثالث في البناية القديمة للمكتب التنفيذي . استقبلهم دونالد كريغ مستشار نائب الرئيس لشؤون الأمن القومي وهو من الناشطين في الطائفة الابسكوبية . كان كريغ قد عمل في وكالة المخابرات المركزية لمدة سبعة عشر عاماً وقد ذهل بزيارة وفد الكنيسة تلك ولم يكن متأكداً مما يمكنه ان يقدم لهم . فاقترح ان ينضم إليهم أحد مساعدي بوش وهو المقدم دوغلاس مينارشيك . فشرح المسؤولان سياسة الولايات المتحدة في موضوع الرهائن بتعابير عامة ـ وكانت هذه المعلومات متوفرة في جميع المكتبات التي تحفظ الأنباء الصحافية .

عندها طرح وايت فكرة كان يعمل بها هو وسمير حبيبي في نيويورك ، فكرة تستند إلى الشريعة الإسلامية ، هناك بند يجيز اطلاق سراح المجرم إذا ما عفا عنه أفراد عائلة الشخص الذي تعرض للأذى منه . ويمكن ان تضمن ذلك ان يتلقى المتضررون نوعاً من التعويض أو « أموال الدم » كما يسميها المسلمون . من هنا كان يمكن للحكومة الكويتية نظرياً ان تطلق سراح المحتجزين السبعة عشر الذين أدينوا بالقيام

بتفجيرات في الكويت إذا كان أقارب الضحايا والجرحى مستعدين لمسامحتهم . وذلك لا يعني الفدية وانما التضحية حسب تأكيد وايت . وان هذا تتقبله المجتمعات الإسلامية كشكل من أشكال العدالة . أما حبيبي فقد اعتقد ان هذه الفكرة تمكن أمير الكويت من اصدار عفو دون ان تؤثر على موقف بلده الحازم ضد الإرهاب .

بدا ان دونالد كريغ قد وقع في حيرة . فقال حبيبي معلقاً على الإجتماع : ان أي مسؤول أميركي ، معتاد على تطبيق القوانين ، يعتبر ان الجريمة هي جريمة ضد المجتمع أكثر مما هي ضد العائلة وان الغرب لا يفهم المعتقدات الإسلامية .

كان المسؤولون في مكتب نائب الرئيس متشككين ؛ فالتفتيش عن الأقارب في الشرق الأوسط هو مضيعة للوقت ، ان لم يكن مستحيلاً . شكك دونالد كريغ في إمكانية موافقة الأمير على هذا الإقتراح . وكانت هذه الأعمال تبدو مهمة في ذلك الجزء من العالم وان اطلاق سراح الرهائن ، أيّاً تكن الظروف المحيطة به ، سوف يظهر على انه تقديم تنازل للخاطفين .

لذا أراد تيري وايت ان يعرف ما هي الخطط الأخرى المتعلقة بموضوع الرهائن أجاب كريغ بالعموميات وكشف حبيبي عن شيء من الملل وكأن مسؤولي الإدارة كانوا يمالئون شعور الوفد الكنسي . فانزعج وايت الذي كان يتوقع ان يؤخذ كلامه بجدية أكبر وسأل عن المسؤولين الذين يقترح ان

يقـابلهم . اقترح كـريـغ عليـه عـدداً من الأشخـاص في وزارة الخـارجية وشـدد عليهم بشكل خـاص ان يقابلوا أوليفـر نورث وهـو كولـونيل في مجلس الأمن القـومي يقـوم بـوظيفـة ضـابط ارتباط مع عائلات الرهائن . قابل وايت معظم المسؤولين لكنه أصيب بخيبة أمل . ما عدا أوليفر نورث الذي كان مختلفاً .

الدائــرة الداخليــة

في الأسبوع التالي ، أي في ١٨ أيـار/ مايـو قابـل تيري وايت أوليفر نورث للمـرة الأولى عندمـا عثر عليـه سمير حبيبي في مـطار لاغارديـا فاصـطحبه إلى شقـة للأسقف في مـانهاتن وانضم إليهم فـريد ويلسـون وكارول مـديـر ومسؤول من وزارة الخارجية .

لقد توقعـوا ان يلتقوا مسؤولاً رزينـاً من البيت الأبيض ، لكن أوليفـر نورث وصـل وهو يـرتدي سـترة جلد بنيـة اللون . وكان بشعره القصير مثل شعر جندي من مشاة البحرية وهو يبدو شرطياً في مدينة نيويورك أكثر منه مستشاراً أمنياً للرئيس .

تحـدثه كـارول وير في الحـال . لم يكونـوا راضين عن الإدارة لانهـا حسب رأيها لا تقـوم بأي عمـل . تـراءى لهـا ان نـورث بدا متـوتراً ومتضـايقاً ، لكن حبيبي رأى انـه تعامـل مع الإنتقاد بكل ترحيب .

قال لهم انه يحق لهم ان يغضبوا لانهم أميركيـون . كان نورث يؤمن ان الأميركيين يهتمون بالعـدالة أكثـر من غيرهم من الأمم لـذلك قـال ان الإدارة قـد قـامت بكـل شيء يقـع ضمن حـدود القانـون . ثم أضاف معتـرفاً : « نحن وقعنـا في مـأزق حقيقي إذ لا يمكننا ان نتفاوض مع الإرهابيين » ثم قـال بصورة مفـاجئة : « إذا كـان الخاطفـون يريـدون المال فـان ذلك ليس قضيـة . لكن أحـداً من المجتمعين لم يعلق على رغبـة البيت الأبيض الظاهرة في شراء اطلاق سراح الرهائن » .

طرح وايت مسألة ما إذا كانت الكنيسة تستطيع ان تساعد بشـأن السجناء في الكـويت وهـو مـا يبـدو انـه الهم الأسـاسي للخـاطفين . أصغى نورث بـاهتمام ، ثم قـال : ان ثلاثـة من المساجين قد حكم عليهم بـالإعدام . وقـال انه من المفيـد ان تستخـدم الكنيسة نفـوذهـا من أجـل تخفيف الأحكـام . فقـال حبيبي ان هـذا الطلب لا يسبب مشكلة للكنيسـة لان سياستهـا تعارض أحكام الإعدام .

عرض وايت اقتراح « أموال الدم » . كان نورث مشجعـاً وقال انه يستحق المتـابعة . لم تستبعـد أية فكـرة . وقد عـامل نـورث مجموعـة الرفـاق المسيحيين في شقة الأسقف بـاحترام ظاهر .

وقبـل ان يغادر أوليفـر نورث ، تحـدث مع تيـري وايت راغبـاً في الإستماع إليـه حول رحـلاتـه إلى ليبيـا ، وكـان قـد

أعجب بلقـاءاته مـع القذافي . ثم سـأله : هـل هو مجنـون ؟ أجـاب تيري وايت ، بـالنفي ذلـك انـه وجـده ذكيـاً يميـل إلى الاصغاء . قال نـورث وهو يبتسم : « أنت تعلم انـه العدو رقم واحـد ومن واجباتي ان أبقي عيني عليـه » هذا وأراد نـورث ان يعرف كيف توصل وايت إلى لقاء القذافي . فتحادثا معاً وتبادلا وجهات النظر حول الأنظمـة الراديكـالية في الشـرق الأوسط . وعنـدما قـال نورث ان عليـه ان يعود إلى واشنـطن ، طلب من وايت ان يبقى على اتصال معه .

لقد ترك نورث وراءه انطباعاً جيـداً . فقال وايت لحبيبي انه رآه مخلصاً « وأميركياً حقاً » وانه منفتح ومباشـر . لقد أحب وايت حماسه والتزامه ، فهو رجل يبحث عن حلول .

وخلال صيف ١٩٨٥ كان تيري وايت وأوليفر نورث على اتصال منتظم . تحدث صديق مشترك عن مودة سـريعة بينهمـا وقال : « ان أوليفر نورث شخص ساحـر وجذاب وتيـري وايت رجل منفتح على طريقته الخاصة . وقد لاحظ باركز بورغ وهـو دبلوماسي في وزارة الخارجية معروف بجديته ، بعض الصفات التي تجمعهما وقال : « ان لأوليفر نورث نزعة دينية جيدة وكان صبي المذبح في إقـامة الصلوات ومعتـاداً على التحدث بلغـة يفهمها أهل الكنيسة وهكذا كان الإتصال بينهما سهلاً » .

كان وايت معجباً بنورث لانه يشـاركه الـرأي القائـل بان على الأشخـاص والمؤسسات كـالكنائس مثـلاً ان ينغمسوا في

الشؤون الـدولية . وكـان من شأن نـورث ان جعل وايت يشعـر بمكانته وهـو الذي كـان قد استقبـل بفتور في وزارة الخـارجية حين وصف أحـد المسؤولين مـوقف الـوزارة من المبعـوث الانغليكـاني بـانـه : « أسـوأ من الهـزء » ولانـه كـان « رجـل كـانتربـري لم يوصـدوا البـاب في وجهـه » ، لكن وايت غـادر وليس لديه شك في ان العديـد من مسؤولي وزارة الخارجيـة لا يـريـدون لأحـد ان يشتـرك في السيـاسيـة الخـارجيـة بصفتـه الشخصية .

لقـد رأى وايت ان أوليفـر نـورث هـو إنســان يهتم حقـاً بشؤون الآخـرين . إن الدمـوع كادت تنهمـر من عيني مسؤول البيت الأبيض عندما بدأ الحديث عن الـلاجيئن والرهـائن وعن أولئك الذين عانوا تحت حكم الشيوعية . كـان نورث رجـلاً ذا شعور عميق ، وكان في بعض الأحيـان ديناميكيـاً جادّاً وحـازماً تحدّق عيناه وتغرورقان بالدمع فيضحي كالأطفـال الصغار . لم يلتق تيري وايت أي شخص مثله من قبل يقـول السفير يـوجين دوغلاس عن العلاقة بينهما انهـا لقاء بين شخصين ملتـزمين ثم يضيف : « كان أوليفر نورث يظن انه يقوم بالعمل الصحيـح . كـان ملتزمـاً بحق بمصلحة بـلاده وبقضيتـه ، قضيـة الحـريـة واطلاق سراح الرهائن . هـذا النوع من شـدة العاطفـة كان من مميـزات شخصية أوليفـر نورث كمـا كـانت من أهم الصفـات الظاهرة في شخصية تيري وايت » .

كـانت خلفية نـورث تختلف عن خلفية وايت . كـان قد

خـدم في فيتنام حيث أصيب مـرتين بجراح . وقـد منـح وسـام النجمة الفضية ووسام النجمة البرونزية ووسام جـرحى الحرب مرتين . لقد تركت الحرب آثـارها فيـه وقد شعـر ان الولايـات المتحدة قد خانت نفسها ومبادئها عندما انسحبت لان ذلـك لم يكن فشلاً عسكرياً بل كان فشلاً للإرادة . وكما قال نورث فيما بعد للجنة الكونغرس : « أريد أيضاً ان أشير إلى اننا لم نخسـر الحرب في فيتنام . لقد خسرنا الحرب هنا في هذه المدينة » . لقد طبعت الحرب آراءه السياسية : يجب ان تصمد الولايـات المتحدة بمساعدة أصدقـائها . ان الـولايات المتحـدة هي قوة من أجل الخير في جميـع أنحاء العـالم . يجب ان تتحول إلى الهجوم ضد الشيوعية . وكان رونالد ريغان الذي وعد بـأميركـا تسير وهي شامخة ، بطله الخاص .

لقـد قدم نـورث نفسه على انـه في قمة السلطة . وكـان لدى وايت وحبيبي انطباع انه يجتمع مع الـرئيس بشكل منتـظم وان الـرجلين كانـا يصليان معـاً . وعنـدمـا كـان حبيبي يتصـل بنـورث هاتفيـاً كان الأخيـر يقول ان مـدير وكـالة المخـابـرات المركزيـة يتحدث على الخط الآخـر . كان يمـرر في أحاديثـه روايات تذكر كيف خطط لغزو غرانادا أو كيف اعترض الـطائرة التي تقل الإرهابيين الذين هاجموا السفينة أكيلي لاورو .

كان تيري وايت يتحدث لصديقه الأوغندي فيليب تـورنر عن المسؤول الغيـر العـادي في البيت الأبيض فيقـول : ان « أولي » شخصي يثيـر الإهتمام » . كـان مـولعـاً بـالأشخـاص

الـذين يرسمـون بفرشـاة عريضـة وينغمسون كليـاً في الأمور . فكمـا كان « أولي » كـان نورث نمـوذجاً من المغـامـرين وكـان وايت مسحوراً بذلك .

كان نورث شخصاً معقداً ومتطوراً أكثر مما كان يحب ان يظهر .

كان التزامـه يتسم بميزة خـاصة : عقليـة « الكاويـوي » ونزعة فردية في معالجة الأمور عندمـا زارت كارول ويـر وفريـد ويلسـون نورث في الغـرفـة ٣٩٢ في بنـايـة المكتب التنفيـذي القـديمة أخـذهم فوراً بكلمـاتـه : « أريـدكم ان تعـرفـوا انني مسيحي ولـد من جـديـد . لقـد قبلت بيســوع المسيـح ربي ومخلصي » .

تحمست كارول وير وقالت : « أنا أيضاً مؤمنة بـان الرب يسـوع المسيح ولقـد كرست نفسي وحيـاتي لـه لكنني لا أتفق معك . وقالت فيما بعد لماذا قال لنا ذلك ؟ » .

قال نورث ان الكنيسة لعبت دوراً هاماً في حياتـه . وكان له اهتمام جدي ببنجامين وير وجميع الرهائن . فاعتقد ويلسون انه كان يحاول ان يأخذهم تحت رعايته .

بينما كان نورث يتكلم ، انزعج ويلسون وويـر من اللوحة المعلقة خلف مكتبه وقد كتب عليها بأحرف بيضـاء على خلفية سوداء : « الخميني يأكل لحم الخنزير » وقد اعتقد كلاهمـا ان هذه لوحة غريبة ولا يجوز ان يعلقها مسؤول رسمي في مكتبه .

قال فريد ويلسون : « أي نوع من التبرير يؤدي برجل ناضج لكي يعبر عن ازدرائه لزعيم محترم في بلاده ؟ ومع انهما انزعجا من هذه المواجهة فانهما سرا لأن رجلاً مثل نورث كان يتولى معالجة أزمة الرهائن .

دان ذلك بعد أول لقاء بين تيري وايت وأوليفر نورث عندما أعطى أسقف كانتربري موافقته الرسمية إلى مبعوثه للعمل لمصلحة الرهائن الأميركيين . وقد تمت الموافقة على ان تزوده الكنيسة الأبيسكوبية في الولايات المتحدة بالدعم والنصح . وعرضت الكنيسة المشيخية التي كانت قد تقربت من وايت ان تدفع بعض النفقات وهكذا كان الأشراف على مهمة وايت يجري ضمن دائرة داخلية كان جميع أعضائها ملتزمين بإدارة ريغان .

ففي البدء كان الكاهن سمير حبيبي . اما في الحقيقة فكان الدعم والنصح يقدمان إليه من الكنيسة الأبيسكوبية مباشرة . ومع انه كان يشرف على برنامج الاغاثة العالمي فانه أصبح عملياً مدير أعمال تيري وايت . كان للمسؤولين في قصر لامبث وفي مكتب الأسقف في لندن معرفة طفيفة بنشاطات وايت . وكانت دائرة سمير حبيبي في المركز الأبيسكوبي قادرة على تغطية نفقات السفر والإقامة كما كانت قناة الإتصال مع الإدارة في واشنطن . وكان « حبيبي » في بداية المرحلة رجل الإتصال بين تيري وايت وأوليفر نورث .

كان الكاهن حبيبي ؛ والذي ما زالت لهجته تتضمن بقايا

من خلفيـة لهجة سكـان الشـرق الأوسط ، يتمتـع بـاتصـالات عديدة . وكان مثل العديد من المهاجرين حـازماً جـدّياً . كـان يعرف أشخاصاً نافذين في المجتمع الأميركي ومن خلال موقعه في الكنيسة ، التقى بعدد من مسؤولي الإدارة . وكان يعلق في مكتبـه صورة تجمعـه مع الأميـرال جون بـوينـدكستـر مستشـار الرئيس ريغان لشؤون الأمن القومي . كان حبيبي جمهورياً وقد عمـل في حملة ريغـان الإنتخـابيـة عـام ١٩٨٠ وتلقى صـورة فوتوغرافية للرئيس عليها توقيعه واهداؤه تقديراً لخدماته وجهوده وقد كتب عليها : مع الشكر « رونالد ونانسي » .

كان حبيبي يحب أوليفر نورث فيقول : « ان العلاقة مـع أولي كـانت مميزة . لقـد شعرنـا بقـربنـا منـه لانـه ، ومن بين أسبـاب كثيرة ، كـان ينتمي لكنيستنا » . لكن صـداقته لنـورث تعمقت . فكـانت شيئـاً مميـزاً ومشـاركـة في المبـادىء والقيم الأميركية .

قـال : كنت أنا وأولي نسلك الأسلوب نفسـه في القيـام بواجباتنا . لقد خدمت كقسيس وكراهب في الكنيسـة والحقت بالقوات الموجودة في فيتنام وخدمت بقدرة رجل الكنيسة . لقد كنت في بعض المناطق التي خدم فيهـا الكولـونيل نـورث » . خدم الكاهن حبيبي مع مشاة البحرية وحـاز على وسام النجمـة البرونزية مرتين وعلى وسام الجرحى مرة واحدة وكـان ينظر إلى أيـامه الغـابرة في فيتنـام بأسى . وهـو يحتفظ بولاء تـام لجميع الذين خدم معهم . وقد بقي قسيساً احتياطياً في البحرية .

وكمـدير لهيئـة اغاثـة الكـوارث ، اجتمـع سميـر حبيبي عـام ١٩٨٤ مع يـوجين دوغلاس السفيـر الأميركي فـوق العادة لشؤون اللاجيئن ، مقدماً تيري وايت إلى دوغلاس وقد أصبحا صديقين والتقيا في السنين اللاحقة بين عشرين وثلاثين مـرة . وجـدا نفسيهما في أفـريقيا في الـوقت نفسـه : كـان دوغـلاس مشتـركاً في عمليـة تهريب اليهـود الأثيوبيين ، الفـالاشا ، إلى إسـرائيـل . بينمـا كـان وايت يســاهم في أعمـال إغــاثـة في السـودان . وكـان للرجلين الـرأي نفسـه بـان تـوظف وكـالات الإغـاثة امكـانياتهـا في المؤسسات المحليـة بـدلاً من تمـريـر المساعدات من خلال الحكومة المركزية .

كان دوغلاس تكساسياً يحب النزعة الفردية عنـد رونالـد ريغان . ولكنه كان رجلاً دون حدود . كان علاّمة ومثقّفـاً يحب الفنون ويقدرها . كان رأسمـالياً نـاجحاً ومحبّـاً للخير . وكـان يؤمن ان الأعمال الكبيرة تتـرتب عليها مسؤوليـات إجتماعيـة . فقد خدم خلال حرب فيتنام في الإستخبارات البحرية . وكـان لـه عدد من الأصـدقـاء في إدارة ريغـان وبصـورة خـاصـة بيـل كايسي مدير وكالة المخابرات المركزية الـذي كان يعـرف أيضاً أوليفر نورث ويحبه .

كان دوغلاس بالنسبة لسمير حبيبي محكاً . فعندما كـان هـذا الأخير يحتـاج إلى معلومات من داخـل الإدارة كان يتجـه لـدوغلاس . وبعـدما بـدأ تيري وايت يعمـل لصالـح الرهـائن الأميــركيين كـان حبيبي يسعى دائمــاً وراء نصيحـة صـديقـه

التكساسي ليعرف ما إذا كان هناك أخطار على الكنيسة في اجرائها تلك الإتصالات أو قيامها ببعض النشاطات . كان تيري وايت يعود إليه عندما أصبحت مهمته أكثر تعقيداً واتخذت منحى سياسياً .

وكان هناك عضو ثالث في الدائرة الداخلية . ففي ٢٦ حزيران/ يونيه دعا أوليفر نورث سمير حبيبي ومساعدته السيدة ماريون داوسون إلى واشنطن . وكان لنورث اتصال يعتقد انه قد يساعد تيري وايت في اقامة علاقات مع الطائفة الشيعية في لبنان ، كان اسم الرجل سبيرو وهو الذي قال نورث انه سيطلب منه ان يتصل بوايت .

بعد وقت قصير اتصل رجل بوايت وحضر إلى مكتبه في قصر لامبث . كان رجلاً في الأربعينات من العمر طويل القامة ، قصير الشعر . وعندما التقى حبيبي به فيما بعد ذكره بشون كونري . كان الرجل يستخدم اسم سبيرو لكنه كان يفضل ان يسمى باسم آخر . فاقترح وايت اسم « جون سميث » .

تبين ان سبيرو كان يتعلم في مدرسة هامة في لبنان . كان يعرف معظم الزعماء الدينيين ومن ضمنهم كبار عائلات الشيعة وكانت له اتصالات مباشرة مع « الجهاد الإسلامي » وهي المجموعة التي تقف وراء خطف الرهائن . وقد عرض ان يتولى بعض المقدمات لمهمة وايت .

إلّا انــه لم يكن واضحــاً من هــو سبيــرو : كــان يلم بـالتفاصيـل . وكان رجـلاً يونـانياً يقـوم « ببعض الأعمال » في لبنان . أما زوجته فكانت تعمل ممرضـة في مستشفى الجامعـة الأميـركية . وكـان له منـزل في مدينـة نـايس ومنـزل آخـر في كاليفورنيا . وكان مهتماً بأمنه الشخصي لذا كان يعمل بـأسماء مستعـارة متعددة . وكـان يملك خمسة جـوازات سفر بـأسمـاء مختلفة .

وفي الحقيقة كان سبيرو يعمل للإستخبارات البـريطانيـة والأميـركية وإن كـان أقرب إلى الثـانية . وقـد وصف بانـه كان الشخص الـذي نفـذ « عمليـات سـريــة جـداً » . قــال أحـد الأشخـاص الذين عـرفوه : « لم يكن مـوجوداً على أي سجـل استخبـارات ولكنه كـان رجلاً لا تستـطيع أيـة وكالـة ان تعمـل بـدونه » . وبعـد تفجير السفـارة الأميركيـة في بيروت وخـطف وليم بكلي رئيس محـطة وكالـة المخابـرات المركـزية ، اعتُبـر أحد المصادر القليلة البـاقية لـوكالـة المخابـرات المركـزية في لبنـان . وفيمـا بعـد عـام ١٩٨٨ لعب سبيــرو دوراً هــامــاً في الحصول على اعترافات بكلي التي أدلى بها تحت التعذيب .

إن مهمة تيري وايت لمصلحة الرهائن الأميركيين كـانت تبـدو في ظاهـرها مشـابهة لتلك التي نفـذها من قبـل . اما في الحقيقـة فكانت أكثـر خـطراً وتعقيـداً إذ كـان يتكـل في بعض اتصالاته على رجل تبقي خلفيته مخفية عنه ـ رجل من الجانب المظلم في الحياة .

افكار الصيف

بدأ تيري وايت العمل بموضوع الرهائن في صيف عام ١٩٨٥ وقد فوجىء بالمقدار القليل من المعلومات الذي أعطاه إياه الأميركيون. في البدء ظن ان سبب ذلك هو انهم كانوا ممتعضين من اشتراك رجل من الخارج في هذا العمل. وكان الملل قد ساد أوساط وزارة الخارجية من وسطاء الخير وحملة الرسائل ومن الساخرين الذين كانوا يعدون باطلاق سراح الرهائن. لم يكن أحد منهم موضع ثقة لكن العديد منهم أدرجوا على « ملف الحفظ » كما وصف ذلك ديفيد لونغ من مكتب مكافحة الإرهاب الذي تحدث عن الكمية الكبيرة من الرسائل التي تلقاها من « المتبرعين بخدماتهم » .

إلّا ان المسؤولين الرسميين كانوا كتومين فعلاً . وكان هناك ارتباك في معرفة الجهة التي تقف وراء عملية الخطف . فقد استخدم الخاطفون اسم : « الجهاد الإسلامي » لكن

البيانات التي كانت تصدر عنهم ، كانت تحت عناوين مختلفة مثل منظمة العدالة الثورية والجهاد الإسلامي لتحرير فلسطين أو خلايا الكفاح المسلح . ومع الوقت بدا ان منظمة الجهاد الإسلامي ليست منظمة متماسكة بل هي غطاء ملائم تجتمع خلفه عدة تنظيمات مسلحة .

كانت هناك اختلافات طفيفة حول جذور المشكلة . فقد كانت السلطة في لبنان بيد المسيحيين الموارنة واستناداً إلى الدستور كان لهم رئاسة الجمهورية وأعلى الرتب في الجيش اللبناني . وذلك منذ عام ١٩٤٧ عندما كان الموارنة هم الأغلبية دون منازع . إلّا ان هذه الأغلبية تراجعت في السنين اللاحقة وفي السبعينات صار المسلمون يشكلون الأغلبية في لبنان .

شعر المسلمون انهم مواطنون من الدرجة الثانية فطالبوا بالتغيير .

وفي عام ١٩٧٦ اشتركوا مع اللاجئين الفلسطينيين في تحدي الحكم المسيحي ومواجهته . وقد أدت هذه الحرب المتوحشة إلى ظهور موجة الراديكالية في أوساط شباب بيروت الغربية . وقد رحب الفلسطينيون الذين يقيمون في مخيمات كبيرة في بيروت بجميع أنواع المعتقدات الثورية . وكانوا معادين للغرب وبصورة خاصة للولايات المتحدة بسبب دعمها لإسرائيل . وكانت المجموعة الإسلامية تنقسم إلى سنّة وشيعة . كان السنّة هم الأغلبية في العالم العربي وكانوا يتلقون

الدعم من ملوك الخليج وأمرائه وبالمقابل فإنـه لم يكن للشيعة سند فعوّضوا عن ذلك بزيادة تعصبهم . ثم اكتشفوا البطولة في إيران التي حولتهم إلى قوة داخل لبنان .

وفي عام ١٩٧٩ عاد آية الله الخميني إلى إيران مظفراً . لقـد هزم الشعب الثـائـر العنيـد الجيش الإيـراني . وفـر ملك الملوك من البلاد واضعاً في جيبـه حفنة من التـراب الإيراني . كان الإرتفاع المفاجىء في سعر النفط قـد مكنه من الإنغمـاس في غـرور كبير ، ونصب التمـاثيل التي تـظهـر حكمـه امتـداداً للامبراطورية الفارسية . لكن فيض الأفكـار الغربيـة والموضـة البـاريسية والسلع الإستهـلاكيـة لم تكن تصـل إلى الجمـاهيـر الفقيرة في جنوب طهران والريف . فقد كان الأغنياء الجدد في إيـران ينكرون أصـولهم . وهكـذا كـان المـلالي سـريعين في تشخيص المشكلة : لقـد بعدت إيـران عن القيم الإسلاميـة . كـان لهم رسالـة مقتـدرة أثـارت الحنين إلى المـاضي وغضب الفقراء من الملكية المتدهورة .

وعد آية الله الخميني بانشاء دولـة إسلاميـة تيوقـراطية . وبإبعاد كـل ما لـه علاقـة بالغـرب : من مستشارين عسكـريين وثيـاب غـربيـة للنسـاء وكحـول . ولم يكتف اتبـاع الخميني بـالإنتصار على الشـاه بل رأوا أنفسهم رواد العصـر الإسـلامي الجديد . فـاحتلوا السفارة الأميـركية في طهـران وحولـوها إلى مزار ثوري حيث كانت الجماهير تتجمع حولها باستمرار وكـان البعض ينشد « الموت لأميركا » . فلم تكن الثورة مجرد حدث

داخلي بل اتجهت النية لتصديرها .

وجاءت فرصتهم عام ١٩٨٢ عندما غزت إسرائيل لبنان متذرعة بالإنتقام من الهجوم الإرهابي الذي وقع في لندن ، لكن الهدف الحقيقي كان انهاء الوجود الفلسطيني في لبنان وذلك بطردهم إلى خارج البلاد . قصف الجيش الإسرائيلي ضواحي بيروت الغربية حيث كان الفلسطينيون يتحصنون في مواقعهم ، وذلك بالمدفعية وبأسلحة الدبابات . لكن بقي الفلسطينيون داخل مخابئهم يراقبون انهيار السمعة الإسرائيلية . ارتبكت الولايات المتحدة من جرّاء الصور التي كانت تظهر كل ليلة للجيش الإسرائيلي وهو يقصف عاصمة عربية بأسلحة أميركية . فأعلن عن انسحاب اتفق على ان ترفع إسرائيل بموجبه حصارها عن بيروت مقابل انسحاب المقاتلين الفلسطينيين من المدينة . وأرسلت الولايات المتحدة بعض وحداتها لضمان تنفيذ هذه اللعبة .

ومع ان العديد من المسلمين في بيروت الغربية رحبوا بخروج الفلسطينيين المهيمنين وكانوا ممتنين للأميركيين فقد كان المسلمون بشكل عام غير راضين عن وضعهم . لقد استاؤوا من عدم مشاركتهم في السلطة وقد شعر المسلمون الشيعة بالظلم المطبق عليهم في الأزقة الضيقة في جنوب بيروت وفي القرى الفقيرة في جنوب لبنان . لذا أصبح آية الله الخميني أملهم ووعدتهم ثورته بالدعم . وبدا ان الإسلام يمضي في موجة لا تتوقف ويعد بالتحرر من الظلم وأخيراً

بتحرير أحد أقدس الأماكن الإسلامية : القدس .

ولم يكن مطلب الشيعة زيادة نفوذهم في لبنان ـ بل كانوا يريدون تحويل هذا البلد إلى دولة إسلامية . وبدت أميركا بقوتها العسكرية والإقتصادية تقف في طريقهم . أما في إيران ، فقد اعتبرت الولايات المتحدة مسؤولة عن دعم الشاه وانها مسؤولة عن معارضة حكم الخميني . وبدا بالنسبة لبعض الشيعة الشباب المتشدّدين في لبنان انه لا يمكن تحقيق أهداف ثورتهم الإسلامية إلّا بعد إزالة آخر أثر للنفوذ الأميركي في البلاد . لذا شكلوا في أوائل الثمانينات مجموعة تدعى « حزب الله » .

كان الإيرانيون حاذقين في دعم اخوانهم الشيعة في لبنان وقد أعطاهم وجود القوات الإسرائيلية فرصة سانحة لذلك . وحتى ذلك الوقت كانت سوريا ، التي كان لها علاقات مع معظم الأفرقاء اللبنانيين ، تنفي وجود إيرانيين في لبنان . لكن الإجتياح الإسرائيلي هدد مصالح سوريا في لبنان وكانت دمشق مستعدة للترحيب بأية مجموعة تعارض الإسرائيليين وبصورة خاصة المقاتلين المتعصبين القادمين من إيران . وهكذا وفي عام ١٩٨٢ أعدت وحدة من الحرس الثوري الإيراني معسكراً في مدينة بعلبك في وادي البقاع . وسرعان ما ظهر تأثير وصول هذا الحرس في بيروت .

كان السفير الإيراني في سوريا محمد محتشمي مسؤولاً عن الحرس الثوري في لبنان . ولم تكن مهمة الحرس نشر

الرسالة الثورية الإيرانية فحسب ، بل تأمين التمويل اللازم لتحويل حزب الله إلى ميليشيا . لم يكن الحرس منظمة لها هيكلية تنظيمية واضحة ، بل مجموعة من العائلات والمجموعات تجمع بينها النزعة الدينية . وكانت السفارة الإيرانية في دمشق تتولى الإشراف المركزي على الحزب . كما كان بعض قادة حزب الله ينتمون إلى ما يسمى مجلس لبنان الذي كان يرأسه السفير الإيراني لقد أدى هذا التنظيم الركيك واستخدام اسم الجهاد الإسلامي غطاءً له ، إلى صعوبة تحديد هذه المجموعة ومعرفتها وبالتالي إلى اعطائها مناعة ضد الهجمات الإنتقامية . ومع الوقت نما حزب الله وأصبح أحد الفصائل المسلحة الرئيسية في بيروت . وكان تعصبه قد جعله مختلفاً عن بقية الميليشيات . فكان أعضاء هذا الحزب مستعدين للتضحية بحياتهم وتنفيذ هجمات إنتحارية ضد القوات الإسرائيلية . واستطاعوا ان يعلنوا عن فضل كبير لهم في تأمين انسحاب إسرائيل من لبنان وتكبيدها خسائر تزيد عن ستمائة قتيلاً . وأراد حزب الله ان يخلص البلاد من الأميركيين بعد ان ساعد في طرد الإسرائيليين . . فمنذ عام ١٩٨٣ قام بعمليات انتحارية ضد القوات الأميركية وضد مبنى السفارة الأميركية . وبدأ خطف الأجانب وذلك كجزء من السياسة نفسها .

لم يكن سبب احتجاز الرهائن هو الكراهية للولايات المتحدة فقط ، بل كانت لهم مطالب محددة ففي حزيران/

يونية ١٩٨٤ ، أي بعد شهر من احتجاز بنجامين وير ، أرغمه خاطفوه على كتابة رسالة إلى « سمو أمير الكويت » . قال وير في هذه الرسالة ان حريته تعتمد على اطلاق سراح سبعة عشر معتقلاً متهمين بالقاء متفجرات على سفارتي الولايات المتحدة وفرنسا في الكويت .

كان أحد هؤلاء السجناء لبنانياً يدعى مصطفى بدر الدين وهو شقيق زوجة عماد مغنية أحد قادة الميليشيا والذي يتمتع بنفوذ كبير في أوساط الفئات المسلحة في بيروت الغربية . ورأى الأميركيون ان مغنية هو : « أخطر ارهابي يعمل ضد المصالح الغربية في الشرق الأوسط » وكان من أعماله ، التخطيط لتفجير مبنى السفارة الأميركية في بيروت . كما كان قد تورط في خطف وليم بكلي رئيس محطة وكالة المخابرات المركزية في بيروت .

كان مغنية شاباً وسيماً ملتحياً ، في أواسط الثلاثينات من عمره وهو نموذج عن افرازات الحرب اللبنانية . نشأ في قرية فقيرة في جنوب لبنان وجذبته عقيدة الفلسطينيين الراديكالية . تلقى التدريب عند الفلسطينيين ثم انضم إلى القوة ١٧ وهي وحدة من نخبة العناصر تتولى القيام بعمليات خاصة ضد الإسرائيليين . وفيما بعد أصبح رئيس جهاز الأمن التابع للشيخ فضل الله الزعيم الروحي لحزب الله .

كانت هناك عدة أسباب تدفعه إلى التصميم على تحرير

بدر الدين : أولها كان التكبر والغرور . إذ ان مغنية كان قد بنى ميليشيا خاصة به وهي فرع من حزب الله ومعـظم عناصـرها من أفـراد عائلتـه . ان فشله في تحريـر شقيق زوجته واعـادتـه إلى منزله يؤدي إلى فشل معنوي بين العصابات المسلحة المتناحرة في بيروت .

أما السبب الثاني وربما الأهم فهو ان بـدر الدين ومغنيـة كانا شـريكين سابقين وقـد نفذا من قبـل عدداً من العمليـات . وكـان للصـداقــة دور في حث مغنيـة على خــطف الـرهــائن ومقايضتهم بتحرير بدر الدين .

كان مغنية على علاقة وثيقة مع الحرس الثوري الإيـراني المـوجود في وادي البقـاع في لبنان ، بمسـاعـدة أسيـادهم في إيـران ، لذا أصبـح قادة الحـرس عـرابين لمغنيـة وقـدمـوا لـه التمويل والحماية ودربـوا عناصـره . وقد زار مغنيـة إيران عـدة مـرات حيث أقام عـلاقات واتصـالات خـاصـة بـه مـع القيـادة الإيـرانية . وقـد أدى مطلبـه باطـلاق سـراح شقيق زوجتـه إلى تعقيـد الأهداف الإيـرانية الـواسعة . ومـا كان يصعب على من كـان يعمل لاطـلاق سراح الـرهـائن هـو درجـة السيـطرة التي تمارسها إيران على مغنية .

أمــا بــالنسبــة لتيــري وايت ، فـفي أوائــل صـيف عـام ١٩٨٥ ، كان من الصعب عليـه ان يعرف من أين يبـدأ . لذا أراد التعامل مع الخاطفين مباشرة وفي الوقت نفسـه البحث

عن حلول إنســانيــة لمشكلة المعتقلين في الكــويــت . وفي حزيران/ يونية بدأ بمتابعة اقتراح « أموال الدم » الذي أعده هو ونـورث . لقـد كـان عمـلاً صعبـاً . إذ لم يكن لـدى الكـويت أسمـاء جميع الـذين قتلوا أو جرحـوا في التفجيرات فقـد كـان بعضهم عمـالاً من البـاكستـان ، وعـادوا بعـد الحـوادث إلى بلادهم . ومن خلال اتصالاته الشخصية ، جعل سميـر حبيبي مجلة « تايم » تعمل في البحث عن هذه الأسماء . وكان شقيق حبيبي ويـدعى أرمـان ولـه اتصـالات ممتـازة في الخليـج الفارسي ، هو أول من اقترح هذه الفكرة قد قابل أوليفـر نورث ليرى ما إذا كانت حكومة الولايات المتحدة تساعد بكل طاقاتها في هذه العملية .

وبحلول تمـوز/ يـوليـة أدرك تيـري وايت وسميـر حبيبي انهما حققا تقدماً طفيفاً . إذ توصلا إلى فكرة جـديدة قـالا انها يمكن ان تسهل على الكويت اصدار عفو عن المعتقلين : كانا في لندن في الوقت نفسه وأجريا اتصالاً مع أوليفر نورث وفوجئا بان قال لهمـا انه يـود رؤيتهما في صبـاح الغد . فحجـز حبيبي غرفة في فندق شيراتـون قرب مـطار هيثرو والتقط نـورث رحلة ليلية من واشنطن إلى لندن وعندمـا وصل كـان حيويـاً ، نشيطاً على الـرغم من انه لم ينم إلاّ قليـلاً في الطائـرة . وبينما كـان حبيبي يطلب القهوة ، كان نورث يـأخذ حمـاماً حلق ذقنـه فقد ارتاح لوجود رجلي الدين . اللذين أخـذ يحدثهمـا عن عائلتـه وهـو ينشف جسمه ؛ لقـد كانت ثمـاني عشرة سـاعة عمـل في

البيت الأبيض صعبة على زوجته وأطفاله . فقال تيري وايت انه يتفهم هذه المشكلة : إذ انه وضع عائلته في حالة اجهاد عندما كان يجري مفاوضات طويلة في ليبيا .

بعدها تحول الحديث إلى الرهائن . فقال وايت ان هناك صعوبات تعترض اقتراح « أموال الدم » ومع ذلك يمكن تهيئة بعض أقارب ضحايا الإنفجارات في الكويت لمناشدة أمير الكويت لاصدار عفو ، وإن كان في شك من كفاية ذلك أما نورث فلم يكن هو الآخر واثق بعد ذلك ، فلقد رأى انه من الممكن ان يقنع الخاطفين في بيروت بأن هذه الصفقة ممكنة وانهم سيساعدون إذا ما أظهروا بادرة حسنة باطلاق بعض الرهائن .

لم يكن وايت سهلاً . إذ كان يعلم ان الكويتيين قابلوا فكرة « أموال الدم » بشيء من البرودة .

فقال نورث انه فهم من خلال اتصالاته الخاصة انه يمكن اقناع الأمير . فلم يرضِ وايت ما سمعه فأجاب : « إذا كانت مصادرك تكذب فان مصير الرهائن عندئذ هو الموت » .

لم يرتبك نورث من ملاحظة وايت القاسية ولكن تبادل الحديث أزعج تيري وايت وذكر ذلك لفريد ويلسون في الكنيسة المشيخية . كانت لحظة أدرك فيها الطريقة التي كان نورث يعقد فيها صفقاته ، لكنها مرت ، دون ان تتصاعد الشكوك حول هذا المسؤول الشاب الحيوي القادم من البيت الأبيض .

ثم تحــدث حبيبي عن خـطتهمــا ؛ فلم يكن الأســرى الشيعة يقتصرون على السبعـة عشر المعتقلين في الكـويت بل كــان عـدد كبيــر من شبـابهم محتجــزين لـدى جيش لبنــان الجنـوبي ، حليف إسـرائيـل في لبنـان . ورأى حبيبي انـه من الممكن ان يطلق قائد هذا الجيش الجنرال انطوان لحـد سراح بعضهم . وهـذا ما يمكن الخـاطفين من الإعـلان انهم حققـوا شيئاً ما ليطلقوا سراح بعض الرهائن . وهذا ما يسهل على أمير الكويت اصدار عفو عن السبعة عشر . رأى نورث ان هذه فكرة جيدة ، وبدأ يـرسم خطة على الـورق . منها ان على وايت ان يقابل الجنـرال لحد . عـاد نورث إلى واشنـطن في ذلك اليـوم بينمـا ذهب حبيبي إلى الفاتيكـان ليعرض مسـاعدتـه في تأمين اجتمـاع بين وايت والجنرال لحـد الذي هـو من طـائفـة الـروم الكاثوليك .

كان نورث يعمل في مجموعة من الحلول المثيرة للجدل لازمـة الرهـائن دون علم وايت أو حبيبي وقـد تضمنت إحـدى الخـطط استخدام أمـوال خاصـة لافتـداء رهينـة بمبلغ مليـوني دولار . لكن مصادره سخرت من ذلك ولم يصل المشروع إلى أية نتيجة . واستناداً إلى ما ورد في كتاب أفضل الخطط لديفيد مارتن وجون والكوت ، اقترح أوليفر نورث ان تحاول الولايات المتحــدة اخــراج السجنــاء من سجن الكــويـت وتبــادلـهم بـالرهـائن . وذلـك ممكن ، بـأن يخـدع نـورث مغنيـة وذلـك بـاطلاق سـراح الرهـائن مـع تـرك امكـانيـة استعـادة السجنـاء

الكويتيين وارسالهم مجدداً إلى السجن » . إلاّ ان أي مسؤول في الإدارة لم يأخذ هذه الفكرة على محمل الجد .

خلال أشهر صيف ١٩٨٥ اشترك في المساعي أسقف كانتربري الدكتور رونسي . وفي تموز /يولية اتصل بالسفير السوري في لندن . طالباً ان يؤمن موعداً لتيري وايت مع الرئيس السوري حافظ الأسد . ومع ان الخاطفين كانوا أكثر قرباً لإيران فان سوريا كان لها النفوذ الأكبر في لبنان ، وإذا كانت غير قادرة أحياناً على تمرير خططها في لبنان إلاّ انها كانت تستطيع احباط خطط الآخرين إذا لم تكن موافقة عليها . وعد السفير بالمساعدة وأكد للأسقف ان سوريا تفعل كل ما بوسعها لانهاء مسألة الرهائن في لبنان . ولكن مضت أسابيع ولم يرد جواب من دمشق لهذا كتب الدكتور رونسي للبابا . ليرى ما إذا كان للكنيسة الكاثوليكية نفوذ أكبر في تأمين لقاء تيري وايت مع الرئيس السوري .

أخيراً أرسل أسقف الكنيسة الابسكوبية البروتستانتية رسالة مباشرة إلى الرئيس الأسد عبر فيها عن قلقه حول مصير أحد أبناء رعيته بنجامين وير الذي احتجز رهينة . وطلب من سوريا ان تستعمل نفوذها لتنهي ما كان يشكل بوضوح موقفاً غير عادل ويناقض المبادىء الإسلامية . كانت الكنيسة تحاول ان ترسم حدوداً بين أمثال وليم بكلي الذي احتجز لأسباب سياسية وأمثال بنجامين وير الذين اعتبروا شخصيات دينية . فإذا لم ينجح النداء الموجه من الكنائس المسيحية فلقد كان

من الضروري ان يبقى منفصلاً عن الجهود الحكومية وبصورة خاصة عن جهود الإدارة الأميركية .

كان هذا التحرك الذي قامت به الكنيسة الانغليكانية حول الرهائن الأميركيين مفاجئاً . لقد استهلكت طاقات كثيرة حول مشكلة ليس لها صلة مباشرة لا بالكنيسة الانغليكانية ولا بالمملكة المتحدة . كانت الكنيسة تتوه في حقل ألغام سياسات الشرق الأوسط . وكان ذلك دليلاً على ان نجاح تيري وايت في إيران وليبيا قد شجع أسقف كانتربري على الإعتقاد بان الكنيسة الانغليكانية ، مثل الفاتيكان ، يمكنها لعب دور في الشؤون الدولية .

ومع ان وايت وسمير حبيبي والأسقف جهدوا كثيراً خلال الصيف فانهم لم يلقوا أي مكافأة على جهودهم . فقد رفض السوريون لقاء تيري وايت كما لم تصل فكرة « أموال الدم » إلى أية نتيجة وكذلك كان مصير فكرة السجناء الشيعة الآخرين . حتى خلال الثمانية عشر شهراً القادمة فإن الأسقف لن يتدخل في موضوع الرهائن الأميركيين بل سيترك ذلك لتيري وايت ولمجموعة صغيرة من المستشارين .

وفي حين كان تيري وايت يتابع أفكاره الخاصة لحل مشكلة الرهائن كانت الإدارة الأميركية تستطلع لأحد أكثر المشاريع غموضاً وريبة . ففي أوائل عام ١٩٨٥ وبعد سلسلة من اللقاءات كشف عدد من تجار الأسلحة والوسطاء الإيرانيين عن تبادل الأسلحة بالرهائن الأميركيين . لم يتورط أي من

مسؤولي الإدارة الرسميين بهذه المحادثات التي توافقت مع رغبة متزايدة داخل الإدارة الأميركية من أجل اعادة الحوار مع إيران .

ان إيران هي مفتاح الخليج الفارسي . وكان هذا الرأي السائد في مؤسسات السياسة الخارجية في واشنطن . وكانت أميركا تخاف كثيراً من ان تصبح ، نتيجة دعمها للشاه ، خارج أهم المناطق في العالم . وفي مجال آخر فإنه عندما يموت الزعيم الروحي الإيراني آية الله الخميني ، فانه من المتوقع يحصل تطاحن على السلطة بين مختلف رجال الدين . من هنا كانت الولايات المتحدة قلقة إذ لم يكن لها أي نفوذ مع أي من الأفرقاء الحاليين أو القادمين في حين أبقى الإتحاد السوفياتي الباب مفتوحاً معهم من خلال التجارة .

لذا انشغلت وكالة المخابرات المركزية باحتمال سيطرة الشيوعيين على الحكم بعد وفاة الخميني . وفي أيار/ مايو أرسل غراهام فولر مدير الإستخبارات القومية في الشرق الأوسط وجنوب آسيا في وكالة المخابرات المركزية مذكرة من خمس صفحات إلى المدير وليم كايسي . لقد كان فولر متشائماً : « تواجه الولايات المتحدة موقفاً صعباً في اعتماد سياسة جديدة نحو إيران . وتتسارع الأحداث ضد مصالحنا وما لدينا بدائل قليلة . وبشكل أفضل ، فإن نظام الخميني يضطرب ويحتمل ان يتحرك باتجاه لحظة الحقيقة . وسوف نرى قريباً صراعاً على الخلافة . وليس للولايات المتحدة

أوراق تلعبها ، بينما للاتحاد السوفياتي الكثير » . لذا أعد فولر لائحة من عدة خيارات ومعظمها كان يملك أملاً ضئيلاً بالنجاح . ثم توصل إلى القول : « ان أفضل عمل ان نجعل الدول الصديقة تبيع أسلحة . . . كوسيلة لنظهر لطهران ان لها بدائل عن الإتحاد السوفياتي » .

أدرك فولر ان هذه سياسة خطرة ، لكن تحليله ضرب على أوتار البعض في الإدارة وخصوصاً مستشار الأمن القومي روبرت مكفرلين الذي كان هو الآخر يسعى إلى تحسين العلاقات مع إيران لانه كان يؤمن بان الإيرانيين يستطيعون ممارسة نفوذهم على محتجزي الرهائن في لبنان . وفي نيسان/ ابريل زار أحد المستشارين في مجلس الأمن القومي وهو مايكل ليدين إسرائيل بمباركة من مكفرلين . فلقد آمن كلاهما ان إسرائيل تملك اتصالات غير رسمية مع الإيرانيين . طلب ليدين من رئيس الوزراء الإسرائيلي شيمون بيريز المساعدة على تأمين اطلاق سراح الرهائن ، لكن بيريز لم يكن واثقاً من أنه باستطاعته ان يفعل شيئاً ما . علم ليدين من خلال اتصالات أخرى ان الوضع في إيران يمكن ان يكون ليناً أكثر مما يعتقد الآخرون وانه من الممكن تقوية « المعتدلين » داخل القيادة الإيرانية .

وتم استكشاف فكرتين في الوقت نفسه : الأولى تقضي بالإنفتاح على إيران . والثانية تعالج كيفية مساعدة الرهائن . ومع مرور فصل الصيف أصبحت الفكرتان متلازمتين بحيث لا

يمكن الفصل بينهما ، مع ان جميع المشتركين صرحوا فيما بعد ان الباعث الأساسي لهم كان تحسين العلاقات مع إيران . وتبين من خلال الوسطاء ان ثمن « الإنفتاح على إيران هو السلاح الذي تحتاجه في حربها مع العراق » .

في أيار/ مايو سعت إسرائيل إلى موافقة واشنطن الرسمية على شحن الأسلحة إلى إيران . وبما ان معظم الأسلحة الإسرائيلية هي من تصميم أميركي فانه كان هناك ضرورة لموافقة واشنطن على بيعها لفريق ثالث . أما في الجانب الإسرائيلي فكان ذلك نوعاً من تشريع العمل . فمنذ عام ١٩٨٠ كانت تبيع السلاح إلى إيران سراً وذلك لاطالة أمد حرب الخليج لان ذلك يصب في اطار مصلحتها القومية .

كانت إسرائيل تطلب ان تجد ترحيباً في واشنطن لانه بدا انها تقدم عرضاً لحل مأزق الطريق المسدود مع إيران وحل أزمة الرهائن . في هذه المرحلة وفي أوائل صيف عام ١٩٨٥ لم يكن الرئيس ريغان قد وافق على هذه السياسة . لكن أرسلت اشارة إلى إيران تفيد بان الولايات المتحدة ترغب بمبادلة الأسلحة بالرهائن . وهذا حد كان قد تم تجاوزه .

حصلت حادثة في ذلك الصيف عززت الرأي السائد في الإدارة من ان القيادة الدينية في إيران كانت تمارس نفوذاً على المجموعات الشيعية المتشددة في لبنان . ففي ١٤ حزيران /يونيه اختطفت طائرة تابعة لشركة الخطوط العالمية T.W.A تقوم بالرحلة رقم ٨٤٧ بعدما غادرت مطار أثينا وكان على متنها

مئة وثلاثـة وخمسون شخصـاً من بينهم مئة وخمسـة وثـلاثـون أميركياً . وقد وجّه الخاطفون الطيار بان يحلق في أجواء الشرق الأوسط ويتـوقف في الجـزائـر ثم في بيـروت . وكـان من بين مطالب الخاطفين اطـلاق سراح مئـات الشيعة المحتجـزين في السجون الإسرائيلية وسبعة عشر رجلاً محتجزين في الكويت .

كــان الخـاطفــون وهم لبنـانيــون ، عنيفين وفي بعض الأحيان هستيريين . كانوا يحملون قنابل يدوية منزوعة الحيـطة ومسدسات مصوّبة .

وصف كـورت كارلسـون وهو احتيـاطي في الجيش كان على متن الـطائـرة ، وصف أجـواء الـرعب : « إذا تحـرك أي شخص أو أحـدث صوتـاً كانـوا يثبون ويضـربـون النـاس على ظهـورهم وأعنـاقهم بحـركـات الكـاراتيـة بـاليـد أو بسبـطانـة المسـدس . وبعـدمـا وثب مسـافـة ثـلاثـة أقـدام رفس أحــد الخاطفين امرأة عجوزاً وحطّم نـظاريتها » . وفيمـا بعد أرغمـوا أعضاء الطاقم على ان يقرأوا الأسماء من جـوازات السفر . ثم فصل الذين توحي أسماؤهم بانهم يهود عن بقية الركاب . وتم تحديد ستة رجال على انهم يعملون في البحرية الأميركية . ثم أطلقت النـار على أحدهم وهـو بوب ستيش فقتـل ورميت جثته على باحة مطار بيروت .

طلب الخـاطفـون من بـرج المـراقبـة ان يسمـح لبعض زمـلائهم بالصعـود إلى متن الطائـرة . وبعد مقتـل بوب ستيش وافقت السلطات اللبنـانيـة وحضـر حـوالي عشـرة مسلحين من

ضاحية بيروت الغربية الشيعية وانضموا إلى الخاطفين وكان من بينهم عماد مغنية . وقد شاهد بعض الركاب مغنية الذي كان يتكلم الانكليزية واعتبروه أفضل من الخاطفين المتقلبين .

وبعد عدة رحلات في الشرق الأوسط ، أخرج الرهائن من الطائرة ونقلوا إلى أحياء ضاحية بيروت الفقيرة . واستطاعت الولايات المتحدة ان تقنع نبيه بري زعيم الميليشيا الشيعية المعتدلة أمل بان يتولى المسؤولية عن سلامة الرهائن . وبعد ان وافقت إسرائيل على اطلاق سراح بعض السجناء الشيعة تم تحقيق اختراق الأزمة .

لاحظ المسؤولون الأميركيون دوراً محورياً لعبه كل من الرئيس الأسد والإيرانيون . فقد كان الأسد تواقاً لكي يظهر انه اللاعب الأساسي والمهيمن في لبنان وضمن انعقاد الصفقة إذ كان هناك خطر من ان تفلت من يده ، ولكنه وفي مجال ممارسة الضغوط اتجه إلى علي أكبر هاشمي رفسنجاي رئيس مجلس النواب الإيراني الذي كان موجوداً في العاصمة السورية في وقت اجراء المفاوضات . وكان في دمشق أيضاً محمد محتشمي الرجل الذي يعتقد انه مسؤول عن حزب الله ومحسن رفيق دوست الوزير الإيراني المفوض لشؤون الحرس الثوري . والسيد فضل الله الزعيم الروحي لحزب الله . واتفق في واشنطن على ان الخاطفين وافقوا على اطلاق سراح الركاب بناء لأوامر القيادة الإيرانية .

ومع ان الخاطفين حصلوا على تنازلات مهمة من

إسرائيل فانهم فشلوا في تحقيق أي تقدم في موضوع المعتقلين في الكويت . وقد حاول الأميركيون ان يضعوا مسألة الرهائن في نهاية الصفقة لكن ذلك كان مستحيلاً . فقبل أسبوعين من خطف الطائرة انضم أميركي ثالث إلى لائحة المحتجزين وهو ديفيد جاكوبسون مدير مستشفى الجامعة الأميركية الذي اختطف في أحد شوارع بيروت الغربية واستمرت أزمة الرهائن بحيث أصبحت إيران مفتاح أي حل .

وفي آب/ أغسطس وبينما كان تيري وايت يحاول المجيء إلى دمشق ، قرر الأميركيون مباشرة العمل بإحدى أشدّ أفكارهم حساسية . إذ توصلت المباحثات بين الإسرائيليين والمسؤولين الأميركيين والوسطاء الإيرانيين إلى اقتراح . فقد أشار الإيرانيون انهم سينظرون إلى تسليم السلاح كتعبير عن رغبة الولايات المتحدة في اقامة علاقات أفضل مع إيران ومقابل ذلك فانها ستقنع الخاطفين في لبنان باطلاق سراح الرهائن . إلّا أن اليد الأميركية ستحجب في هذه القضية بحيث تقوم إسرائيل عملياً بشحن السلاح بينما تقوم الولايات المتحدة باستكمال النقص لإسرائيل من مستودعاتها .

وفي ٢٠ آب/ اغسطس وصلت شحنة من صواريخ تو المضادة للدبابات جواً من إسرائيل إلى إيران . فأعطي الأميركيون انطباعاً بانه سيطلق سراح أربع رهائن . إلّا ان أحداً لم يطلق سراحه . وقد برر ذلك الوسيط الإيراني في اجتماع محموم عقد في باريس بان الصواريخ قد وصلت إلى فريق

آخر . وبعد مفاوضات أخرى تم الإتفاق على ارسال أربعمائة وثمانية صواريخ إلى إيران مقابل اطلاق سراح أحد الرهائن . وقد أعطي الأميركيون روبرت مكفرلين الخيار البغيض في انتقاء اسم الرهينة الذي سيطلق سراحه . فاختار مكفرلين وليم بكلي ريس محطة وكالة المخابرات المركزية في بيروت ؛ لقد كان من الرهائن الذين لم يستطع الخاطفون مبادلته لان بكلي كان قد توفي في ٣ حزيران/ يونية . ومع ان الإستخبارات الأميركية كانت قد سمعت عن وفاة بكلي فان الإدارة تابعت ممارسة ضغوطها على إيران من أجل اطلاق سراحه . وتم التخطيط لوصول الشحنة في ١٥ أيلول/ سبتمير .

وافق الرئيس ريغان على قرار السماح ببيع الأسلحة إلى إيران خلال شهر آب/ اغسطس . وكان ذلك مناقضاً للسياسة الرسمية الأميركية التي تعارض بيع الأسلحة إلى إيران ، وتعوّض خط الإدارة المتشدد في معارضة تقديم أي تنازلات للإرهابيين وكان ريغان قبل بضعة أسابيع قد صرّح لجمعية بار الأميركية : « دعني أوضح للقتلة في بيروت ولشركائهم ان أميركا لن تقدم أي تنازل للإرهابيين » . وعندما أرادت لجنة من الكونغرس التحقيق في القضية لاحظت ان قراراً غير مكتوب بتزويد السلاح ، يخالف مبادىء الإدارة المعلنة ، قد « اتخذ بشكل اعتباطي لم يتذكره الرئيس بعد خمسة عشر شهراً ولم يعلم به وزيرا الدفاع والخارجية في ذلك الوقت » .

الغطاء الاكليركي

ذات يـوم من تموز/ يـوليه ١٩٨٥ سـأل أحـد الحـراس بنجامين وير ما إذا كان يحب ان يشاهد برنامجاً تلفزيونياً . سـر وير لذلك وتمّ تفكيك قيـوده ثم اقتيد عبـر سلسلة من الممرات وهـو معصـوب العينين . وأمـر بـالجلوس على فـراش قـال الحارس : « هذا صديقك إلى جـانبك . خـذ يده » . مـد وير يديه فأحس بأصابع إنسـان . تعجب . فبعد ١٤ شهـراً ها هـو يلمس إنساناً !

فيما بعد قـدم الرجـل نفسه على انـه الأب مارتن جنكـو وهو راهب كاثوليكي . في تلك الليلة انتقلا إلى غرفة واحدة . تم تغيير مكان احتجـازهما . وكتب ويـر : « هنا كـانت صحبة بشرية بعد وقت طويـل . لقد بكينـا ومزحنـا وتقاسمنـا الايمان نفسـه وكانت لنـا تجارب مشتـركة . كـان هناك قلق ومخـاوف

نتقاسمها . واستمر ذلك الوضع وبدا ان ليس هناك نهاية لما نقوله .

وتدفقت عواطف ومشاعر عظيمة .

في اليوم التالي علما ان تيري اندرسون مراسل وكالة الاسوشياتد برس في الشرق الأوسط وديفيد جاكوبسون مدير مستشفى الجامعة الأميركية في بيروت كانا محتجزين في المبنى نفسه . وفيما بعد انضم إليهم توماس سذر لاند عميد كلية الزراعة .

بدأت أحوالهما تتحسن إذ سمح لهما بممارسة العبادة معاً . وأخذ كل رهينة صاحبه في رحلة خيالية . أخذهم توماس سذر لاند إلى موطنه سكوتلاندة وذلك عندما ألقى أشعاراً لروبرت برنز . وأخذهم الأب جنكو إلى روما وأرشدهم إلى المطاعم والمتاحف والكنائس . وأخذهم ديفيد جاكويسون إلى شقته وطبخ لهم وجبة . كان خيالهم وسيلة لهربهم من الأسر . وكان جان بول كوفمان وهو رهينة فرنسي احتجز بمعزل عن الأميركيين يستظهر أسماء واحد وستين نوعاً من نبيذ بوردو في عام ١٨٥٥ . وكتب فيما بعد : « في أي يوم كنت أتمشى في شوارع ميدوك . ومع اني كنت مقيداً بالسلاسل فإني لم انقطع عن التجول على الهضاب الجميلة . كنت أرى في خيالي صفوف الأشجار التي تؤدي إلى شاتو مارغو وحدائق ايكوم على الطراز التوسكاني وأبراج كوس استورينل وأزهار جيسكور » .

في نهـاية الأسبـوع الأول من شهـر أيلول/ سبتمبـر قـال الحراس انهم يبحثون في اخلاء سبيل أحدهم وسألـوا الرهـائن من يكون ذلك .

أرادوا من الشخص ان يضغط على حكـومـة الــولايـات المتحدة لاطلاق سراح المعتقلين في الكويت . لقد كان ذلـك خياراً صعباً بالنسبة لرجال يعانون من الأسر . كان الأب جنكـو في حال صحية سيئة ، لكن تيري اندرسون الذي له اتصـالات صحافية كان الشخص الملائم لحمل رسالة الرهائن . وعندمـا لم يتمكنوا من اتخاذ قـرار أجروا سلسلة من الإقتـراعات بينهم فاز فيها أخيراً تيري أندرسون .

عندما عاد الحراس كـانوا قـد اتخذوا القـرار وقالـوا وهـم يشيـرون إلى بنجامين ويـر : « أنت الذي ستـرحـل » . فكـان ذلك محبطاً بالنسبة لتيري أندرسون .

تتـابعت الأحداث بسـرعة . حلق ويـر لحيته وأخـذ إلى الـدور السفلي وهـو معصـوب العينين واقتيـد إلى سيـارة حيث طلب منـه ان يستلقي على المقعـد . وكمـا تـذكـر قـال لـه الحراس : « هناك سببان لاطلاق سـراحك . الأول هـو تأكيـد مطلبنا باطلاق سراح السبعة عشر معتقلاً في الكويت والثاني هو اظهار حسن نيتنا في اننا نريد ان نحل هذه المسألة بهدوء ودون ضجة إعلامية » .

سمع وير السيارة وهي تسير في المـدينة ولم يجـرؤ على

الأمل بانه فعلاً قد تحرر . وبعد عشرين دقيقة قال لـه السائق : « كن جـاهزاً الآن للخـروج من السيارة عنـدما نتـوقف . انـزع قنـاعـك عن وجهـك عنـدمـا تخـرج ولا تنــظر إلى الخلف . ستعرف أين أنت » . ووجد نفسـه في شارع مـألوف قـريب من الجـامعـة وتـوجـه إلى منـزل بعض الأصـدقــاء الـذين اتصلوا بالسفارة الأميركية .

لم يكن أوليفـر نورث فـريقاً في صفقـات الأسلحـة مـع إيـران . مـع انـه كـان مشتـركـاً في مشـاريـع أخـرى لتحـريـر الرهائن . فان المفاوضات مع إسرائيل والوسطاء الإيرانيين كان يجريها آخرون . ويعتقد أحـد الذين خـدموا في مجلس الأمن القومي في ذلك الوقت ان نورث لم يعلم بالصفقة مع إيران إلاّ في نهاية آب/ اغسطس . وعندمـا قال الإسـرائيليون لـروبرت مكفـرلين في أيلول/ سبتمبر انَّ أحـد الرهـائن سيطلق سـراحه حتماً ، كلف أوليفر نورث باتخـاذ الترتيبـات اللازمـة والتحقيق معه .

كـان للولايات المتحـدة منشآت جـاهزة دائمـاً لاستقبال الرهائن في قاعدة فيسبادن في ألمانيا الغربيـة تتضمن مستشفى كامل التجهيز وأطباء نفسيين متخصصين بحالات الذين يعانون من صـدمة الأسـر . كان أوليفـر نورث على وشـك ان يتجـاوز الترتيبات . فـأراد ان يبقي على بنجامين ويـر في الإنفراد لانـه كان يعتقد انه إذا لم تحدث ضجـة إعلاميـة فان رهـائن آخرين يمكن ان يـطلق سراحهم . إن أحـد الملامـح غير العـادية في

هذه القضية كان سذاجـة الأميركيين الـذين كانـوا خلال ثمـانية عشـــر شهـراً يعتقـــدون ان الإيـرانيين ســـوف يعقـــدون معهم معـاهدات شـرف دون ان يدركـوا انهـم لا ينوون إطـلاق سراح أكثـــر من رهينـة واحـــدة آنـذاك وبعـــد ان حصلوا على الثمن الأغلى ، إذ كان الوعد باطلاق رهينتين أو ثلاثة يهدف إلى رفع أسعار الصفقة .

وبينما كان وير في السفارة الأميركية في بيـروت ، طلب ان يتصل بزوجتـه ، لكن قيل لـه ان ذلك غيـر ممكن . وانتقل بطائرة هلكوبتر إلى سـطح حاملة الـطائرات نيميتـز حيث طلب منه ان يعتمر خوذة طيران ليخفي شخصيتـه . وفي اليوم التـالي لاطـلاق سراحـه انتقـل من الحـاملة على متن طـائـرة مضـادة للغواصات وتـوجه إلى قـاعدة أميـركية في صقليـة ، حيث نقل إلى طائرة شحن وتوجه على متنها إلى نورفولك في فيرجينيا .

اتصل روبرت مكفرلين بكارول وير عندمـا كانت تحضـر قداساً في كنيسة في ايوا ، قائلاً لها ان زوجها مـوجود الآن مـع البحرية الأميركية وانه من المفضل ان لا يتكلموا أمام الصحافة قبل ثلاثة أيام أو أربعة . قال أوليفر نورث لابن بنجامين وير انه رتب منزلاً آمناً يصلح لجمع شمل العائلة . لم تكن كارول وير سعيدة بهذه الترتيبات . فقد أرادت ان تلتقي مع زوجها عندمـا يخرج من الطائرة على الأرض الأميركية كشخص حر » .

التقى أفراد عائلة وير وفريد ويلسون في نيويورك وطـاروا في طائرة خاصة إلى مدرج مهجور في فـرجينيا . كـانت ثلاث

عربات حكومية بانتظارهم . وكـان السائقـون يضعون نـظارات سوداء لم يعرفوا عن أسمائهم ولم يبوحوا بـأي شيء قد يعـرف عنهم . كـانت لديهم تعليمـات بنقل عـائلة وير إلى منـزل آمن لكن العائلة أصرت على ان تنتقل إلى فندق .

في ذلك المساء اتصل روبرت مكفرلين بكارول ويـر مرة أخرى . قائلاً ان زوجها سوف يصل إلى مطار آخر . فـأصيبت السيدة وير بخيبة أمل وطالبت بان تكـون موجـودة عندمـا تهبط طائرة زوجها فأجابها مكفرلين . « يعود لك أمر ترتيب ذلك » .

وأخيـراً ظهـرت إلى العلن أنبـاء التـوتـر بين عـائلة هـذا الرهينة والحكومة .

قالت السيدة وير : « بالتأكيد أنت لا تـريد مني ان أخبـر الصحافة ان روبرت مكفرلين يريد ان يبعدني عن زوجي » .

غضب مكفـرلين وقال : لقـد أنفقت الحكومـة الملايين من أجل اطلاق سراح بنجامين وير . وتفهم صعوبـة وضعها ثم صرخ : « لقد تعبت منك أيتها السيدة » وأقفل خط الهاتف .

هبط بنجـامين وير في مـطار عسكري . وكـان يتوقـع ان تكون عائلتـه بانتـظاره لكنه وجـد بدلاً منهـا شخصين يرتـديان لباساً مدنياً وقد قدما باتجاه الطائـرة . أخذاه إلى مقصف حيث كان بانتـظاره أوليفر نـورث وبعض مسؤولي وكالـة المخابـرات المركزية واحدى الممرضات . شرح نورث انـه أراد ان يذهب وير وعائلته إلى منزل آمن لبضعة أيام وذلك بأمل اطلاق سـراح

المزيد من الرهائن .

وتـذكر ويـر فيما بعـد : « سألتـه ما هـو موقف زوجتي » فـأجاب نـورث : « حسناً ان عـائلتـك هنـا تقيم في فنـدق في نورفولك ونحن نريد ان نعزلـك إلاّ ان عائلتـك تفضل ان تبقى في الفندق » واستنتجت ان علي ان التقي مع عائلتي قبل اتخاذ ذلــك القـرار » . رأى ويــر ان نـورث « صبــور ومتفهم لكنـه متصلب » . وكـان الرهينـة المتحرر صلبـاً أيضاً . أخيـراً وافق نـورث على ان يأخـذه إلى الفندق حيث اجتمـع شمل العـائلة الساعة الثانية والنصف صباحاً .

كانت العلاقات بين آل وير والحكومة تتجه إلى مزيد من التوتر . فاتصل مسؤولو الإستخبارات بفريد ويلسون الذي كان في الفندق عندما وصل وير وطلبوا منه جلسة استماع إلى وير . فيما بعد وفي ذلك اليوم تحدث معهم لمدة خمس ساعات وفي الأسبوع التالي اتصل نورث بـويلسون وقـال له انـه يحتاج إلى وير لطرح مزيد من الأسئلة عليـه . وعندمـا ذكر ويلسـون ذلك لوير كان هذا الأخير متصلباً « لقد قلت لهم كل ما يتوجب علي ان أخبرهم واتفقنا على انهاء الإستماع في الأسبوع الماضي . علي ان أرى أناساً آخرين وأقوم بأشياء أخرى » .

أوصل فريـد ويلسون هـذه الرسـالة إلى أوليفـر نورث ، الذي اشمأز تماماً وقال بطريقة منذرة « انه من سوء الحظ ، إذا عثر على جثة وليم بكلي في شوارع بيروت وقيل انه كان يمكن ان لا يموت لو كان بنجامين وير متعاوناً » . ازرقّ وجه ويلسون

وقال لنورث : « أيها الوغد ذاكرتك ضعيفة حتماً » فقبل أسابيع كان نورث قد أخبره انـه متأكـد شخصياً ان بكلي قـد مات وان لديه أسباباً تبرهن ذلك . ارتعش ويلسون من تبادل الحديث .

لقد شعر بان الحكومـة كانت مخـادعة مثـل الخاطفين . ومهمـا قال نـورث لويلسـون فانـه كان يـأمل بـانـه يمكن انقـاذ بكلي . لقد أعد خـطاباً ليـرحب بعودة الـرهائن إلى الـولايات المتحـدة بـاسم الـرئيس وذكـر من بين أسمـاء الـرهــائن اسم بكلي .

كان لوير أسبابه في عدم الكلام مرة أخرى مع المجموعة الإستخبارية .

فقد اقتنع منذ أول استماع ان وكالة المخابرات المركزية كـانت تخطط لعمليـة انقاذ للرهـائن بينما كـان هو يعـارض أية فكرة كهذه لا لأنـه كان يعتقـد بفشلها بـل لانها ستعـرض حياة زمـلائه الـرهائن للخـطر . لكن ذلك لم يكن مـرضيـاً لجميـع الرهائن إذ كتب ديفيد جاكوبسون بعد اطلاق سراحه : لا يحق لبنجامين وير ان يقرر ما إذا كان على قادة الولايات المتحدة ان يقـومـوا بعمليـة انقـاذ أم لا . فهـو تنقصـه المعـرفـة والخبــرة اللازمتان لتحديد خطورة هذه العملية . زد على ذلك أن حريتنا وحياتنا كانتا على المحك . فعندما علمت ، بعد الإستماع إلى أقوالي في فيسبادن في ألمانيا الغربية إثـر اطلاق سـراحي ، ان بنجامين رفض ان يعطي المعلومـات الضروريـة للقيام بهجـوم من أجل تحريرنا شعرت بالخوف فقد كان خوف وير مبرراً لكن

المسؤولين الحكوميين الذين عملوا لاطلاق سراح وير كانوا غاضبين من موقفه » .

بعد بضعة أيام من اطلاق سراح وير اتصل مايكل ليدين الذي كان يعمل مستشاراً في مجلس الأمن القومي بشأن الصفقة مع إيران ، بأحد الوسطاء الإيرانيين الذين ساعد في اعداد الصفقة وسأله ما « إذا كان ممكناً ان يستعيد الإيرانيون وير ويرسلوا بدلاً منه بطلاً أميركياً » . قال نورث ان وير كان « عدائياً » و« غير متعاون » وبعد اطلاق سراحه أطلق عليه المسؤولون الرسميون لقب « وير المتمرد » . وعندما سمع فريد ويلسون بعضاً من هذه التعليقات صعق من ذلك « الحقد » إذ لم يتفهم أي من الفريقين الآخر . فقد تحدث آل وير بعدما شعروا بفرحة الحرية ، عن التفهم والتسامح . اما مسؤولو الحكومة فقد بدوا من خلال أسئلتهم وتهربهم انهم ينتمون إلى عالم الأسر المظلم . كان وير يشعر بالخيبة ازاء قيمهم وقد شاركه الخيبة تلك فيما بعد جمهور كبير .

وبعد مضي أكثر من أسبوع على اطلاق سراح وير طار تيري وايت بصورة غير متوقعة إلى نيويورك وعقد مؤتمراً صحافياً مشتركاً مع الرهينة الحر . حتى تلك اللحظة لم يأت أحد على ذكر تيري وايت ومساهمته في اطلاق سراح الرهينة . وفي ذلك اللقاء الأول مع الصحافة لم يذكر وير شيئاً عن المبعوث الانغليكاني .

لقد كان هناك التباس حول هوية صاحب فكرة اشراك

تيـري وايت في إطلاق سـراح وير . فـريد ويلسـون يعتقد انـه يمكن ان يكون قد اتصل بوايت ودعاه إلى نيويورك . بينما قال البعض انه جاء بناء لاقتراح نورث . أما يـوجين دوغلاس فقـال ان نـورث دعم اقتراح مجيء وايت إلى الـولايـات المتحـدة . واعتقد ان الدعاية « يمكن ان تدعم دور وايت كوسيط » . لكن الصحـافة ذكـرت استنتاجـاً آخـر . فكتبت صحيفـة لنـدنيـة : « كشف ان مبعوث أسقف كانتربري الخاص هو مفاوض سري ولقد كان وراء اطلاق سراح الرهينة الأميركي في لبنان » . هذا الإستنتـاج لاءم أهـداف الإدارة الأميـركيـة التي كـانت قـد سمحت ، وفي ذلك الوقت ، بشحنة أسلحة إلى إيران .

حتى عندما كشف عن مقايضة حرية وير بالسلاح ، أصر سميـر حبيبي ان جهـود تيـري وايت كـان لهـا دور . قـال : لا يحـدث شيء في لبنان دون اشتـراك السوريين وكـانت الكنيسة قد بذلت جهوداً كبيرة من أجل اقناع الـرئيس الأسد ان ويـر هو مبشر مسيحي فقط لا بل ان حبيبي ناقش في ان مساهمـة وايت العلنيـة ربما شجعت الخـاطفين على انه يمكن الإستمـاع إلى شكواهم .

مايكل ليدين الذي كـان أكثر من يعـرف عن الصفقة مـع إيران ، لم يشك في الهدف من دور وايت وقال : «لا أعتقد انه كان لوايت دور ملموس في اطلاق سراح وير . أعتقـد ان وايت قـد أطلق سراحـه بفضل حكـومة إيـران نتيجة لـلاتفـاقيـة التي توصلت لها مع الولايات المتحدة . واعتقد ان نورث قد شجع

وايت على استقبال بنجامين وير عندما خرج كما اعتقد ان نورث يمكن ان يكون قد أقنع وايت في ذلك الوقت على انه أسهم جزئياً في اطلاق سراح وير مع اني لا أظن انه كان له دور في ذلك .

أدرك نورث بسرعة إمكانيات وايت وحدث زملاءه في مجلس الأمن القومي عنه . تذكر هوارد تاينر أنّ نورث أخبره كيف ان وايت هو « مغناطيس مثالي للصحافة » . كذلك تباهى نورث بانه « يدير وايت » بفعالية . وقال أحد العاملين في مجلس الأمن القومي ان نورث كان فعلاً معجباً بشجاعة وايت ولكنه كان ساخراً في الوقت نفسه من موقفه تجاه المبعوث الانغليكاني . قال ذلك المسؤول : « لقد فهمت منذ البداية ان وايت هو غطاء » خلال الصيف سأله نورث عن تيري وايت ودوره في ليبيا . لقد أعد وايت لكي يكون غطاء اكليركياً » وقال ان نورث قد استخدم مبعوث الكنيسة دون حياء « سيصبح تيري وايت بطلاً وستصبح الكنيسة بطلة » .

كان ذلك بالنسبة لأوليفر نورث تدبيراً مثالياً .

رأى بنجامين وير ان وايت « مفكر وحميم » . أراد ان يفهم عقول الخاطفين وردود فعلهم المحتملة على محاولات التوسط . تأثر وير وقال : « شعرت ان وايت كان مستعداً لبذل جهد كبير وحتى لتضحية شخصية من أجل العمل لاطلاق سراح المحتجزين » . ووجد ان المبعوث الانغليكاني يتهرب من اعلان مسؤوليته عن اطلاق سراحه . قال وايت في المؤتمر

الصحافي عقد في مركز الكنيسة في مانهاتن انه قرر ان يلجأ إلى العلن بهدف تحقيق اختراق جديد . قال : « طلبت من الخاطفين ان يسمحوا لي بلقائهم وجهاً لوجه وان استمع بوضوح لمطالبهم » . كان ذلك ما يحاول تحقيقه في ذلك الصيف وكان بنظره سبباً كافياً للتحدث أمام الصحافة .

وعندما سئل عن حقيقة دوره في اطلاق سراح وير كان مهتماً ان لا يعلن عن أي دور له ولكنه قال : « لقد أقمت علاقة مع الخاطفين من خلال وسيط في بيروت وكنت على اتصال معهم بناء لقواعد منتظمة في الأشهر الماضية . واستناداً إلى سمير حبيبي فلم يكن ذلك الوسيط سوى « سبيرو » الرجل الذي قدمه لهم نورث بطريقة غير مباشرة .

وقع تيري وايت في شرك غير منظور دون ان يعلم . فقد كان الرجل الذي يعتبره أحد صلاته الوثيقة بالخاطفين في بيروت يساعد الإستخبارات الأميركية أيضاً وقد أخرج من لبنان صوراً لرئيس محطة وكالة المخابرات المركزية وهو في الأسر وكانت اتصالات سبيرو في بيروت الغربية ممتازة وسرعان ما سيكلف بالمساعدة على تأمين زيارة وايت للمدينة ، لكن رغبات تيري وايت لم تكن بالضرورة مماثلة لرغباته .

وإذا كانت هناك أخطار مخبأة وراء تعامله مع وسيطه فهناك أيضاً أخطار جديدة في العمل مع أوليفر نورث . فقد كان للولايات المتحدة سر كبير وكان من الأولويات ابقاؤه مكتوماً . ذلك انها قد افتدت الرهائن بالسلاح وذلك على

عكس المبادىء التي تصرح بها . وقد وجدت الإدارة في تيري وايت المبعوث الانغليكاني المقبول غطاء مثالياً لأعمال كانت تنفي القيام بها . فقد لاحظ المسؤولون كيف انه بدا في المؤتمرات الصحافية منفتحاً وكيف كان يختبىء عندما لا يكون لديه شيء يقوله . وصف باركر بورغ ذلك على انه « مقدرة كبيرة في مجال العلاقات العامة حتى ولو لم يكن هناك شيء يرتبط به » . كانت هذه نعمة جعلت وجوده ضرورياً في أية صفقات مستقبلية .

وعندما كان وايت في الولايات المتحدة سعى فريد ويلسون لمقابلته . وعلى الرغم من رؤية جمع شمل عائلة وير فقد كانت الحكاية تتضح لويلسون . كانت المحادثة الهاتفية مع نورث وما تبعها من تهديدات قد أزعجته . وعندما لاحظ ازدياد تورط وايت مع نورث قرر ان يخبره بالمكالمة الهاتفية . قال : « كان تيري وايت ، بحد ذاته حقيقة واضحة يذكرني انه في هذا النوع من العمل يتعامل الإنسان مع الأشخاص الذين يتوجب عليه التعامل معهم . . . ولا يختار أحدنا هذه الإتصالات » . شعر ويلسون ان وايت قد أدرك ان مسؤول البيت الأبيض قد يعمل بأخلاقية مختلفة وباطار عمل مختلف لكن تعهداته لعائلات الرهائن سيطرت على جميع الإعتبارات .

وفي نهاية شهر أيلول/ سبتمبر افترض أوليفر نورث انه سيطر على جميع الجهود العاملة لاطلاق سراح الرهائن بما

فيهـا المفـاوضــات مـع الـوسـطاء الإيـرانيين واستنـاداً إلى مـلاحظات ، قبـل ان يعـود تيـري وايت إلى لنـدن ، تحـادث الاثنان معاً فكـان نورث متفـائلاً واعتقـد ان جهود وايت كـانت حاسمة . ومـع ان وايت قد استخـدم كغطاء لصفقـة السلاح ، فـان نورث اعتقـد ان المبعوث الانغليكـاني لـه دور تجميلي . ذلك انه في الاثارة التي حصلت بعد اطـلاق سراح الـرهائن ، لم يـلاحظ أحد ان المـطالب الأساسيـة للخاطفين لم تـذكـر ـ وبالتحديد حرية السجناء في الكويت .

أدرك نـورث وزمـلاؤه في مجلس الأمن القـومي انـه في بعض المـراحل يمكن للخـاطفين ان يتحـدوا طهـران ، إلاّ إذا حصـل تقدم في مـوضوع سجنـاء الكويت وهكـذا بدأت تنبثق سياسة مزدوجة المسلك ، فبينما كان نـورث يستكشف اتفاقيـة سـلاح أخرى مـع الإيـرانيين ، ثم تشجيـع وايت للعمـل بنـاء لمطالب الخاطفين وثبت ان ذلك عمل خطر .

لقاء الخاطفين

في أوائل شهر تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨٥ تلقى أسقف كانتربري الدكتور رونسي رسالة من أربعة من الرهائن الأميركيين . قدمت هذه الرسائل إلى مكتب وكالة الاسوشياتد برس في بيروت ثم أرسلت إلى لندن بعنوان : « سري غير صالح للنشر » لقد كان تيري وايت متحفظاً في تعليقاته إذ قال : « انها تتضمن كلاماً اعتبره مساعداً وتتضمن تهديداً كذلك . كانت الإشارة الباعثة للأمل هو ان الخاطفين يريدون الكلام حسبما أشار الرهائن . كان الخاطفون مستعدين لتسليم الرهائن إلى الصليب الأحمر إذا قام الكويتيون بالاجراء نفسه بالنسبة للمعتقلين السبعة عشر . لكن الرهائن حذروا من ان الخاطفين كانوا يفقدون صبرهم ويهددون بخطف المزيد من الأميركيين وقتلهم .

وقد كتب الرهائن أيضاً رسالة إلى الرئيس ريغان

يحذرونه فيها من انه يمكن ان يموتوا إذا جرت محاولة انقاذهم وطلبوا منه التفاوض وناشدت الرسالة بخط مهزوز الرئيس ريغان : « السيد ريغان نحن نشكرك للجهود التي بذلتها في هذه الأشهر الطويلة لكن دبلوماسيتك الهادئة لا تفعل . نحن نعلم عدم استساغتك لمجادلة الإرهابيين . فهل تعلم ما ستكون عواقب رفضك علينا ؟ انه باستطاعتك ان تعيدنا إلى بلادنا في عيد الميلاد . ألا ترحمنا وترحم عائلاتنا ؟!

رفض البيت الأبيض النداء . وقال أحد المتحدثين : نحن لا نتفاوض على تنازلات مع الإرهابيين ولا نعطي فدية أو نقبل تهديداً بالابتزاز » وفيما كانت الإدارة في واشنطن تؤكد خطها المتشدد في رفض أية صفقة مع الإرهابيين ، كان بعض مسؤوليها يجتمعون مع تجار الأسلحة والوسطاء الإيرانيين في أوروبا . ولم يكن لدى الدكتور رونسي أية مشكلة في الإجابة على رسالة الرهائن . إذ طلب من الخاطفين ان يجتمعوا مع مبعوثه « على وجه السرعة » . بينما كان تيري وايت يحضّر لمهمته الأولى في لبنان فتكلم مع بنجامين وير حول عقول الخاطفين .

فقال له الرهينة السابق انهم حذرون ويمكن ان يكذبوا ويصعب معرفة ما يضمرون انهم يفهمون الغرب بطريقة سطحية وبدائية إذ كان مجرد ذهابه إلى السفارة الأميركية لتجديد جواز سفره يضعه موضع الشبهة . لقد كان من الصعب عليهم ان يفهموا ان كنيسة انكلترا ليست فرعاً للحكومة

البريطانية .

وقبل أيام من رحيله ، تكلم وايت مع سبيرو حول ترتيبات سفره وأمنه في العاصمة اللبنانية . تحدث على الهاتف مع أوليفر نورث ، لكنه كان رجلاً يعيش في سلسلة من المتناقضات . وركز أوليفر نورث في ملاحظة خاصة على أهمية لقاء أحد كبار مسؤولي الإدارة مع عائلات الرهائن . وكان يعتقد أن ذلك يرسل اشارة إلى الخاطفين بان الولايات المتحدة « لن تغير موقفها » ولن تقدم أي « تنازل لمطالب الإرهابيين ومع ذلك فيما كان يفكر في اعادة التذكير بالسياسة الأميركية الرسمية ، كان يعمل في التفاصيل النهائية لصفقة سلاح أخرى مع إيران . وقد لخص ذلك في دفتر ملاحظاته بمعادلة بسيطة :

ان المطلوب لاطلاق سراح الرهائن هو :

ـ اصدار أمر بمئة وخمسين صاروخ هوك ومئتين وخمسين صاروخ سايدوندر وثلاثين إلى خمسين صاروخ فينكس .

ـ ١ و٣ و٥ نقل الرهائن .

ـ ٢ و٤ نقل الأسلحة .

كان نورث المبدع دائماً يحقق في شهر تشرين الأول/ أوكتوبر ١٩٨٥ في صفقة أخرى حيث يطلق الكتائب اللبنانيون المسيحيون مئة وعشرين محتجزاً شيعياً ويتقاضون مبلغاً مالياً

لقاء ذلك . فوافق الكتائب على ذلك والمشكلة الوحيدة كانت السعر .

كان تيري وايت ، الذي لا يعلم شيئاً عن هذه الصفقات ، يدخل في عالم من الغموض . وأخبره نورث ان الولايات المتحدة لن تجري تسوية حول سجناء الكويت وأضاف انه من المفيد ان تتولى الكنيسة الانغليكانية ذلك .

رافقت رحلة تيري وايت ضجة إعلامية كبيرة . فأبرزت الصحف البريطانية الشريف الانغليكاني غير المسلح وهو يفاوض الخارجين عن القانون في وضح النهار . وكان عنوان أحد المقالات « إلى الإنقاذ من يتولى أمر انقاذ ستة رهائن أميركيين محتجزين في بيروت » ؟

وتابعت المقالة : لكن تيري وايت حلّال المشاكل الانغليكاني والرجل الذي جعل الزعيم الليبي العقيد القذافي يتصرف بحساسية ويطلق سراح أربعة بريطانيين . كم هو مبارك لهذه الكنيسة » .

ارتفعت الآمال . ورافقه الصحافيون على الطائرة وتجمهر المصورون الصحافيون في بيروت حتى أصبحت الصحافة جزءاً من لعبة الرهائن . كان تيري وايت قد استخدمهم في السابق ووجد مجموعة من الصحافيين ينفخون في البوق ويعلنون عن قدومه . كان يأمل عن طريق تحويل زيارته إلى حدث ، ان يرى الخاطفون في ذلك فرصة للاعلان

عن مطالبهم وذلك عبر مفاوضات معه . لكن وايت أضاف إلى الدراما بان أقرّ أنه سيجازف ويلتقي الخاطفين . قال : « قد أصبح جائزة إذا أبقي علي في الشرق الأوسط ، لكنها مجازفة تستحق القيام بها لانها قد تؤدي بنا إلى وضع مشوش ومغلق » .

كان في حالة فرح عندما جلس في جناح الدرجة الأولى وهو يذوق طعم المهمة ونكهتها تقدم الركاب اللبنانيون منه وصافحوه باليد . لكنّ أحداً لم ينتبه إلى ان الرحلة قد تأخرت كي يجتمع وايت مع أوليفر نورث في باحة المطار . وكان هذا التأخير ، بالنسبة للصحافيين الذين كانوا على متن الطائرة ، علامة على ان شيئاً ما يجري .

لقد أحضر وايت معه كتاب « عيد ميلاد روبرت بير » وكتاب مفكرة بيبي المختصرة » ومزح قائلاً : « أعتقد اني سأقرأ قليلاً بينما أحاول تجنّب القنابل » . وأظهر للصحافيين اهداء كتبه أحد أصدقائه على كتاب بيبي جاء فيه : « ان البهجة ليست الطبيعة الأولى للأطفال ولكن لوايت أيضاً وكشف خلال رحلته انه ترك وراءه ملاحظة تعطي تعليمات للتصرف في حال أُخذ كرهينة . قال : « كتبت انه يجب ان لا يأتي أحد بعدي على الإطلاق . يجب ان لا تدفع أية فدية لي إذا اختطفت يجب ان لا تجري أية صفقة تتعلق بي لقد أتيت إلى هنا وأنا أتوقع ان أترك بحريّة » .

في مطار بيروت الدولي أحاطت به الفوضى المميزة في

تلك المدينة . واستقبله مسلحون من فئتين من الميليشيات كل فئة كانت تعتقد انها تحميه وحضرت كذلك اعداد غفيرة من المراسلين الذين هرعوا إلى العاصمة اللبنانية لتغطية زيارته . واندفع أحد عناصر الميليشيات إلى الكاميرات والمراسلين وبدا انه متردد في كيفية معالجة الغوغاء والفوضى المحيطة بالمبعوث الانغليكاني ، وأزاح الناس من طريق وايت الذي شكر الحراس على حماسهم وصرخ أمام المراسلين قائلاً انه متفائل بهذه الزيارة . قال : « أنا أعتقد ان هناك فرصة حقيقية لاحداث اختراق في القضية » . كان وايت يعلم قبل ان يغادر لندن ان الخاطفين يريدون مقابلته . وفي رد على مقابلة أجرتها معه هيئة الإذاعة البريطانية ، تلقى رسالة تخبره بمن يتصل . وبشكل دراماتيكي وبعد وصوله بوقت قليل طلب من الصحافيين ان يتركوه وحيداً وان يفسحوا له مجالاً للتنفس بحيث يستطيع ان ينجز مهمته الصعبة والخطرة ، كانت بداية لعلاقة طورها فيما بعد مع الجسم الصحافي في بيروت إذ كانوا جميعاً يحترمون رغباته لان أحد زملائهم كان في عداد الرهائن . وبدوره سوف يزودهم بشكل منتظم بالأحاديث والقصص .

وضع عناصر الميليشيات تيري وايت في المقعد الخلفي لسيارة ب أم ڤ يحيط به مسلحان والثالث يشهر بندقيته « الكلاشنكوف » من نافذة السيارة . أسرعوا عبر طريق المطار وكانت منطقة خطف جيدة ثم اختفوا في أزقة الاحياء الشيعية

في بيـروت الغربيـة . وكانت الترتيبـات في لنـدن تقضي بـان يتـولى الـدروز حمـايتـه . لكن المسلحين الـذين رافقـوه من المطار كانوا تابعين لحركة أمل الشيعية . أخـذوه إلى فندق في بيـروت الغربيـة . وهنـاك جـرت مشـادة حـاميـة بين فئتين من الميليشيـات انتهت عندمـا وافقت حركـة أمـل على ان يـأخـذه الدروز إلى بناية سليت حيث الشقة التي كان يقيم فيها الـرهينة الأميـركي تيري أنـدرسون . وكـان ذلك درسـاً مبكراً لـه حول حقيقـة الحياة في بيـروت تلك المدينـة التي تعج بـالميليشيات المتصارعة . ومن سخرية الأقـدار أن مهمته التي كـانت تهدف إلى انقـاذ حياة أشخـاص كادت تؤدي إلى اشتبـاك مسلح قبـل بدايتها .

في اليوم التالي تـوجه وايت إلى فنـدق الكومـودور حيث يقيم معظم الصحافيين وعقد مؤتمراً صحافياً مرتجلاً . قـال مع انه لم يلتق الخاطفين إلّا انه كان على اتصال معهم . وان أحد الشـروط المسبقة التي وصفهـا وايت في مستهل مهمتـه هـو ان يتعامل مـع الخاطفين وجهـاً لوجـه . ولقد تفهم حـذرهم إذ ان أحد أسباب بقاء الخاطفين على قيد الحياة هو رفضهم للقاء أي وسيط ، لكنه قال : أنا أريد ان أحميهم كما أحمي نفسي . ان حماية حيـاة الخاطفين واجب علي . انهم يجـازفون بمقـابلتي تماماً كما أجازف بلقائهم » .

وهكذا كرر طلبه بان يترك وحيداً . وقد غضب من بعض مـراسلي التلفزيـون الذين رابـطوا خارج الشقـة التي يقيم فيها

وحاولوا ان يلحقوا به . لقد قال للصحافيين : « ان أي حركة خاطئة في هذه اللحظة قد تؤدي إلى خسارة حياة بعض الناس وأنا من ضمنهم » . كان قد علم من بنجامين وير كم كان الخاطفون مشككين وكم كانوا خائفين من انكشاف هوياتهم . وإذا تبعه أحد إلى موعد محدد فان ذلك سيكون خطيراً جداً .

وفي اليوم التالي لم يلتق وايت أحداً وانما تحدث على الهاتف مع رجل ادعى انه يعمل لصالحهم ودعاه إلى اجتماع في ضواحي بيروت الغربية الخطرة . لكن وايت كان حذراً . وكانت العاصمة اللبنانية زاخرة بالأشخاص الذين يعرضون تجارة المعلومات . وكانت هناك سوقاً حول الرهائن . أعد وايت اختباراً للرجل . طلب منه ان يعرف جنسية صديقة مراسل صحيفة التايمز اللندنية في الشرق الأوسط . كان وايت يعلم ان أحد الرهائن وهو تيري أندرسون كان صديقاً مقرباً من ذلك المراسل وانه يعرف الجواب على هذا السؤال وبعد وقت عاد الرجل ومعه الجواب بان الامرأة هي اسكندينافية وطلب من تيري وايت ان يحضر الإجتماع .

ذهب إلى جادة جون كينيدي إلى عيادة الدكتور عدنان مروة وهو طبيب نسائي كان قد عالج زوجات عدد من الشيعة البارزين ومن ضمنهم زوجة السيد فضل الله فبرز عدة رجال ، لكن قبل ان يوافق وايت على أي موعد كان يطلب اثباتات اضافية من ان المتحدث هو من قبل الذين يحتجزون الرهائن . أحضر معه آلة تصوير بولارويد ونسخة حديثة من

صحيفـة التايمـز اللندنيـة . وطلب إليهم ان يذهبـوا ويلتقـطوا صورة للرهينة الأميركي وهو يحمل تلك الصحيفة .

يتذكر الأب جنكو وهو أحـد الرهـائن في ذلك الـوقت ، هـذه المناسبـة « كانت المـرة الأولى التي أعلم فيهـا ان تيـري موجود في البلد ، عنـدما أسـرع الخاطفـون ذات ليلة ليأخـذوا صوراً معنا ، كل بمفرده . كان تيري وايت قد كتب اسمه على صحيفة التايمز اللندنية والتي كانت تشيـر إلى تاريـخ اصدارهـا وهكذا وقفنا وأخذنا صوراً ونحن نحمل الصحيفة . وأملنا بـان نعود إلى بلادنا في عيد الميلاد » .

عـاد الرجـال ومعهم الصور في نصف سـاعة وطلبـوا من وايت ان يذهب معهم . وقد وصف وايت فيما بعد لقـاءاته في بيروت : « كنت أذهب في سيارة إلى بناية مهجورة ، وعادة في الليـل . كنت أمشي إلى البنايـة وحيداً ثم أجتمـع إلى شخص وأنـا معصوب العينين ثم أؤخـذ إلى مكـان آخـر وكنت أجـري مبـاحثـات بينمـا كـان أحـد المسلحين يصـوب السـلاح على ظهري » .

كـان اجتماعـه الأول مخيفاً وكـان معصـوب العينين ولم يعــرف في أي مكــان كــان ولا مــع من يتحــدث . كــانت المحـادثـات تجـري بـاللغـة الانكليـزيـة وكـان المسؤولــون الأميركيون مقتنعين انه كان يتعامل مباشرة مع عماد مغنيـة الذي كانت لغته الإنكليزية مقبولة . بدأ وايت اجتماعه باستكشاف ما يريده الخاطفون بالضبط . فتساءل ما إذا كانـوا يريـدون مالاً .

بدا ان مغنية قد أهين واحتج بان الغرب قد أساء فهمه وفهم شعبه . أراد من تيري وايت ان يفهم انهم ليسوا لصوصاً ولكنهم مسلمون ورعون وكرر مرة أخرى بانه سيطلق سراح الرهائن إذا أطلق سراح المعتقلين في الكويت .

بحثوا الفكرة الواردة في رسالة الرهائن والتي تقول بتسليم الرهائن ومعتقلي الكويت إلى فريق ثالث مثل الصليب الأحمر الدولي . وكان تيري وايت قد بحث ذلك مع أوليفر نورث الذي أخبره باحتمال ان لا يوافق الكويتيون على هذا الإقتراح .

فطرح وايت فكرة « أموال الدم » التي عمل بها خلال الصيف .

فأعجب الخاطفون بالفكرة وبدا ذلك بالنسبة لهم كمسلمين انه يمكن حل المسألة وفقاً للشريعة الإسلامية . وعد وايت بالإستمرار في العمل على تحقيق هذه الفكرة وقال انه سيبحث في أوضاع الأقارب .

فقال له الخاطفون انهم لم يتلقوا أية أنباء من الكويت . قال وايت انه سيحاول ان يحسن الإتصالات . هذا وقد أعطوه انطباعاً انهم واقعون تحت الضغط العسكري لميليشيات أخرى وان ذلك قد يعرض الرهائن للخطر .

كان ذلك أول لقاء بين مبعوث غربي وأشخاص في الظل من الجهاد الإسلامي . قال تيري وايت في اليوم التالي : « لا

يـوجد هنـاك أدنى شك انني تـوجهت إلى الأشخاص المعنيين وانني بنيت مقـداراً من الثقة . كـان وايت كتومـاً حول مـا بحثه وقال : « لن أقول أبداً أين كان الإجتمـاع وبمن اجتمعت وماذا جـرى بيننا . ان أي انكشـاف لهـذه النقـاط قـد يعـرّض حيـاة البعض للخـطر » انـه كـان يعتقـد ان مقـابلتـه للخـاطفين هي اختراق بحد ذاته وبانهائهم عزلتهم يكونون قد بدأوا بالحوار .

وفي رحلة العــودة إلى لنـدن تنــاول وايت ســانــدويش سلمون مدخن وتحـدث إلى الصحافيين وبقيـة الركـاب . ومع انه كان مرهقاً فقـد بدت روحـه الطيبـة وقال : « أريـد ان أقول لعائلات الرهائن انني متفائل » .

لقـد كان ينـوي ان يتوقف في لنـدن لفترة وجيـزة ينتقـل بعــدهـا إلى الــولايـات المتحــدة ليتحـدث مــع المسؤولين الأميركيين . لكنه ولـدى وصولـه إلى مطار هيثـرو تلقى رسالـة تفيد ان أوليفر نـورث ينتظره في فنـدق بنتا المجـاور ، إذ كانت الترتيبات تقضي بان يلتقيا في صالون الفنـدق . وعندمـا وصل إلى هناك لم يعثر تيـري وايت على أحد فتجـول داخل الفنـدق ممـا أثار مـديـر الفنـدق وتعجب ممـا كـان يقـوم بـه المبعـوث الانغليكاني .

أخيراً عثر على نورث . كانت هناك غرفة محجوزة باسم باركر بورغ وهو مسؤول في وزارة الخارجية كان وايت قد التقاه على بـاحة المـطار قبل زيـارتـه لبيـروت . وكـان هنـاك رجـال آخرون ومن ضمنهم دبلوماسي رفيـع في السفارة الأميـركية في

لندن ومسؤول سياسي من السفارة الأميركية في بيروت ورجل يجيد العربية ويلم بجميع أساليب الميليشيات الإسلامية .

كان نورث مرهقاً عندما رأى وايت فقال له : أستطيع ان أقول لك كم يقدر الرئيس ما تقوم به ففرح وايت . وهنأه الجميع . لقد عزز اجتماعه مع الخاطفين ، وهذا ما لم يقم به أحد من قبله ، موقفه مع الأميركيين . كان نورث تواقاً إلى التفاصيل . وكان حماسه يزداد وهو يصغي إلى رواية وايت . وازداد فضوله ليعرف مطالب الخاطفين ويطّلع على الظروف التي أحاطت بلقاءات وايت . كانت الحقيقة في ان الخاطفين عادوا ومعهم صور البولارويد في مدة ثلاثين دقيقة ، تعني ان الرهائن هم حتماً في العاصمة اللبنانية .

وفي الأسابيع التي سبقت زيارة وايت كان مسؤولو الإستخبارات مقتنعين ان الرهائن محتجزون في ثكنة الشيخ عبدالله في وادي البقاع . وكان ذلك على مسافة حوالي ساعة من بيروت . في أوائل تشرين الأول/ أوكتوبر أمروا بمراقبة جوية للثكنة وفي ٢٣ تشرين الأول/ أوكتوبر كان نورث يتلقى صوراً فوتوغرافية . وفي أوائل تشرين الثاني / نوفمبر كانت واشنطن تعتقد ان خمس رهائن من أصل ست هم محتجزون هناك . على الرغم من العلاقات الباردة مع دمشق ، فقد تم البحث مع السوريين في خطة لاقتحام المبنى تشترك فيها الوحدات الخاصة السورية إلاّ ان مسؤولي الإدارة كانوا مشككين بجدية نوايا السوريين . وحبذ البعض فرض مزيد من

الضغط على دمشق بينما رأى البعض الآخر ان العملية تنم عن غباء وأشارت معلومات تيري وايت إلى ان الرهائن قد نقلوا أو ان معلومات الإستخبارات كانت غير دقيقة .

لقد كان تحديد مكان احتجاز الرهائن من المعلومات الحيوية التي تهم الأميركيين فقد كانوا منذ اختطاف وليم بكلي رئيس محطة وكالة المخابرات المركزية في بيروت يخططون لعملية انقاذ لكن الحواجز كانت مخيفة . كانت عملية الإنقاذ تتطلب انتشار وحدات خاصة في ضواحي بيروت الغربية المحصنة . وكان عنصر المفاجأة ضرورياً وكذلك امكانية اخراج القوة والرهائن بسرعة . ولكن وقبل التخطيط لأية عملية يتوجب معرفة مكان احتجاز الرهائن .

أثارت معلومات وايت التي تفيد بان الخاطفين عادوا بعد نصف ساعة ومعهم صور الرهائن ، اهتمام نورث . كان هناك العديد من البنايات التي تقع في محيط مركزه عيادة الدكتور مروة ونصف قطره مسافة ١٥ دقيقة ، قد تستخدم لاحتجاز الرهائن . فقال أحدهم في سياق المناقشات انه يمكن ان يكون الخاطفون قد استخدموا دراجة نارية ولذلك عليهم ان يأخذوا بعين الإعتبار منطقة أوسع . فلم يوافق نورث على هذه المداخلة مع وجود عدة حواجز على الطرق يجب اجتيازها ، لا يظن ان دراجة نارية قد تغير في الموضوع شيئاً .

عندها أحضر خرائط للمدينة وصوراً توضيحية . كانت الصور ذات نوعية جيدة وأفضل من صور الأقمار الإصطناعية

وقد التقطت إما من بناية عالية أو من طائرة على ارتفاع منخفض . وضع نورث هذه الصور على أرض الغرفة وتفحصها هو ووايت وبعض المسؤولين . وتهافتت الأسئلة على وايت . هل انعطف كثيراً أو سار على مستديرات خلال رحلته للقاء الخاطفين وأراد نورث ان يعرف . لكن وايت لم يكن متأكداً .

كان ذلك دليلاً على قلة المعلومات التي يعرفها الأميركيون عن الرهائن مما أدى إلى الترحيب بأية معلومة يقدمها وايت . بمساعدة صور الأقمار الإصطناعية بدأ مسؤولو الإستخبارات في واشنطن باستعراض صور للأبنية المنتقاة من دائرة نصف قطرها خمسة عشر دقيقة عن مركز العيادة . قال أحد المسؤولين : إن ذلك مربك حقاً . وكان هناك حماس كبير . وأتذكر ان أحدهم اقترح ان نعد نموذجاً مصغراً لبعض الأماكن في بيروت الغربية » .

عندها سأل نورث وايت ما إذا كان مستعداً في المهمات المستقبلية لارتداء جهاز ملاحقة مدّعياً ان ذلك من أجل حمايته .

وأضاف نورث انه إذا فُقد فانهم يعلمون دائماً مكانه . عندها أخرج نورث من حقيبته حزاماً وضع داخل عقدته جهاز تنصت . قال أحد الحاضرين : « ان ذلك غرور غير مقنع ، مثل شيء يتعلق بحرب النجوم » وحذر ان ذلك خطر وانه يمكن ان يعطي نتائج عكسية .

وبينما كان نورث يشرح كيف يمكن مـراقبة تحـركاتـه ، أعجب وايت بالموضوع . ومع انه كان مسـروراً باجتمـاعه مـع الخاطفين فان اجتماعه معهم وهو معصوب العينين كان تجربـة مخيفة . انه من السهل جداً الإختفاء في شوارع ضاحية بيروت الجنوبية وانه من المريح ان تعرف ان أحداً ما يتعقبك .

ما كان نورث يقوله أيضاً ان هذه الآلة تساعد في تحـديد مكان احتجاز الـرهائن . ممـا يضيف معلومات هـامة من أجـل نجاح عملية الإنقاذ .

وكان التخطيط لعملية الإنقاذ يجـري دون علم وايت مع ان الإدارة كانت تعقد آمالها على صفقات الأسلحة .

ولم يذكر نورث ان الحزام هو من صنع وكالة المخابرات المركزية وبناء لتعليمـات من وليم كايسي إذ كـان ممنوعـاً على وكالة المخابرات المركزية ان تستخدم رجـال الكنيسة . وكـان ينظر إلى تيري وايت البريطاني على انه خارج هذه القيود .

دافـع يوجين دوغـلاس عن عمل نـورث وقـال : « كـان الخـطر في الشرق الأوسط يتصـاعـد بشكـل كبيـر . بحيث ان القلق على سلامة وايت والخـوف من احتجازه كـرهينة قـد دعا نورث لان يقترح على وايت ان يصـطحب معه أجهـزة تحديـد المكان . هذه الأجهـزة توضـع مع الأطفـال أثناء الـذهاب إلى حـديقة هـارودز في عيد الميـلاد بحيث انـك إذا ضيعت طفـلاً يمكن ان تعثر عليه بوسائل الكترونية وكان هناك أمل انه إذا وقع

تيري في خطر وخرج عن المسلك المعروف عندها يكون هناك طريقة لمعرفة مكان وجوده » .

فيما بعد قال السفير دوغلاس في مقابلة تلفزيونية ان ارتداء تلك الآلة سوف يساعد ضباط الإستخبارات على تحديد مكان الرهائن :

دوغلاس : ربما كان مع الخاطفين ويمكن ان يحصل ذلك ولكن في ذلك العالم الإنتقالي بين الصراحة والخفاء علينا دائماً ان نزين الأخطار .

الصحافي : لكن ذلك كان أحد الدوافع أليس كذلك ؟ ولمصلحة بعض الأشخاص ؟

دوغلاس : حسناً ، من المعقول ان نفترض انه كان من الأسباب الجانبية أو الهامشية . ولكن تكون النتيجة جيدة إذا عرفنا أين هو تيري وإذا ذهب إلى الرهائن عندها يكون لدينا فكرة عن مكان وجودهم أيضاً .

بقي الآخرون مقتنعين ان الهدف الأساسي من تلك الفكرة كان جمع المعلومات .

وبعيداً عن حمايته الشخصية ، ان تزويد وايت بجهاز ملاحقة الكتروني يمكن ان يقوض مهمته كمبعوث ويعرضه للخطر عندما يعتبر عميلاً لوكالة المخابرات المركزية . هذه الفكرة لم تحسب حساباً لشعور الإرتياب عند الخاطفين . قال ديفيد جاكوبسون وهو أحد الرهائن ، ان الخاطفين « يعتقدون

ان وراء كـل شجـرة يكمن عميـل للمخـابـرات الأميـركيـة . ويعتقـدون ان قوة دلتـا (وهي قوة أميـركية خـاصـة لمكـافحـة الإرهــاب) هي على مسـافــة خمس عشـرة دقيقــة بـطائــرة الهلكوبتر » . كان للخاطفين غريزة مقاتلي الشوارع وهم رجال اعتـادوا على العيش في عـرض الميليشيــات المتقـاتلة . وفي اللحـظة التي كان نـورث يقتـرح فيهـا على وايت ارتـداء الآلـة الالكتـرونية ، كـان أحد الـرهائن وهـو الأب جنكـو يعـاني من هواجسهم الأمنية .

كـان الأب جنكو راهبـاً كاثـوليكياً هـادئاً وقـد احتجز في أوائـل عام ١٩٨٥ . كـان يعيش في خزانـة ثياب لمـدة حوالي شهر ونصف وذات يوم فتح الخاطفون الباب :

قـالوا لـه : « افتح فمـك » . كان الأب جنكـو معصوب العينين ولم يكن يعلم ما يحصل لكنه فعل ما طُلب منه .

سُئل : « ما هذه » . وكان الخاطفون يوخزونه في فمه .

أجاب جنكو : « هذه أسناني » .

قال الخاطفون : « كلا انهـا ليست كذلـك . انها جهـاز اتصال يصلك بحكومتك » .

احتج الأب جنكو : « لا يمكن ان تكونوا جـديين . أنها حشـوة أسنان ، لم يصـدقه الـرجال وقـالوا لـه : نعطيـك مهلة نصف ساعة لنزعها » .

أرعب الأب جنكـو . ولم يعرف مـا إذا كانـوا سيعـودون حقاً وينزعون الحشوة . قال : « جلست في ظلام دامس ولمدة ساعات أنتظر » .

وأخيراً وذات يوم نزعوا أحد الأسنان .

كان أوليفر نـورث قد وعـد حبيبي ودوغلاس عـدة مرات بان لا يعرض الكنيسة للأذى . لكن وفي اطار حماسـه لتحريـر الرهائن كان يعد مشاريع قد تعرض حياة المبعوث الانغليكـاني للخـطر . على أي حـال ، انغمس وايت في مشـاريـع الإدارة الأميركية للبحث عن حلول لازمة الرهائن .

وعلى الرغم من اهتمام نورث في تحديد مكان الـرهائن فقـد كان يعقـد الآمال أيضـاً على صفقة السـلاح الأخرى مـع الإيـرانيين والتي كـانت على وشـك ان تنتهي . وقبـل انتهـاء الإجتماع في فندق نبتا قال لوايت ان هناك مؤشرات مهمة : انه سيطلق سراح أحد الرهائن . قال : « هناك بشائـر ايجابيـة » . وحث تيري وايت على العودة إلى بيروت في الحال أبدى وايت تعجبه ما إذا كان الخاطفون قد قـرروا القيام ببـادرة حسنة بعـد اجتمـاعه معهم وذلـك من أجـل ان يسـاعـدوه في مهمتـه مـع الكويتيين . فلم يعلق نورث على ذلك .

لم يكن لـدى تيري وايت أي جـديـد يقـولـه للخـاطفين ولكنه وافق على العودة إلى بيروت في ذلك النهار . وكان قبـل عدة أيام ، خلال زيارته الأولى قد وعدهم بزيارة المعتقلين في

الكـويت . فاقتـرح نورث عليـه ان يعتبر انـه حصـل على دعم أميـركي لمهمته في الكـويت . فقال بـاركر بـورغ : « قلنـا لـه سنقوم بما نستطيع لمساعدته في الكويت » . ووعد نورث بـان يرسل برقية إلى تلك الدولة الخليجية في النهار نفسه .

وكـانت هناك شحنـة أخرى من السـلاح على وشـك ان تسلم إلى إيران دون ان يعلم تيري وايت بها ولهذا توقع نـورث ان يطلق سراح أحـد الرهـائن . كانت الـولايات المتحـدة هذه المرة أكثر تورطاً في الصفقـة ، حيث أمنت وكالـة المخابـرات المركزيـة طائـرة لنقل الشحنـة . وقال روبـرت مكفرلين لـوزير الخارجية جورج شولتز الذي كان في جنيف في ذلك الوقت انه سيطلق سراح بعض الرهائن في ٢١ تشرين الثاني / نوفمبر .

ومـا لم يكن يعرفـه تيري وايت أيضـاً هـو أنَّ الأميـركيين كـانوا يخـططون لاستخدام مهمتـه الثانيـة إلى بيروت كتفسيـر لـلاطلاق المفـاجيء لسراح الـرهائن . إذ كـان التوقيت مثـالياً بحيث لن يشك أحد بالمتاجرة بالسلاح .

وكما قال أحـد مسؤولي الإدارة : « كانت جميـع العيون مسلطة على تيري » وبدأ بعض المسؤولين بتحضير أسس لذكر اطـلاق سـراح الـرهـائن في ايجـازاتهم . وأعلن : « ان قـدر الرهائن الأميركيين قد تقرر من الأيام القليلة المـاضية » . لقـد اعتبـروا ان مهمة وايت سبب لتفـاؤلهم كـان وايت في الحقيقـة فعّالاً جداً بالنسبة للعملية وكان الجميع يتحركون شوقاً ليعرفـوا انـه غـادر بيـروت . تضمنت مفكـرة نـورث ليـوم ١٧ تشـرين

الثاني / نوفمبر ذكراً لاتصال من مكفرلين ومن ضمن المواضيع التي بحثت « عودة وايت العاجلة إلى بيروت » .

وبعد ظهر يوم ١٨ تشرين الثاني / نوفمبر اجتمع وايت مع سبيرو الذي كان قد تحدث مع نورث . وكان سبيرو قد ساعد في تأمين الحماية لوايت أثناء زيارته الأولى لبيروت ووافق على القيام بالترتيبات لعودته العاجلة إلى العاصمة اللبنانية . لقد اعتقد تيري وايت انه يواصل مهمته الإنسانية لكن مهمته أصبحت مربوطة بالخطط الأميركية بشكل لا يمكن التخلص منه .

فيما بعد وفي ذلك اليوم غادر وايت لندن متوجهاً إلى بيروت . فرأى الصحافيون في عودته المفاجئة شيئاً غير متوقع وزاد الإعتقاد بان اطلاق أحد الرهائن بات وشيكاً . لم يقم وايت بأي عمل من شأنه احباط الآمال وقال : « كانت المرة الأخيرة خطوة جيدة إلى الأمام . وأعتقد انه من الممكن القيام بخطوة أخرى إلى الأمام » .

وفي طريقه إلى بيروت ، توقف وايت في باريس حيث قابل مسؤولاً حكومياً فرنسياً . إذ كانت منظمة الجهاد الإسلامي التي تحتجز الأميركيين ، تحتجز أيضاً أربعة فرنسيين من بينهم دبلوماسيان اثنان . وكان قد علم قبل أربع وعشرين ان أحد الرهائن الفرنسيين كان مريضاً وحالته خطرة وكانت الحكومة الفرنسية تخطط لارسال دبلوماسي كبير وطبيب اختصاصي بأمراض القلب إلى بيروت . فطلب المسؤول

الفـرنسي من وايت ان لا يـذكـر الفـرنسي في محـادثـاتـه مـع الخـاطفين فقط بل يـطرح قضيتـه علنـاً . ولـدى وصـولـه إلى بيروت ، ناشد وايت اطلاق سـراح الفرنسي وقـال : « إذا كان هنـاك رجـل مـريض . . . فـإن الاجـراء الإنسـاني والصحيـح والعادل هو ان يعود إلى عائلته » .

في بيروت أخذ رجـال الميليشيات وايت مـرة أخرى إلى شقة تيري أنـدرسون ، وهـو أحد الـرهائن الأميـركيين . حيث مكث هناك . كان نورث قد رتب له اتصال إذاعي باتجاهين مع السفارة الأميركية . بحيث إذا أطلق سراح أحـد الرهـائن نتيجة لصفقـة السلاح فـانه من الضـروري ان يعلم وايت فوراً . ومن دون علمه ، كان الأميركيون يلاحقون نشاطاتـه من أجل تغـطية عملياتهم الأخرى .

لقد كانت مهمته دقيقة جداً وحساسة إذ كان لديه القليـل ليقـوله للخـاطفين ومع ذلـك فقـد حُمـل على الإعتقـاد بـانهم يفكرون باطـلاق سراح أحـد الرهـائن . وإذا كانـوا على وشك تقديم تنازلات ، فعليه ان يشجعهم على ذلك لـذا قال في أول مؤتمر صحافي : « لدي أشياء مهمـة لأقولهـا للخاطفين » . لم يكن واضحاً ما إذا كان قد قابل الخاطفين أو الوسطاء على هذا الأساس أم لا . لكنه قال انه ضمن دعماً أميركياً لزيارة الكويت وكان يأمل بزيارة المعتقلين السبعة عشر . كان أيضاً يعمل على تحسين الإتصـالات بين المعتقلين وعـائـلاتهم في لبنـان . فتشجع الخاطفون بهذه الأنباء وأودعوا وايت ثـلاث رسائـل من

السجناء .

وبينما كان وايت في بيروت تعرضت خطة ارسال مزيد من الصواريخ إلى إيران ، إلى اضطراب . وفي الأسبوع الثالث من شهر تشرين الثاني / نوفمبر اعتقد نورث انه قد تم التوصل إلى اتفاق مع الوسيط الإيراني مانوشهر غوربانيفار ، يؤدي إلى اطلاق سراح جميع الرهائن بحلول نهاية الشهر . واستناداً إلى لجنة الكونغرس التي أجرت تحقيقاً في الموضوع : « كانت الخطة بجوهرها مقايضة : تباع صواريخ أميركية الصنع من المخازن الإسرائيلية إلى إيران مقابل الرهائن الأميركيين » .

لقد كانت خطة نورث تقضي بنقل ثمانين صاروخ هوك من المخازن الإسرائيلية يوم الجمعة في ٢٢ تشرين الثاني / نوفمبر . وقسمت هذه الصواريخ إلى ثلاثة أقسام ووضعت في ثلاث طائرات . وبعد اقلاع أول طائرة وقبل هبوطها في طهران يتم اطلاق سراح اثنين من الرهائن الأميركيين . وبعد الشحنة الثانية يتم اطلاق سراح ثلاث رهائن حتى يتحرر الرهائن الأميركيون الخمسة والدبلوماسي الفرنسي المريض . وكان روبرت مكفرلين مستشار الأمن القومي قد أعطى تعليمات لنورث بعدم شحن أي نوع من السلاح إلى إيران دون اطلاق سراح الأميركيين .

هذا وقد تضمنت الخطة توقف الطائرات في بلد ثالث هو البرتغال حيث تنقل الصواريخ إلى طائرات أخرى . وكان

الهدف من هذا الدوران هو اخفاء حقيقة تعامل إسرائيل مع إيران وهذا ما كان كل من البلدين يصر على اخفائه . ولكن وفي اللحظة الأخيرة لم تعط البرتغال لإسرائيل حق الهبوط . فقد أصرّ البرتغاليون على الولايات المتحدة أن تزودهم باشعار دبلوماسي يحدد نوعية الحمولة والطريق المتبعة وان يذكروا ان هدف الشحنة هو اطلاق سراح الرهائن الأميركيين . كانت الحكومة البرتغالية تريد اثباتاً خطياً لانها كانت تدرك ان العملية تخالف بشكل واضح سياسة الولايات المتحدة .

لكن الأميركيين والإسرائيليين كانوا يريدون ان تبقى العملية سرية . وكانت الكذبة المختلقة هي ان الشحنة تتضمن معدات للتنقيب عن النفط . وفيما أخذت العملية تتراجع ، لجأ نورث إلى وكالة المخابرات المركزية ، طالباً ان لا يمارس رئيس محطة الوكالة في ليشبونة ضغوطه على الحكومة فحسب ، بل ان تؤمن الوكالة طائرة بديلة لكن نورث لم يكن مستقيماً حتى مع وكالة المخابرات المركزية وذلك ما أكّده أخيراً في شهادته : « لقد كذبت على وكالة المخابرات المركزية لان ذلك كان الإتفاق الذي عقدناه مع الإسرائيليين والذي يجب ان لا يعرفه أحد سوانا » .

بعد رفض البرتغال التعاون بدأت العملية بالتقهقر ، وكان على الطائرات ان تعود إلى شركاتها . ولم تعط تركيا حق التحليق في أجوائها . وأصرّ المسؤولون القبرصيون على تفتيش الحمولة . أخيراً وفي ٢٤ تشرين الثاني / نوفمبر حطت

طائرة تابعة لوكالة المخابرات المركزية تضع علامات شركة سانت لوسيا في مطار طهران وعلى متنها ثمانية عشر صاروخاً . لكنّ المسؤولين الإيرانيين لم يكونوا مسرورين . فلقد تبين ان الصواريخ لم تكن من النوع المطلوب .

فاتصل الوسيط الإيراني الذي كان يعد للصفقة ، وهو مانوشهر غوربانيفار ، بمجلس الأمن القومي . وكان على وشك ان يصاب بالهستيريا حين قال : لقد حدث أخطر ما يمكن ان يحدث . وصلت الصواريخ وكانت من النوع غير المطلوب .

وقد تضمنت مكالمة غوربانيفار تهديداً ومرر رسالة من رئيس وزراء إيران : « لقد قمنا بكل شيء تعهدنا بان نقوم به وها أنتم الآن تخدعوننا ، يجب ان تتصرفوا بسرعة لمعالجة هذا الوضع » .

لم يطلق سراح أي من الرهائن ووصلت الصواريخ إلى إيران قبل تحرير أيٍّ منهم وهذا ما كان مكفرلين حذّر من حدوثه لكنه قال للجنة الكونغرس فيما بعد : هذه السابقة أعطت الإيرانيين سبباً ليعتقدوا ان الولايات المتحدة سوف تتراجع في المستقبل عن مطلبها باطلاق سراح الرهائن قبل أية عملية شحن أسلحة » .

بعد أربعة أيام من عودة وايت إلى بيروت قال له الأميركيون ان شيئاً ما قد حصل وانهم لا يتوقعون اطلاق سراح

الرهائن فوراً . وقبل ان يتمكن من مغـادرة المدينـة ، انفجرت معركة حامية بين الفئتين المتصارعتين حول رفـع العلم في عيد الإستقلال . قتل فيها أكثر من خمسين شخصاً وجرح أكثـر من مائة .

حوصر وايت في بناية مكتب وكالة الاسـوشياتـد برس إذ كان المسلحون في الخارج يتبادلـون نيران الأسلحـة الرشـاشة والقذائف الصاروخية . اخترقت قذيفة مضادة للدبابات الحائط على بعـد أقـل من اثني عشـر قـدمــاً من مكـان وقــوف وايت فامتلأت الغرفة بالغبار . وكان القتال متقارباً جداً بحيث لاحظ المراسلون التغيرات في درجة حرارة الهواء عندما كانت قذائف الصواريخ والهواوين تنفجر . وفي خضم المعركة وفيمـا كانت المحادثات تتميّز بالصعوبة ذهب تيـري وايت ليأخـذ حمامـاً . وقـال فيمـا بعـد : « إذا لـم تستـطع القيـام بـأي شيء يمكنـك استغلال الوقت » .

وقد لاحظ مراسل أميركي انه شاهد أخيراً انكليزياً هـادئاً كان قد قرأ عنه من قبل . قال وايت انه في أثناء القتال كان ينال قسـطاً من الراحـة وينام ويستمـع أحيانـاً إلى الموسيقى . وفي مناسبة أخـرى شوهـد يجلس على الأرض يرتشف من زجـاجة نبيذ ويتمتع بصحبة الصحافيين الذين كانوا يتحلقون حوله .

أصيب وايت بـالكآبـة عندمـا قتل رجـل متـوسط العمـر خارج الفندق وقال : « أنت تشعر بعبثية الحرب . انها جزء من مـأساة هـذا البلد » . وقد استمـرت محاصـرته في هـذا القتال

لمدة ثلاثة أيام ليأخذه حراسه بعدها في طريق خطر يمر عبر إحدى مناطق الإشتباكات حتى وصل إلى مطار بيروت . فقال وايت عن رحلته : « انها تجربة قوية » وكانت نسبة نجاح مهمته متوسطة . وعندما سئل ما إذا كان قد أنجز تحركاً رئيسياً باتجاه تحرير الرهائن ومما كان يأمل به عندما وصل إلى بيروت أجاب « نعم » لكنه قال : « ما زالت هناك مصاعب قوية » .

ثم قال انه يتوقع ان يعود بعد وقت قصير وربما في نهاية الأسبوع . وسيكون من المفاجىء إذا تمكن من تحقيق تقدم في موضوع المعتقلين في الكويت في ذلك الوقت . ولكن نورث المتفائل دائماً كان ما يزال يعتقد ان بامكانه ان ينقذ صفقة السلاح لذا أراد ترك الباب مفتوحاً أمام تيري وايت ليعود فجأة في حال اطلاق سراح أحد الرهائن .

الكويتيــون

كـان تيري وايت مـرهقاً بعـد الليـالي التي أمضـاهـا في بيروت حيث عمّت الإشتباكات شوارعهـا . لكن أوليفر نـورث كان تواقاً لرؤيته ولهذا طـار مباشـرة إلى نيويـورك عبر رحلة إلى أثينا . وفي مطار كينيدي تدبر سمير حبيبي مـع شركـة الخطوط العالمية أمر لقاء وايت على سلم الطائرة عوضاً عن البـوابة ومن هناك اصطحبـه إلى منطقـة خاصـة بالجمـارك . فذهـل نورث عندما أخبره سمير حبيبي بما قام بـه وقال : « نحن لا نستـطيع ان نقوم بذلك حتى لشعبنا » . هذا وأقلّ حبيبي وايت بـالسيارة واتجه به إلى شقة الأسقف في مانهاتن .

بدا الأمر مختلفاً عما كـان عليه قبـل أسابيـع عندمـا كان وايت في الولايات المتحدة . لقد كـان في ذلك الـوقت وسيطاً لا يعرفه إلاّ القليلون . اما الآن فكان المصـورون الصحافيـون ينتظرونه في بهو الكنيسة الابسكوبية . لقد حظيت رحلتـاه إلى

بيروت بتغطية صحافية في الولايـات المتحدة وأصبـح شخصية معروفة .

وكان وايت قد ترك ثيابـه في بيروت ، مستغـلاً وحراسـه فترة الهدوء الأمني ليسرعوا إلى المطار . وها هو الآن يريـد أن يأخذ حماماً في شقة الأسقف ، لذا خرج سمير حبيبي واشترى لـه بـزة . واستنـاداً إلى حبيبي فقـد لاحقتــه الكـاميـرات إلى محلات الألبسة في مانهاتن .

طار أوليفر نورث وباركر بورغ من واشنطن وتم ارشادهما إلى مدخل خلفي لتجنب الصحـافة . وبعـد وقت جلسا سـوياً وكانت الساعـة السابعـة مساء في مـانهاتن ومنتصف الليـل في بيـروت . كان نـورث يعمل ثمـاني عشـرة سـاعـة في اليـوم إذ أصبح منهمكاً بشكـل غير معقـول لا سيما وانـه أصبح مسؤولاً عن الاشـراف على صفقات الأسلحـة مـع الإيـرانيين وتـوجيـه مختلف المشـاريع من أجـل اخراج الـرهائن من لبنـان وتنسيق الترتيبات لشحن الأسلحة التي تم شراؤها بشكل خـاص ، إلى ثوار نيكاراغوا ، لكنه مـع ذلك شعـر بالسـرور إذ أصبح محـور الأحداث وكان مثيراً للإهتمـام ان يشاركـه وايت في ذلك . لم يكن هناك سبب لعقد الإجتمـاع في ذلك اليـوم بدلاً من اليـوم التـالي ولكن التـأخيـر قـد يؤدي إلى تبخـر الـدرامـا . كـانت المحـادثـات مـريحـة . فسـأل نـورث وايت عن كيفيـة تمتعـه بالحرب فتحدث المبعوث الانغليكاني عن فراره مازحاً وقال ان البزة الواقيـة من الرصـاص أثبتت انها مفيـدة . وأراد نورث ان

يعرف ما إذا كان وايت سيقوم بذلك مرة أخرى . قال وايت : « لماذا ؟ أنت لا تريد مني ان أذهب غداً ؟ » وضحك الجميع . لم يكن يأبه للعودة إلى بيروت مع انه كان يفضل ان لا يعتاد على ذلك . فاقترح عليه نورث ان يبدأ تعلم اللغة العربية .

كان نورث متأسفاً من الأشياء التي لم يقم بها . فاستناداً إلى معلوماته ، كان متأكداً من ان الخاطفين كانوا بصدد اطلاق أحد الرهائن . ولم يكن واضحاً ما إذا كان وايت قد التقى الخاطفين في رحلته الثانية أو التقى مع الوسيط فقط ولكنه حصل على ثلاث رسائل إلى المعتقلين في الكويت . جلس نورث وقال : « يمكن لهذه الرسائل ان تكشف بماذا يفكر الخاطفون » .

كانت الرسائل غير مختومة ومكتوبة باللغة العربية وهي لغة يفهمها سمير حبيبي الذي بدأ يقرأ بصوت عال في شقة الأسقف . فجلس نورث ووضع يديه على رأسه وركز تفكيره . وكان أحياناً يقاطع ويسأل حبيبي ما إذا كان هناك معنى آخر للجملة . لقد كان متعجباً مما إذا كان الخاطفون يريدون ارسال رسائل مموهة . لكن الرسائل كانت : اتصالاً بين أقرباء وكلاماً في أمور عائلية . لم تتضمن أشياء مادية ولا أي ذكر للرهائن . لم يفكر أحد من الحضور انه من الغريب ان يقرأ راهب رسائل الغير لمسؤول حكومي أميركي!

قدمت زوجة الأسقف طعام الغداء على « بوفيه » ورحب

بهم الأسقف جون آلين . وقف نورث الذي كان لطيفاً جداً . فقال أحد قدامى زملائه : «كان أولي يخضع لسلطة الكنيسة وكان مثل القندلفت(*) الذي يحضر للقداس» . كان يولي احتراماً للكاهن حبيبي الذي كان يعتبر نفسه ظاهرياً قسيساً لنورث .

وعندما استؤنفت المحادثات قال وايت ان من أولوياته المطلقة هو الذهاب إلى الكويت . فلقد أعطى تعهداً بانه سيحاول ويتحدث مع الحكومة الكويتية ويزور المعتقلين . وقال انه من الخطر ان نخيب آمال الخاطفين . كان نورث قد استمزج رأي الكويتيين ولم يكن آملاً في انهم سيوافقون على استقبال المبعوث الانغليكاني إذ لم يكن الأمير مستعداً لان يقر بأي رابط بين الرهائن والمعتقلين في بلاده . ولقد دعمته الولايات المتحدة في موقفه هذا .

أدرك وايت ونورث مأزقهما . فلو لم يكونا متنبهين لانتهى بهما الأمر إلى اعتقاد الخاطفين انهم أهينوا ، مما قد يؤدي إلى ايذاء الرهائن . وكما قالا فانهما أعدا فكرة . إذا قابل تيري وايت مسؤولاً حكومياً أميركياً كبيراً فان ذلك قد يوحي للخاطفين بان مطالبهم تؤخذ جدياً بعين الإعتبار . كما انه مهم جداً فذلك يعطي اشارة للكويتيين بان وايت هو مبعوث يحظى بموافقة الحكومة الأميركية .

(*) القندلفت : خادم الكاهن في القداس (المترجم) .

قال حبيبي : « تيري وايت يريد ان يرى ريغان » . كان نورث متأكداً من ان الرئيس سيكون سعيداً بمقابلته لكنه كان يومها خارج المدينة . لكن يُعتقد ان نائب الرئيس موجود . فاتصل نورث بمكتب نائب الرئيس وأخذ موعداً لمقابلته بعد ظهر اليوم التالي . لكن مساعدي جورج بوش أصروا ان تظهر المقابلة على انها تمت بناء على طلب الكنيسة وإلّا فانها ستظهر ان تيري وايت يعمل لصالح الحكومة الأميركية . انضمّ نورث إلى الآخرين وقال انه لمن المساعد ان يقوم الأسقف باتصال معين . وتبين ان الأسقف ألين هو صديق شخصي لجورج بوش فوافق على الإتصال بواشنطن وهذا ما مكّنه فيما بعد من ان يؤكد بثقة قائلاً : « لقد رتبت هذه الزيارة » .

وفي اليوم التالي ٢٦ تشرين الثاني / نوفمبر التقى تيري وايت نائب الرئيس بوش في البيت الأبيض . وانضم إلى الإجتماع بعض كبار المسؤولين ومساعدي بوش ومنهم جون بويندكستر وأوليفر نورث وباركر بورغ ودون كريغ وكريغ فولر . أما وايت فأحضر معه سمير حبيبي والأسقف آلين ومساعد حبيبي ماريون داوسون .

وحتى ذلك الوقت كانت الإدارة تريد ان تبقي اتصالاتها مع وايت على مستوى متواضع لكن هدف اللقاء كان عكس ذلك تماماً فقد قال أحد عناصر مكتب نائب الرئيس : أردنا ان نعطي تيري وايت صورة عالية ، فنحن نريد ان نثبت اننا ننظر إليه بجدية . وقال باركر بورغ انها أمنت « دعاية له بحيث انه

عنـدما يعـود إلى بيروت ، يـوحي للناس الـذين يتحدث معهم إلى ان لـه آذاناً صـاغية من بين كبـار المسؤولين في الحكومـة الأميركية » .

أوجـز تيري وايت لنـائب الرئيس فحـوى اجتماعـاته في بيروت . ومع أنه لم يطلب من الحكـومة الأميـركية ان تمـارس أي ضغط على الكـويت ، فانـه قال ان المعتقلين في الكـويت هـم القضية المركزية لحل هذه المشكلة . وقال انه سيساعد إذا استطاع زيارة تلك الـدولة الخليجيـة . فامتـدحه جـورج بوش لشجاعته واهتمامه لكنه أكد ان سيـاسة الـولايات المتحـدة هي ان لا تطلب من حلفائها . اجراء أية تسوية مع الإرهابيين .

وبعـد اللقاء ، الـذي دام حـوالي خمس وأربعين دقيقـة أجريت مقابـلات مع تيـري وايت في حديقـة البيت الأبيض . لقد حقق هذا اللقاء أهدافه واستطاع ان يقول انه أوصل مطالب الخـاطفين إلى الإدارة . والأهم من ذلـك أن وايت تمكن من استخـدام وجـوده في البيت الأبيض لينـاشـد الكـويتيين بـان يستقبلوه . فقال ان هناك مسائل يمكن بحثهـا دون حصول أيـة تسوية حول موقفهم من الإرهـاب . وكانت منـاقشة دبلومـاسية لطيفة . ثم تابع قائلاً : « اني أدعم موقف الإدارة الأميركية في عدم فرض ضغـوط على الحكومـة الكويتيـة إذ لا أرغب في ان أرى أي مبدأ أو قانون يخرق بـأية طـريقة . . . وبمـا اني قلت ذلـك فاني أرغب في الإجتمـاع مع السلطات الكـويتية . . . » كان نورث ووايت يأملان اعطاء اشارة مسبقة بانهما يريـدان من

الكويتيين ان يلينوا موقفهم بحيث يمكن ان توافق الكويت على زيارة إنسانية للمبعوث الانغليكاني كما يمكن تقديم ذلك للخاطفين في بيروت على انه علامة تقدم .

هذا وقد رافق هذه المناسبة حوادث أخرى : كان تيري وايت خارج البيت الأبيض يدعم السياسة الأميركية برفض المفاوضات مع الإرهابيين بينما كان مسؤولون أميركيون يبيعون الأسلحة بكل سرور إلى أسياد الإرهابيين . وفي اليوم التالي ورد في صحيفة واشنطن بوست حول ايجاز وايت : « لقد شعر المسؤولون ان مهمة تيري وايت يمكن ان تفشل فشلاً ذريعاً إذا رأى الخاطفون . . . انه عميل أميركي أكثر مما هو مفاوض مستقل . لذا أصبح تيري وايت وأوليفر نورث يعملان بشكل وثيق أكثر من أي وقت مضى .

وفيما بعد وعندما كان جورج بوش يقوم بحملته الإنتخابية كان مكتبه ينفر من الإعتراف باللقاء مع تيري وايت . أولاً كان هناك اقتراح بالقول ان هذه المناسبة لم تحدث . لكن تمّ ، فيما بعد ، تعديل الإعلان ، بالقول ان الرئيس ريغان ونائب الرئيس بوش « يحتمل » ان يكونوا قد التقوا في « اجتماع » مع عائلات الرهائن . واحيلت المسألة على مكتب الرئيس الذي أعلن بان رونالد ريغان لم يلتق أبداً مع تيري وايت .

وفي ٢٩ تشرين الثاني / نوفمبر عاد وايت إلى لندن ولدى وصوله تحدث بطريقة مباشرة . انه أراد ان يبحث مسألة

الرهائن المحتجزين في لبنان مع الحكومة الكويتية وانه ينتظر رداً . وكان حسابه صحيحاً ، فانه بعد اصدار هذا البيان العلني يرى الكويتيون أنفسهم مرغمين على الرد . لكنه في الأسبوع التالي أصيب بصدمة : إذ رفض الكويتيون منحه تأشيرة دخول . ففي رأيهم ان استقبال المبعوث الانغليكاني قد يؤدي إلى احداث رابط بين الرهائن والمعتقلين . لكن أحد المسؤولين الكويتيين قال فيما بعد وبشكل جنوني : « نحن نرحب بالسيد وايت كسائح لكن الكويت ليست بلداً سياحياً » . أما الولايات المتحدة فلم تستطع إلاّ ان تمتدح موقف الكويت الثابت .

كان نورث ووايت قلقين من تأثير ذلك على الخاطفين . ووضع وايت الرفض الكويتي على صورته الحسنة ، وقال انه يبقى « متفائلاً بحذر » كما قال في رسالة بعثها عبر قناة سرية إلى أحد النافذين الشيعة في بيروت انه على الرغم من موقف الكويت المعلن فان مهمته ما زالت مستمرة .

وقد تبع ذلك جهود من خلف الأضواء لحث الكويتيين على تليين موقفهم . فوجّه مسؤولو الإدارة نداءات خاصة . واستخدم سبيرو الذي كان على مقاعد الدراسة مع بعض أفراد العائلة المالكة في الكويت ، نفوذه أيضاً . إذ كان أحد أقرباء حبيبي قد التمس مساعدة مستشاري الأمير . لكن الكويتيين لم يبحثوا في العودة عن قرارهم . ففي الشرق الأوسط ، كان ينظر إلى التذبذب في المواقف على انه مقدمة إلى

الإستسلام . لكنهم كانوا على أي حال ، مستعدين لسماع ما يقوله تيري وايت شرط تمكنهم من نفي حصول أي اجتماع . ومن ثم اعداد معادلة متقنة .

وفي ١٨ كانون الأول/ ديسمبر طار وايت إلى جنيف التي كان سمير حبيبي قد سبقه إليها حيث أعد اجتماعاً مع سفير الكويت في سويسرا . وقد أصر الكويتيون على كتمان اللقاء . لكن لم يكن من السهل اخفاء تيري وايت . إذ لم يخفق المراسلون الصحافيون الذين يتجولون في المطارات الدولية في التعرف على الشخص الطويل القامة ذي اللحية الكثة والذي كانت صورته تملأ المجلات الدولية . وسرعان ما اكتشفوا انه ينزل في فندق انترناشونال .

ولم يرغب حبيبي في حضور المراسلين وكان قلقاً عندما علم ان وايت قد كشف حيثيات مهمته إلى مراسل التلفزيون البريطاني الذي كان معجباً به ويثق به كثيراً . وعندما اتصل المراسل على الهاتف ، أصر حبيبي على تغيير الغرف وان لا يتلقى وايت أية مكالمات وإذ تدبر مراسل آخر أمر الوصول إلى وايت قال : « أنا لا أريد ان أتكلم . أنا لست هنا » فأثارت ردة فعله الصحافيين السويسريين . وبعد الإتصال بالعديد من السفارات الأجنبية ، قال لهم أحد الدبلوماسيين ان تيري وايت كان يقابل مسؤولين من الصليب الأحمر الدولي كان قد التقى بهم في زيارة سابقة . إلاّ ان مجموعة صغيرة من المراسلين تجمعوا في بهو الفندق .

جلس وايت وحبيبي في غرفتيهما مثل لاجئين . لم تكن هذه رحلة سرية لان كل حركة كانا يقومان بها كانت موضع مراقبة . تقدم حبيبي من مدير الفندق الذي وافق على المساعدة . مؤكداً له انه معتاد على الضيوف الحساسين . كان ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ينزل دائماً في هذا الفندق عندما كان يزور جنيف . وكان الفندق يفتخر بأن الضيوف كانوا يدخلون إليه ويخرجون منه دون ان يشاهدهم المراسلون . دبرت لهما سيارة ، فتوقف وايت خلف مدخل الفندق حيث تجمع النفايات وتقف شاحنات التموين . ثم استقل وحبيبي المصعد الخاص بالخدم إلى الطابق السفلي حيث مشيا بضع خطوات نحو مركز التحميل الذي كان معزولاً عن الشارع بحائط قرميدي .

ومع ان السفارة الكويتية كانت في الشارع المقابل ، فقد توجها بالسيارة إلى منزل السفير على رابية خارج المدينة قريباً من الحدود مع فرنسا . فلقد جرى ترتيب هذه المناسبة بحيث يستطيع السفير ان ينفي انه اجتمع مع وايت فهو رسمياً يلتقي الكاهن حبيبي وهو ممثل كنسي للمجلس الإقتصادي والإجتماعي التابع للأمم المتحدة . قال سمير حبيبي : كان تيري معي في جنيف بمثابة الضيف . لقد التقى السفير معي ورحب بي بحفاوة بالغة بحيث أبدى ترحيبه بكل من يأتي معي . فحسب التقاليد العربية يجري استقبال أصدقائك معك وليس من الضروري ان تقول « فلان وفلان كانا معي في ذلك

الوقت » .

بـدا ان هـذه الحيلة لم تقنـع أحـداً ولشـدة حسـاسيـة السفيـر ، جرت بعض المحـادثات بـالعربيـة بينمـا كـان وايت يجلس في الخلف . فقال حبيبي للسفير ان اهتمـامهم وقلقهم كـان لدواع إنسـانية . فقـد أرادوا ان يزوروا المعتقلين السبعـة عشر في الكويت . قـال السفير ان الكـويتيين ليسوا مستعـدين لان يربطوا ما بين صحة وأحوال سجنائهم وبين مجموعة أخرى في بلد آخـر وأكّد الـرجـلان انهمـا كـانـا يسعيـان إلى تحسين الإتصال الإنساني بين الأفـراد في الوقت الـذي كانت فيـه حياة البعض في خطر . فبحثوا في تبادل صور الفيديو أو الرسائـل . وسأل تيري وايت ما إذا كان ممكناً تسليم الرسائل من عـائلات الخاطفين والتي أحضرها معه من بيـروت ، إلى المعتقلين في الكـويت . لكن لم يكن السفيـر متجـاوبـاً . إذ سـوف يسـأل البعض كيف وصلت هذه الرسائل . فالكويت تفضل ان يجري تسليمها عبر وكالة دوليـة وليس عبر تيـري وايت . وفي الواقـع كان وايت قد أخبر نورث في ٣ كـانون الأول/ ديسمبـر انه قـد جـرى تبادل مجمـوعة من الـرسائـل من خلال اللجنـة الدوليـة للصليب الأحمـر . فسأل السفيـر لماذا يستحق هؤلاء السجنـاء معـاملة خاصـة . وإذا كانت هنـاك رسائـل أخرى ألا يستـطيـع هؤلاء الأقرباء استخدام البريد العادي ؟

عنـدهـا أدرك وايت وحبيبي قـوة تصميم الكـويتيين على عدم القيام بأي تنازل للإرهابيين أو لمحتجزي الرهـائن . فلقد

أثبتوا انهم مناورون أقـوياء . قـال حبيبي : « حاولنـا ان نشرح للكويتيين ان العائلات غير راضية عن فرص الإتصال الحالية . فقد كان هناك خوف كبيـر من جانب الخـاطفين من ان يصبحوا هدفاً لعمـل ما في المستقبـل . ولم يريـدوا لهم ان يكونـوا في وضع يسمح بالتعرف إليهم من خلال استعمال البريد » .

لكنّ السفير لم يكن مستعداً لأخذ الرسائل دون استشارة حكومته . فيجب ترتيب اجتماع آخر . هذا وأفـاد فيما بعـد ان الحكومة الكـويتية سـوف تتسلم الرسـائل ولكن في المستقبـل يجب ان تصل عبر الصليب الأحمـر أو البريـد العادي . وقـال السفير انه يسعد حكومة الكويت ان تثبت ان المعتقلين يعاملون بطريقة حسنة ولكن ذلك لا يعني زيارة لتيري وايت .

وعلى الـرغم من جميع الإحتيـاطات فقـد تسربت أنبـاء اللقـاء . فذكـرت صحيفـة الخليـج التي تصـدر في الإمـارات العربية المتحدة ان السيد وايت عقد محادثات سرية مع مبعوث كويتي في جنيف .

لقـد اكتشف تيـري وايت ان الكـويتيين ، على عكس الأميركيين ، كانوا يعنون ما يقولون . كانت الحكومة الأميـركية تتكلم بقساوة لكن كلماتهـا كانت جـوفاء بـالمقارنـة مع الحـزم والتصميم في تلك الدولة الخليجية الصغيرة .

وأدرك وايت انه قد حـان الوقت لان يعـود إلى الخاطفين مع أن ما سيحضره لهم هزيل وقليل . لكنه كان ينظر دائماً إلى

الجانب المتفائل أما نورث فقد أعطى حديثاً ساراً عن لقـائه في جنيف : وكتب في مذكراته : « في ١٩ كانـون الأول/ ديسمبر اتصل وايت وأفاد عن لقاء ودي مع الكويتيين » .

غادر وايت إلى بيروت في الحال وأحاط زيارته بـالتفاؤل والأمـل . كـان من قبـل في إيـران وفي ليبيـا فـاوض في عيـد الميلاد وفي المرتين عـاد بأنبـاء طيبة . وبغيـاب اليد القـوية ، ناشد القيم الدينية عند الخاطفين . قائلاً قبل أن يغادر لنـدن : « انه من الرائع جداً ان نرى بادرات سلمية تأتي من لبنـان بدلاً من صور العنف والموت » .

وفي ٢٠ كـانون الأول/ ديسمبـر وصـل تيـري وايت إلى العـاصمـة اللبنـانيـة . ودون أي تفسيـر منعت سلطات المـطار الصحـافيين من لقـائـه . أحيط بحـراس دروز أقلوه إلى فنـدق سمـر لاند من أجـل اجـراء مؤتمـر صحـافي . وبـدأ الحـراس المسلحـون ، الـذين بـدا انهم لا يعـرفـون هـدف الـزيـارة ، بالصراخ في وجه الصحافيين لاخلاء البهو . هدّأ وايت مرافقيه بان شكرهم علناً على احضاره من المطار « بسحرهم وكفاءتهم غير العادية » .

واستحضر مناسبة الميلاد وناشد اطلاق سراح الرهائن . وقال انه يحضر معه « اقتراحات عادلة » إلاّ أنـه لم يكن واضحاً ما إذا كان لديه مبادرة جديـدة أو ما إذا كـان ذلك وسيلة لاغـراء الخاطفين للقائه .

بقي مختبئاً لمدة خمسة أيام . فشك بعض المسؤولين الأميركيين ما إذا كان قد قابل الخاطفين . لقد كان هناك حديث مع وسيط لكنه لم يكن مثمراً . إذ كان المسلحون الشيعة الذين يحتجزون الرهائن أشخاصاً صعبين ولا يمكن اقناعهم بالعواطف والنداءات أو بالوعود بتحسين الإتصالات مع أقاربهم في الكويت .

فقد أعطوا وايت مهلة أربع وعشرين ساعة لمغادرة البلاد وقالوا له بان لا يعود إلاّ إذا كان بحوزته أخبار جيدة . قال باركر بورغ : عندما تكلمنا معه بعد زيارته ، أشار إلى انهم كانوا خائبين لانه لم يحضر معه شيئاً ملموساً وأرغم على مغادرة البلاد بسرعة . واعتقد انه كان خائفاً من تهديد في حياته » .

كان على حق في ان يقلق . فقد تذكر أحد الرهائن زيارة الميلاد : « قال لنا الحراس انهم يبحثون في أخذ تيري وايت والإحتفاظ به في شهر كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٥ لانه جاء إلى بيروت دون ان يحضر معه الإتفاقية الموقعة صفقة اطلاق سراح المعتقلين السبعة عشر من السجون الكويتية » .

أقر وايت ان الزيارة كانت نكسة وقال : « على المرء ان يعترف ان المياه في بيروت عميقة جداً ومضطربة . لقد كان في الواقع كئيباً واستناداً إلى بعض الأصدقاء ، بدأ يسأل عما إذا كانت مهمته لمصلحة الرهائن الأميركيين لها أي مستقبل . أحد الذين تكلم معهم كانت ماريون داوسون وهو المساعد

الشخصي لسمير حبيبي . قال : « أذكر اني تلقيت مكالمـة منه عشية ميلاد ١٩٨٥ وكان كئيباً . لقد اتصل بي ليتمنى لي ميلاداً سعيداً لكنه كان واضحاً انه محبط » بدا من محادثة داوسون انه اتكل كثيراً على مناسبة الميلاد وأقنع نفسه ان الخاطفين يمكن ان يقدموا تنازلات . كان وايت متفائلاً ومقتنعاً بأخـلاقية الـذين التقاهم . تقول ماريون داوسون أعتقد انه ربما كانت لديه آمال كثيـرة حول زيـارة الميلاد لانـه في ميلاد السنـة المـاضيـة وفي اجتماعه الشهير مع القذافي في الخيمة حقق نجـاحاً معتبـراً . شعرت داوسون وهي تصغي إليه انه يبحث عمن يشجعه وعمن يؤكد له ان ما قام به هام ومميز .

لم يكن تيـري وايت الـوحيـد الـذي شعـر بـالفشـل في بيـروت ، لقد أحس بـذلك الـرهائن أنفسهم . فخـلال ميـلاد عـام ١٩٨٥ كـان الأميـركيـون الخمسـة محتجـزين معـاً . ان المشاركة في الأسر جعلت الأيام الـطويلة محتملة : استطاعـوا الهـروب إلى ذاكرة بعضهم وخيـالهم . كانـوا ينظمـون خدمـة بـالدور فيمـا بينهم داخل الـزنزانـة التي لقبـوهـا بكنيـة البـاب المقفـل . لم يسمح لهم بـرؤيـة الخـاطفين وكـانـوا يعصبـون أعينهم عندما يدخل هؤلاء الخاطفون عليهم .

لكنهم وفي بعض الأحيان كانـوا يحصلون على نتف من الأخبار التي تتحدث عن جهود خارجية لمساعدتهم ويستمعون إلى الراديو قبل ان يقفله الحراس . ذات مرة سمع الأب جنكو حفيـده وهو ينـاشد اطـلاق سراحـه في إذاعة صـوت أميركـا .

وتـذكر ديفيـد جاكـوبسون انـه ذات ليلة سمع وزيـر الخارجيـة الأسبق هنري كيسنجر يتحدث عن نصائحه للرئيس بشأن أزمـة الرهائن إذ سمعـه يقول : « كـآخر وسيلة ، انهم سيستخـدمون امكانياتهم الخاصة للخروج » .

فارتبك جاكوبسون وكتب فيما بعـد : « كنت أجلس وأنا أرتدي ثيابي الداخلية على وسادة في غرفة ليس لها نوافذ وبابها مجهـز بقفلين . خـارج البـاب يقـف حـارس مسلح دائم المـراقبة . قلت : يـا رب ، يا هنـري ما هي الإمكـانيات التي أملكها ؟ ماذا يظن اني أملك ؟

وعلم الـرهـائن بمهمـة تيـري وايت فـأرادوا ان يسـألـوا الحـراس كيف تجري هـذه المهمـة . كـانت مصـدراً لـلأمـل وللتشجيع . وتساءلوا هل يحتفلون بعيد الميلاد مع عائلاتهم ؟ لكن الأب جنكو سمع بعد ذلك في هيئة الإذاعة البـريطانيـة ، الخدمة العالمية ان مفاوضات تيري وايت قد فشلت . فكـانت خيبـة مـرة . تـذكـر الأب جنكـو انهـا كـانت عشيـة الميـلاد : « وهكذا احتفلت بقداس منتصف الليل . غنينا أناشيد الميـلاد وكنت تسمـع أصواتـاً ليس فيها أيـة نبرة حـادة . كـانت هنـاك عـواطف تجيش في الغرفـة . وكنت متأكـداً أنه لـو بدأ أحـدنـا بـالبكاء لتبعـه الآخرون . وفي اليـوم التالي ، حضـر الحـراس الشباب وهم يدركون اننا محبطون ويائسون وأحضروا لنا كعكة الميـلاد وقد كتب عليهـا : « ميلاد سعيـد يا يسـوع » وأعطونـا « آيس كـريم » وفروجـاً و « بيبسي » ودخلوا إلى الغـرفـة وغنـوا

ميلاد سعيد ليسوع .

بعد ذلك بوقت قصير تغيرت حالة الخاطفين وانتزعوا منا جهاز الراديو وشعر الرهائن بـالعزلـة وبانهم منسيـون . وعندمـا اشتكوا قيل لهم : « أنتم تسألون أسئلة كثيرة وأنتم تعلمون أكثر منـا » . ويعتقد ديفيـد جاكـوبسـون ان السبب الحقيقي لسلوك الحراس هو انهم لم يريدوا ان يعرف تيري أنـدرسون ان والـده قد توفي وان شقيقـه ريسن الذي كـان قد وجّـه نداءً دراماتيكياً لانقاذه ، كان يحتضر لأنه مصاب بالسـرطان . وخـلال زيارتـه القصيـرة إلى بيـروت أحضـر وايت رسـائـل للرهـائن من عائلاتهم . لم يسلمها الخاطفون إلاّ بعد شهرين .

قال الأب جنكو انه بعد كانون الأول/ ديسمبر لم يسمعوا شيئاً عن تيري وايت : « بحيث كنـا نسأل الحـراس ما إذا كـان وايت ما يزال يجري محادثات فلم يعطونا أية معلومـات عما إذا كان ما يزال يفاوض أم لا » . لكن الأب جنكو اكتشف أيضاً ان الخاطفين قد غيروا رأيهم بتيري وايت « كان هناك شعـور معين أعتقد اننا فهمناه منهم ، وذلك بـان نظرتهم لتيـري قد تغيـرت وان ثقتهم به قد تزعزعت » .

أمضى وايت مـا تبقى من عطلة الميـلاد مـع عـائلتـه في بـلاكهيث في لندن . واقتنـع انه لم يعـد هنـاك مجـال للبحث بمسـألة المعتقلين في الكـويت . كـان نـورث يعـرف ان تلك المسألة هي من الدوافع التي يمكن ان تحـرر الرهـائن ولم يشأ

الإستسلام أمامها . وفي مذكراته ، ذكر نفسه بفرض مزيد من الضغوط على الكويتيين » فخلال شهر كانون الأول/ ديسمبر دخل في جدال حام في واشنطن حول مستقبل سياسة تسليح إيران .

كان يستشهد بتيري وايت عندما يتجادل مع بعض أعضاء إدارة ريغان الحذرين . لقد كتب نورث في مذكرة إلى بويندكستر ومكفرلين : « ان وايت يشاركنا الاعتقاد ان الرهائن يتعرضون بشكل متزايد للخطر وان أحدهم قد يعدم في نهاية الأسبوع .

وفيما كانت جهود وايت تتهاوى في وجه التصميم الكويتي ، كانت الإدارة تعيش لحظات من الشك . وقد أدى فشل شحنة صواريخ الهوك في تشرين الثاني / نوفمبر إلى ايقاظ الجميع من غفوتهم ما عدا نورث . إذ كانت الحقيقة الدامغة هي انه أرسل ثلاث شحنات من الصواريخ إلى إيران وأطلق رهينة واحد فقط . رأى وزير الخارجية في حالة التحرر من الأوهام فرصة لانهاء تجارة الأسلحة بالرهائن . فمنذ البداية كان يعتقد انها فكرة سيئة وقال للرئيس ريغان : « اننا نسقط في عملية تبادل الأسلحة بالرهائن ويجب ان لا نسقط » .

وفي ٦ كانون الأول/ ديسمبر عقد اجتماع في البيت الأبيض بحث موضوع بيع السلاح إلى إيران . كان وزير الخارجية جورج شولتز قد أعلن معارضته لأي صفقات جديدة

وذلك في اتصال هاتفي مع جون بويندكستر المستشار الجديد لشؤون الأمن القومي . وقال انه يجب وقف هذه العملية . « نحن نعطي اشارة إلى إيران انه يمكنهم خطف الناس والإستفادة من ذلك » ودعم هذا الرأي وزير الدفاع كسبار وينبرغر الذي قال ان « هذه السياسة قد تعرض الولايات المتحدة إلى ابتزاز من النوع الرخيص .

لكن أوليفر نورث كان يخطط لصفقة أخرى غير آبه بالإرتدادات السياسية الهزيلة . وكانت صفقة أكبر من الأولى : ٣٣٠٠ صاروخ تو وخمسون صاروخ هوك يجري تبادلها بجميع الرهائن . استخدم نورث هذه الصفقة ليدعم قضيته ، دون ان يقلق من الإبتزاز . وفي رأيه انه لا يمكن للولايات المتحدة ان تنسحب دون ان تعرض حياة الرهائن للخطر . وكانت مناقشته قوية وعاطفية ، « مبنية على ما نستطيع ان نستنتجه من معلوماتنا في بيروت » . كتب نورث إلى الاميرال بويندكستر : « نحن نعتقد انهم قلقون بان الرهائن . . . يمكن ان يُقتلوا . . . في المستقبل القريب » . يبدو ان اتصالات وايت مع الخاطفين تدعم هذا التقدير .

كان نورث يستخدم أي حجة ليدعم هدفه : تحرير المحتجزين الأميركيين . وبما انه كلف بهذه المهمة فقد كان يميل إلى التفرد برأيه . كان ذلك شكلاً من أشكال العمى جعله لا يرى التناقضات . فإذا ما داست فكرته على قيم أخرى

كان يتمسك بها ، دون أن يزعجه ذلك . ففي لحظات أخرى من حياته كان التهديد الذي يتعرض له الرهائن يثير فيه مقاومة عنيفة ، لكنه صار جزءاً من قضيتهم . فقد كتب في أحد مذكراته : نحن بعيدون جداً عن الطريق بحيث إذا أوقفنا ما بدأنا به ، قد نتعرّض لانعكاسات خطيرة وإذا لم نقم أخيراً بمحاولة أخرى فان هناك فرصة كبيرة لان نحكم على بعض الرهائن أو جميعهم بالموت وبموجة جديدة من ارهاب الجهاد الإسلامي .

وبعد اجتماع الأزمة في البيت الأبيض ، كان لدى جورج شولتز انطباع بان وجهة نظره قد سادت . فقال أحد معاونيه انه « خنق الطفل في المهد » ـ ذلك بان الرئيس قد وافق على وقف مبيعات الأسلحة . وكان للآخرين رأي آخر : انه لم يكن هناك اجماع ولا قرار .

وقد اعترف الرئيس فيما بعد انه كان هناك مأزق .

كانت اجتماعات ريغان في الغالب غير دقيقة لقد كان ذلك أسلوبه . تطرح الأسئلة ، وتدور التعليقات ، لكن القرارات تتبخر في جو من البهجة . وبعد ذلك يعود لرئيس الأركان ان يفسر ما يدور في عقل الرئيس . كان أسلوبه في تدبير الأمور يعكس أسلوب آية الله الخميني : كان الزعيم الإيراني يحكم إيران من خلال تعابير وجهه وحركات يديه والمراجع الدينية الخفية . وكان الملالي يجهدون لتفسير

معانيها وإذا أدت هذه السياسة إلى الفشل عندها لا يتحمل الخميني أية مسؤولية .

وخلال شهر كانون الأول/ ديسمبر ، قام روبرت مكفرلين ، اعتقاداً منه بانه يحمل توجيهات من الرئيس ، بالذهاب بعيداً في إعلام الرئيس انه يمكن ان يحصل تبادل أسلحة بالرهائن . وعلى أية حال ، فقد خسر أوليفر نورث رغبات الرئيس بشكل مختلف معتقداً ان صفقة الصواريخ هي خيار رسمي وقد دعمه في ذلك وليم كايسي مدير وكالة المخابرات المركزية الذي كان مقتنعاً بان الرئيس لم يتخل عن فكرة التجارة مع الإيرانيين .

كان هذا الإرباك ملائماً لرجل نشيط مثل أوليفر نورث الذي استأنف اجتماعاته مع الإسرائيليين ومع وسيط إيراني ودعمه في ذلك استياء الرئيس من الفشل في اطلاق سراح الرهائن في بيروت لقد كان منزعجاً من ان يرى نفسه عاجزاً . وخلال فصل الأعياد عقد سلسلة من الإجتماعات الودّية مع عائلات الرهائن : فكان الرئيس منزعجاً بشكل ظاهر من معاناتهم . لذا أمر أركانه بمضاعفة جهودهم من أجل تحرير الرهائن .

كان ذلك ضوءاً أخضر لأوليفر نورث بأنه لن تنجح إلاّ سياسة واحدة وهي تجارة السلاح . ومع انتهاء السنة عمل دون كلل في عدة مشاريع واثقاً من ان الرئيس يشاركه مشاعره وكان

يتوقّع دعم الـرئيس لأية خـطة تتضمن فرصـة لتحريـر الرهـائن سيبقى إذاً تيري وايت ضرورياً في عمليات عـديدة كـان نورث يعدها . ومع ان مهمته الثالثة إلى بيروت قد انتهت بالفشل فقد شجع نورث المبعوث الانغليكاني قـائلاً لـه ان الأمور مـا زالت تتحرك وانه يجب ان يجتمعا .

عملية الاسترداد

هبت الرياح على نهر الهدسون واخترقت طرقات مانهاتن الطويلة . فتجمد الناس قبل ان يجتازوا طرقات المدينة المثلجة وكانت ثيابهم ترفرف حولهم كالاعلام . ونظر تيري وايت إلى شوارع نيويورك التي كانت قارسة البرد في كانون الثاني / يناير . فبدا له ان الشقة مفصولة عن جوارها لذا تظهر متألقةً وهي على النمط الفرنسي الذي كان سائداً في القرن التاسع عشر وقد تساوي بضعة ملايين من الدولارات فهي كانت منزلاً لعائلة هافيما يرز إحدى عائلات نيويورك المرموقة ، والتي تنتمي للطائفة الابسكوبية . لقد دعا أصحاب تلك الشقة وايت للاقامة عندهم ذلك ان شقة الأسقف كانت مشغولة . وفي ٨ كانون الثاني / يناير ١٩٨٦ دعوا أوليفر نورث لينضم إليهم في تناول طعام العشاء .

وآل هافيما يرز حصلوا على ثروتهم من عملهم في

تكرير السكر وأنفقوها على الرسم : وعلى مر السنين أصبح لديهم أضخم مجموعة لوحات تملكها عائلة أميركية . وقد ذهب معظم هذه الأعمال إلى متحف الفن في العشرينات ، لكنهم احتفظوا بالعديد من اللوحات التعبيرية . وفي عام ١٩٨٣ قرروا ان يبيعوا إحدى اللوحات وهي لوحة « الإنتظار » لديغاس بلغ ثمنها ٣,٤ مليون دولار وكان ذلك أغلى ثمن دفع لعمل تعبيري آنذاك . قال هوراس هافيماير : « أنا متأكد من ان دائرة الأرباح الداخلية سوف تكون سعيدة » .

ترك سمير حبيبي وايت يأكل وذهب إلى المطار لاحضار أوليفر نورث . وكانت الكنيسة الإنكليزية تستقبل بعض أفراد العائلات الارستوقراطية البريطانية ولكن لم يكن هناك مثيل لعائلات نيو انغلاند الابسكوبية .

فقد كانت ثرواتهم قديمة العهد كما كانوا محافظين وبروتستانت ، ومع ذلك فإنهم كانوا يتبرعون للعديد من المشاريع الإجتماعية . كان أولادهم يتعلمون في جامعة ايفي وكانوا يحصلون دون مشقة على وظائف حكومية أو تجارية . وكانت واشنطن مدينة « الأصدقاء » الذين كانوا في معظمهم على النمط الإنكليزي ، فكان لعائلة هافيمايرز منزل في لندن . وهكذا كانت أميركا أليفة بالنسبة لتيري وايت رغم انها كانت غريبة .

وصل نورث فانضم إلى عشاء آل هافيمايرز . وطلب

حبيبي توجيهات في معالجة مأساة الرهائن وصلى لأجل أعداء أميركا . وخلال المأدبة تحدث تيري وايت عن زياراته الأخيرة إلى بيروت . فوصف كيف تعرض في زيارته الأولى للتفتيش وقال انها تجربة مخيفة في حياته . ولم يكن حبيبي قد سمع القصة من قبل .

وبعد انتهاء العشاء ذهب نورث ووايت وحبيبي وجلسوا قرب النار في غرفة المكتبة . كان الجميع يشعر ان المهمة أصبحت على مفترق طرق . فقد أكدت رحلة الميلاد أهمية المعتقلين في الكويت . ومع ذلك وعلى الرغم من الضغوطات التي فرضها نورث من خلف الأضواء فإن الكويتيين لم يحركوا ساكناً .

وطرح نورث الفكرة التي كان قد جرى بحثها في الصيف الماضي ومفادها انه إذا لم يستطيعوا تحرير السجناء في الكويت ، فإنه يمكنهم المساعدة في تحرير شيعة آخرين . وكان جيش لبنان الجنوبي يحتجز بضع مئات في سجن في بلدة الخيام . وكان العديد من هؤلاء قد اعتقل في غارات شنها الجيش الإسرائيلي الشيعة ينظرون إليهم على انهم رهائن . وكان جيش لبنان الجنوبي يحرس قطاعاً من الأرض في جنوب لبنان على طول الحدود مع إسرائيل . وكان معظم الناس يرون في هذا الجيش ميلشيا إسرائيلية : فقد زوده الجيش الإسرائيلي بالأسلحة وأمّن له التدريب كما كان الجنود الإسرائيليون يتنقلون في داخل القطاع بحرية تامة .

والجنرال أنطوان لحد قائد جيش لبنان الجنوبي لبناني مسيحي وقد يستجيب ، باعتقاد نورث ، إلى نداء من الكنيسة ، خصوصاً إذا وجّه ذلك النداء مبعوث أسقف كانتربري شخصياً . وذكر نورث ان كاردينال نيويورك للطائفة الكاثوليكية قد عرض ان يتوسط مع لحد . وفي اعتقاده الشخصي انه من الأفضل ان يحمل وايت رسالة من البابا . يطلب فيها من لحد اطلاق سراح السجناء الذين « لم تتلطخ أيديهم بالدماء » . لكنّ المشكلة كانت أين تعقد الإجتماعات .

فقد كان لحد مكروهاً من الشيعة الذين يعتبرونه دمية إسرائيلية . فإذا علموا ان وايت قد التقى به فان حياده سوف يهتز وتتعرض حياة الرهائن للخطر . لذلك كان من الضروري ان يبقى اللقاء سرياً حتى يظهر انه نتيجة لذلك أُخلي سبيل السجناء الشيعة .

وبينما كانوا يجلسون حول النار ، أعد نورث خطة . يتوجه وايت بموجبها إلى قبرص ثم إلى تل أبيب . فيجري استقباله في إسرائيل وينقل إلى منزل آمن . وفي الليل يذهب بواسطة طائرة هلكوبتر إسرائيلية إلى جنوب لبنان ويلتقي مع لحد . وعندما يتحرر السجناء ، يمكن لوايت ان يعلن ان الإجتماع قد تمّ على أرض محايدة . أما إذا تسربت أنباء زيارته لإسرائيل فيمكنه ان يعلن انه كان يقابل أسقف القدس للطائفة الانغليكانية . وكان من المقرر أن يكون حبيبي الذي

يقع منزلـه في القدس الشـرقية ، في إسـرائيل في الـوقت عينه فـاستغـرب وايت من ضـرورة إجـراء اللقــاء في لبنـان أو في إسرائيل ـ وتساءل لماذا لا يجري في قبرص ؟ كان نورث يشك في بقاء الإجتماع سـرياً معتقـداً ان لحد سيكـون متخوفـاً على أمنه .

كان حبيبي ووايت متحمسين لهذه الفكـرة . فقد اعتقـد وايت ان من شأنها تـدعيم موقفـه مع الخـاطفين في بيروت إذا ظهـرت لهم قـدرتـه على تحـريـر المعتقلين الشيعـة . وسـأل نـورث : « هـل تعتقـد ان لحـد سيمشي في المشـروع ؟ قـال نـورث : من خلال معلومـاتنا قـد يرغب لحـد في تقديم بعض التنازلات .

لم يستـطع نورث تحـديد بـداية تنفيـذ الخطة لان ذلـك يعتمـد على الإسرائيليين . ولكنـه وعد بـان يتصـل بـوايت في لنـدن . وأخيراً تحـدث الجميع بـايجاز عن عـائلاتهم ثم أقـلّ حبيبي نورث بالسيارة إلى المطار .

إنّ ما لم يعلمه تيري وايت على العشاء هـو ان اجتماعـه المقترح مع الجنرال لحد كان جزءاً من صفقة كبيرة تتضمن بيع الأسلحة إلى إيران . فمنذ أكثر من شهـر كان نـورث يعمل في خطة يأمل منها ان تؤدي إلى تحرير جميع الرهائن الأميركيين . وقـد سميت « عمليـة الإستـرداد » وتضمنت بيـع ثـلاثـة آلاف وثـلاثمائـة صاروخ تـو مضاداً للدبـابات إلى إيـران . وكان في ذهن نورث أن هذه الصفقة هي التي تنهي أزمة الرهائن .

بعـد الميلاد ازداد احبـاط الرئيس ريغـان حـول مسـألـة الرهائن إذ لم يبدُ ان أحداً من الإدارة يملك أفكاراً جديدة لحل هـذه الأزمة . لكن نـورث كان قـد أنهى اعـداد مـذكـرة تضـع الخطوط العامة لعملية الإسترداد . كانت تلك الأفكـار مشابهـة لتلك التي كـانت في الصيف الماضي : تـذهب الأسلحـة إلى « المعتـدلين » في « طهـران » فينتـج عن تلك الصفقـة إقـامـة عـلاقة جـديـدة بين إيـران والـولايـات المتحـدة . ثم أضـاف نـورث ، ويذكـاء ، عبـارة تحمي الإدارة من الخـداع « إذا لم يجـر اطلاق سـراح جميـع الـرهـائن بعـد شحن ألف صـاروخ ستتوقف عمليات شحن الأسلحة » .

في ٦ كانون الثاني / يناير وضع الـرئيس ريغان تـأشيرتـه على مذكرة نورث ، ومع ذلك فقد بقي هناك بعض الشك فيما إذا كان الرئيس ينـوي الموافقـة عليها حقـاً . لكن وبعد عشـرة أيام وبعد اجتماع في المكتب البيضاوي ، وقـع الرئيس وثيقـة تضمنت مـوافقتـه الـرسميـة على العمليـة . وقـال الأميـرال بويندكستر الذي حصل على توقيـع الرئيس : ان ريغـان لاحظ الوثيقة قـائلاً : « حسنـاً ، إذا استطعنـا تحريـر جميع الـرهائن سنصبح أبطالاً وإذا لم نستطع سنقع في مشكلة » .

أعـطي أوليفر نـورث شيكـاً أبيض . وكـان شـريكـه في عملية الاسترداد ، شاب إسرائيلي هـو اميرام نيـر : وقد تعـرفا إلى بعضهمـا في ازمة خـطف السفينة اكيلي لاورو . كـان نيـر مراسلاً تلفزيونياً متخصصاً في تغطية أنباء القوات الإسرائيلية .

ولم يكن لـه خبرة في ذلـك المجال ، لكن رئيس الـوزراء شيمـون بيريـز اختاره ليكـون مستشاره لشؤون مكـافحة الإرهـاب . ولم يكن المسؤولون في وزارة الخـارجية وفي الموساد وفي أجهزة الإستخبارات يحبونه ، لكن نير كان فنـاناً في المناورة عليهم . فكان يزور واشنطن سراً ويقيم العلاقات مـع المسؤولين في الإدارة في وزارة الـدفـاع . وهنـاك في إسـرائيـل مجـد وشهـرة لمن لـه اتصـالات مـع واشنـطن وهي عاصمة الولايات المتحـدة ، حليفة إسـرائيل الأولى والمتبـرعة الأساسية لها .

وبحلول كـانون الأول/ ديسمبـر ١٩٨٦ كان اميـرام نيـر ينظم دور إسرائيل في صفقة تبادل الأسلحة بالرهائن .

كان نير الصورة المرآتية لنورث ـ نشيـطاً مصمماً ذا عـزم وتصميم ، يحتقر « الأقنية العادية » . وكان لكل منهمـا قصصاً بطولية في ماضيه لا يستطيع أحـد التثبت منها فقـد كان نيـر قد فقد إحدى عينيه في حادث سيارة . يروي مـايكل ليـدين الذي عمـل في صفقة السـلاح الأولى ان هناك حكـاية في إسـرائيـل تقـول ان نير وجـد عينـه وحملهـا « وضغـطهـا على التجـويف المليء بالدماء ثم قاد السيـارة بسرعـة قصوى بـاتجاه مستشفى هـداسا في القـدس » وقد قتـل عام ١٩٨٨ في حـادث تحـطم طائرة في المكسيك .

وكـان بعض أعضـاء مجلس الأمن القـومي يحتقـرون الإسـرائيليين . يقول أحـدهم : « كـان نيـر يعتبـر نفسـه سيـد

الجـواسيس لكنـه لم يكن يعلم شيئـاً عن العـالم الحقيقي » وصـادف في ذلـك الـوقت أن أجـرى بـرنـامـج هيئـة الإذاعـة البريطانية بانوراما مقابلة معه في مكتبـه في تل أبيب حيث قـدم عرضاً طويلاً لـلإرهاب الفلسـطيني . وبعد سـاعتين من اجراء المقـابلة أرسـل بعض المـوظفين إلى القـدس بـطلب شـرائط المقـابلة لانها تكشف عن هـويته وتعـرض مهـامـه الحسـاسـة للخـطر . فذهـل المسؤولون الإسـرائيليـون من اعـطائـه هـذه المقابلة وأصروا على عدم استخدام ما ورد فيها .

وبينمـا كـان نـورث يلغي دور وزارة الخـارجيـة وبعض مسؤولي وكالة المخابرات المـركزيـة كان نيـر يتجاوز المـوساد ووزارة الخـارجية الإسـرائيلية . لقـد كان الـرجـلان منجـذبين لبعضهمـا ، إذ كانـا يريـان نفسهما نـاشطين وجنـديين سابقين استطاعا تجاوز البيروقراطية الحكومية .

وفي كانون الأول/ ديسمبر بدأ باعداد عملية الاسترداد . ومع انهما كانا مقتنعين بان باستطاعتهما شراء إيران بالصواريـخ فـإنهمـا أرادا تقـديم شيء آخـر إلى « الجهـاد الإسـلامي » . فاقترح نير انه عندما يبدأ الخاطفون بتحرير الرهائن يطلق جيش لبنـان الجنوبي في الـوقت نفسـه سـراح خمسـة وعشـرين إلى ثـلاثين سجيناً شيعيـاً . وهكـذا وقبـل ان يتنـاول نـورث طعـام العشاء مع وايت في نيويورك كان قد علم من نير ان لحد سوف يطلق سراح السجناء . ومع ان وايت لم يكن عالماً بذلك فـانه سيكون له الفضـل في حصولـه ، ذلك أن نـورث ونير أرادا ان

يعتقد الخاطفون في بيروت ان رفاقهم الشيعة قد أطلق سراحهم نتيجة لتدخل الكنيسة ، وإن كانت مفكرة نورث تكشف أن العملية كانت معدة من قبل .

في ٦ كانون الثاني / يناير التقى نورث نير الساعة الرابعة عشرة والنصف وبحث معه في ثلاثة خيارات من أجل تحرير الرهائن . فكتب نورث في مفكرته خطة الخيار الأول حسب اعتقاده :

الخيار الأول : تيري وايت . اطلاق سراح مبني على أسس دينية : وتتضمن الخطة رسالة من البابا إلى لحد . رسالة إلى زعماء الشيعة اللبنانيين « لاستخدام نفوذهم لاطلاق سراح أولئك الذين لم يرتكبوا أي خطأ » . نير ينصح لحد بالعدد . لحد يخبر وايت بالعدد وبموعد الإفراج .

يعقد نير صفقة مع حزب الله ، يذهب وايت إلى بيروت . يُسلَّم المواطنون الأميركيون المفرج عنهم إلى وايت .

وسوف تخبر الكنيسة الزعماء الشيعة انها تقوم بكل ما في بوسعها من أجل اطلاق سراح المعتقلين الشيعة ، لكن اجتماع وايت المقترح مع الجنرال لحد سوف يصبح تمثيلية . وكما توضح مفكرة نورث ، فسوف ينصح نير لحد بعدد السجناء الذين سيفرج عنهم ، وسيكون وايت الوجه الإعلامي للعملية .

رأى نورث في الصفقة مع الإيرانيين فرصة مضاعفة . ففي أحد اجتماعاته مع نير ، اقترح المسؤول الإسرائيلي زيادة ثمن الصواريخ المسلمة لإيران واستخدام الفائض لدعم « الكونترا » في نيكاراغوا . وكان الكونترا الوجه العاطفي الآخر لنورث . إذ كان كالرئيس ريغان يرى فيهم مقاتلين من أجل الحرية يقاومون انتشار الشيوعية في أميركا الوسطى . وقد زار نورث مخيمات الكونترا في الهندوراس مقدماً لهم الأموال وامدادات السلاح . وها هي الآن طريقة بسيطة من أجل تمويل عملية ، كان الكونغرس قد أوقفها . لقد كان اقتراح نير يشجع الفكرة التي كانت تدور في ذهن نورث ، والتي كانت قد خطرت بباله بشكل واضح . لذا ذهل نورث وقال لنير : « إنه لشيء جميل ان نجعل آية الله يموّل الحرب ضد الساندينيين » .

وخلال شهر كانون الثاني / يناير كان نورث يستعرض عدداً من المشاريع المذهلة لتحرير الرهائن . فقد كان وليم روجرز وزير الخارجية السابق في طرابلس آنذاك . وقد حصل على رسالة من القذافي كان الزعيم الليبي فيها يرغب بشراء الرهائن بمبلغ ١٠ ملايين من الدولارات مقابل منع جميع أعمال العنف . كما كانت هناك خطة أخرى يشترك فيها الرهينة الأميركي بيتر كيلبورن . فمنذ ستة أشهر تقدم شخص كندي من أصل أرمني إلى المسؤولين الأميركيين يقول انه يمثل الخاطفين ، ومبرزاً بطاقة هوية كيلبورن دليلاً على ذلك . كان

الخاطفون يريدون مبلغاً من المال يتـراوح بين ٥٠٠ ألف دولار و١٢ مليون دولار . فوافق نـورث على دفع مبلغ ٣ مـلايين من الدولارات . لكنه قلق من هذه العملية . إذ هل يمكن الوثـوق بالمافيا الأرمنية ؟ وماذا يحدث لـو تساقـطت الثلوج على طريق بيروت دمشق ؟ وماذا ستكـون العواقب إذا اكتشفت العمليـة ؟ وماذا ستكون ردة فعل السوريين عندما يعلمون ان أحد الرهائن قـد تم شراؤه دون علمهم ؟ لـذا خطط نـورث بـالإشتـراك مـع وكالة المخـابرات المـركزيـة ومكتب التحقيق الفدرالي عمليـة بحيث تتم معـالجـة كيميـائيـة لأوراق العملة (الـدولارات) : بحيث انها تتفتت بعد بضعـة أيام . وكتب نـورث في مذكـراته « الجيش يقـوم بالمعـالجة ، المـال تنتهي معالجتـه في نهـايـة الأسبوع » .

في ٢٢ كانون الثاني / يناير طار نـورث إلى لندن فـالتقى تيـري وايت في النهار نفسـه . وقبـل اللقـاء تـوجـه إلى فنـدق تشـرشل حيث انضم إليـه اميـرام نيـر وريتشـارد سيكـورد وهـو جنرال متقاعد في القوات الجوية الأميركية وكانت شركته تتولى تنفيذ بعض الصفقات في تلك العملية . عقد الثـلاثة اجتمـاعاً مـع مانـو شهر غـوربانيفـار الوسيط الإيـراني الذي كـان يـرتب الصفقات مع القيـادة في طهران . ودبـر نورث أمـر تسجيل مـا جرى في الإجتماع من قبل وكالة المخابرات المركزية .

كان غوربا نيفار مسروراً لموضوع المال وقال : « أظن يا أولي ان هذه هي أفضل فرصة الآن لاننا لن نجد وقتاً أفضل من

هـذا ولن نحصـل على أمـوال أفضـل من هـذا » ثم ضحـك ضحكة متآمـرة وهو يقـول : نحن نقوم بكـل شيء . موضـوع الـرهائن دون ثمن . مـوضـوع الإرهـابيين دون ثمن . أميـركـا الوسطى دون ثمن » أما الإيرانيـون فكانـوا قد عـرفوا ان صفقـة الرهائن ستمكن نورث من تمويل نشاطـات أخرى ومن ضمنهـا الكونترا . لذا لم يكن نورث مرتاحاً لهذا الكشف خصوصاً وانه كان يعلم ان المخابرات الأميركية تسجل ما يدور في الإجتماع وقـال : « أود ان أرى . . . . في بعض النقاط ، أن ، فكـره ، ربمـا ، أنت تعلم ، إذا كـان هنـاك من فـرصـة في المستقبـل لأميركا الوسطى » تابع نورث دون ان يكون راغباً في الإعتراف باقتراح غوربانيفار .

بعد ظهر ذلك اليوم اصطحب نورث نير ليقابل وايت في قصر لامبث . وكانت لحظة غير مناسبة . إذ كـان هناك معـاون مساعد المدير للشؤون السياسية ـ العسكرية لدى أركان مجلس الأمن القومي ومستشار لشؤون مكافحة الإرهاب في إسرائيل ، يتمشيـان في مبنى البرج القـرميدي ليبحثـا مبادرة مـع مسـاعـد لأسقف كـانتربـري . وقد ظهـرا بلباسهمـا الرسمي كمنـدوبين لمبيعات أو كمبشرين .

وأكبهمـا تيـري وايت عبـر الممشى الكبيـر حيث علقت على الجدران لوحات لصور الأسـاقفة السـابقين ، ومن ثم إلى غرفة الرسم حيث يستقبل أسقف كـانتربـري ضيوفـه في بعض الأحيان كان ذلك موقع الخطأ لان وايت أصبح مع الـوقت أكثر

الشخصيات شهرة في كنيسة انكلترا . فإنه بالنسبة للكثيرين قد أمن للكنيسة قدراً من الإحترام بعدما حطت من قدرها الشكوك والمناقشات المريرة حول موضوع سيامة النساء ككاهنات .

كـان وايت حساسـاً تجاه الـزيارة . فقـد ارتعب عنـدمـا أحضر سمير حبيبي الذي كان موجوداً آنذاك سكرتيـر المبعوث الانغليكاني إلى الغرفة ليلتقي الكولونيل نورث ، وقد تم تقديم نورث ونير إلى الأسقف لكن ذلـك لم يترك أي انـطباع لـديه . لانهما لم يكونا مميزين عن أي من الزوار الآخرين الـذين كان يستقبلهم مبعوثه .

وإذ تعرضت عمليات أوليفر نورث للانكشاف وإذ ساءت سمعتـه ، أربك حبيبي من اجتمـاع لامبث ، كما تـردّد عندمـا سئل في مقابلة أجرتها معـه هيئة الإذاعـة البريـطانية عمّن كـان حاضراً في ذلك الإجتماع :

حبيبي : حسنـاً كان هنـاك عـدد من الأشخـاص . كـان هنـاك بـارز ، ممثـل بـارز لبلد مجـاور للبنـان ولـه نفـوذ كبيـر على . . .

الصحافي : لنكن أكثر تحـديداً كـان الكولـونيل نـورث هناك أليس كذلك ؟

حبيبي : زار الكـولـونيـل نـورث لامبث في عـدد من المناسبات . كان يشارك في المباحثات ، نعم ، لانـه في ذلك الـوقت لم يكن لدينـا أدنى فكرة ان هنـاك مبادرة أخـرى تجرى

لمصلحة الحكومة الأميركية .

وخلال الإجتماع قال نورث مع انه ما زال يريد من تيري وايت ان يلتقي الجنرال لحد فان ذلك ليس ممكناً في حينه وذكر اميرام نير انه في الأيام القليلة الماضية كانت هناك هجمات على القوات الإسرائيلية داخل الحزام الأمني في جنوب لبنان ، لذا قال لوايت : « نحن لا نستطيع إذاً ان نضمن أمنك الشخصي . « يجب الغاء الزيارة » .

كان العذر غريباً . إذ انه كانت تحصل اشتباكات بين وقت وآخر ، ومع ذلك فان المنطقة كانت تبقى تحت السيطرة التامة لجيش لبنان الجنوبي وللقوات الإسرائيلية . ومهما تكن الظروف فيمكن تحديد مكان آخر . وكان الإحتمال الأكثر هو ان يجري ذلك خارج الحدود التي يسمح بها نير . إذ لا يمكن لوايت ان يطير في طائرة هلكوبتر إسرائيلية دون معرفة وزير الدفاع إسحق رابين وموافقته . اما الحكومة الإسرائيلية التي كان لها روزنامة عمل خاصة بها فانها لم توافق على اجتماع وايت مع الجنرال لحد . لقد كان ذلك جزءاً من المصاعب التي تحدث مع نير ونورث لانهما كانا يديران عملياتهما دون معرفة حكومتيهما .

من هنا أمضى وايت وحبيبي وقتاً وهما يحاولان اقناع نير بأهمية اللقاء مع لحد ـ دون ان يعلما انهما يتكلمان مع الرجل الذي يعطي الأوامر للحد . وبعد ساعتين انتهت المباحثات . فغادر نورث ونير قصر لامبث كما دخلاه سيراً على الأقدام

ودون ان يعرفهما أحد .

وتابع نورث العمل في اعداد جدول زمني مفصل لانتقال الصواريخ واطلاق سراح الرهائن في مفكرته ففي يوم ٣ شباط/ فبراير كتب في مفكرته : لحد يستجيب لرسالة البابا التي تؤدي إلى اطلاق خمسين سجيناً لحزب الله على دفعتين : في كل واحدة خمسة وعشرون . وان حقيقة عدم مقابلة وايت للحد ليس لها تأثير على الخطة . فقد افترض نورث ان لحد سيوافق . وفي ملاحظة غريبة في جدوله الزمني ، اختار نورث يوم الثلاثاء في ١١ شباط/ فبراير وهو عيد الثورة الإيرانية على انه اليوم « الذي يحط فيه من قدر الخميني » لقد كان ذلك مزيجاً عجيباً من التفاؤل والغرابة .

وفي اليوم التالي وبعد لقاء لامبث طار حبيبي ووايت إلى روما للحصول على رسالة من البابا يناشد فيها الجنرال لحد اطلاق سراح بعض المعتقلين الشيعة . وكانت لحظة غير مريحة للرجلين في ضوء الفيتو الإسرائيلي على اللقاء . عندها شعر حبيبي بضرورة ان يطير إلى إسرائيل ليشرح للأسقف كافيتي وهو الشخصية الكبيرة في الكنيسة الانغليكانية في الشرق الأوسط ، عدم حضور تيري وايت معه . وسوف يستقبل الأسقف وايت بطريقة رسمية خلال وجوده في إسرائيل . وفي احدى النقاط وأثناء زيارة حبيبي تبين له ان اميرام نير يراقبه ، على الرغم من ان الإسرائيليين لم يجروا معه أي اتصال . ذلك أن نير كان تواقاً لمعرفة سبب وجود حبيبي

في إسـرائيل بعـد يـومين فقط من ابـلاغـه في لنـدن انـه ألغى اجتماعه مـع لحد . فـاحتجزه الإسـرائيليون على المـطار أثناء محـاولتـه المغـادرة وذلـك بعـدمـا حـاروا في أمـر وجـــوده في بلدهم . وكان على حبيبي ان يجري مكالمة مـع أوليفر نـورث في البيت الأبيض قبل ان يسمح له بالمغادرة .

من هنا كان حبيبي كلمـا أمعن النظر في اجتمـاع لامبث تزايد عدم ارتياحه فلقد أزعجه وجود نير . اتصل بنورث هاتفيـاً وطلب مقـابلته . فـالتقيا في مكتب نـورث في واشنـطن في ٥ شباط/ فبراير .

قال حبيبي لنورث انه قلق حول تفسير الفيتو الذي فرضه نيـر على رحلة تيـري وايت . وإذ كـان الفـاتيكـان يتـوقـــع من المبعـوث الانغليكاني ان يلتقي الجنـرال لحد . . ألغي اللقـاء فجأة فقال حبيبي : « ما هو العـذر ؟ » فإذا كـان على وايت ان يقـول ان الإسرائيليين ألغـوا الرحلة سينـظر عنـدهـا إلى مهمـة الكنيسة الإنسانية على انها تعتمد على الإسرائيليين .

وأكد نورث الذي كان خائباً للمسؤول الابسكوبي انه لم يكن هنـاك سؤال حول تعـرض دور وايت للشبهة . كـان ذلـك تـأكيداً عليـه ان يكرره في منـاسبات عـديدة . قـال نـورث ان الإسرائيليين اتخذوا القرار على أعلى المستويـات . ولا يعتقد بصعوبة شرح ذلك للفاتيكان .

كان حبيبي للأسف ، يعتقد ان لقاء لحد كان بمبادرة من

الكنيسة . وقد صدم إذ رأى الإسرائيليون يطيحون بسهولة بهذا اللقاء لقد كان ذلك مثالاً على عدم فهم تيري وايت وسمير حبيبي للرجل الذي كانا يتعاملان معه .

فيما بعد ، اتصل نورث بزوجة حبيبي سائلاً : لمَ يشعر سمير بالخيبة إلى هذا الحد ؟

أجابته : « لانه يشعر انك لا تخبره كل شيء » .

وخلال شهر شباط/ فبراير كان نورث ونير لا يعلمان ما إذا كانت صفقة الصواريخ ستؤدي إلى تحرير الرهائن ، إذ كان الوسطاء يغيرون مطالبهم . أما مسألة ضرورة مقابلة وايت للحد فقد بقيت خياراً . وقد دوّن نورث في شباط/ فبراير ملاحظات عديدة في مفكرته حول وايت : « قرار الإستمرار مع وايت . اجتماع وايت/ الإسرائيليين غداً » كان هناك صعوبات أيضاً . كانت الحكومة الإسرائيلية لا ترغب في اطلاق سراح أي من المعتقلين الشيعة لان حزب الله ما زال يحتجز جنديين إسرائيليين . لم يكن الإسرائيليون مستعدين لان يقدم لحد تنازلات إلاّ إذا حصل تقدم في موضوع اطلاق سراح عناصرهم .

ومع ذلك ففي شباط/ فبراير تم شحن ألف صاروخ تو إلى إيران دون ان يطلق لحد سراح أيٍّ من المعتقلين ، ودون أن يطلق سراح أي رهينة . وبدلاً من الغاء الصفقة كما كان نورث قد وعد الرئيس ريغان ، فقد تابع نورث لقاءاته مع

المسؤولين الإيرانيين ، وكان تفاؤله دون حدود . وبعد ان قابل وسيطاً من مكتب رئيس الوزراء الإيراني كتب لمفكرلين : « بمباركة من الرب وبعد عمل شاق سوف نؤمن تحرير خمسة مواطنين أميركيين وعودتهم إلى بلادهم » .

كان جواب روبرت مكفرلين مشجعاً : « أولي . حسناً فعلت . إذا عرف العالم كم من المرات حافظت على ذكاء السياسة الأميركية وتكاملها فانهم سيجعلون منك وزيراً للخارجية . لكنهم لا يستطيعون معرفة ذلك وسيشتكون إذا عرفوا هذه هي دولة الديموقراطية في أواخر القرن العشرين » .

توقع نورث اطلاق سراح أحد الرهائن خلال آخر أسبوع من شهر شباط/ فبراير وتوجه تيري وايت إلى قبرص حيث كان جاهزاً لاستقبال أي رهينة يأتي من لبنان . وفيما كان في تلك الجزيرة ، لم يكن وايت قادراً على حضور المسائل الكنسية المتعلقة بأسقف قبرص والخليج . وقد تكرر ذلك فيما بعد ، حينما كان العديد من رحلاته يجري نتيجة اتصال من نورث .

« كان أولي يقول : الأحوال تبدو جيدة في هذا الوقت . هناك أشياء ايجابية تحدث . كنا نعرف ان له حق الاطلاع على معلومات مجلس الأمن القومي . . . وسوف أنقل هذه المعلومات إلى تيري . الآن ربما يكون تيري قد تدبر أمر الذهاب إلى جنوب أفريقيا وذلك ما كان يقوم به في مناسبات عديدة وانه سوف ينقح المعلومات ويقوم برحلة إلى مكان قريب من الشرق الأوسط » .

بـدأ أوليفر نـورث ينـظر إلى تيـري وايت كعضـو قيم في شبكـة عمله ، كما ان أجهـزة الإستخبارات رأت ان المبعـوث الانغليكـاني مفيد لهـا فبنيت خططاً حـوله . لكنّ وايت الـذي كان محدود المعرفة بمـا يجري ، بقي ينـظر إلى دوره على انه مستقل ومحض إنساني .

طريقنا الوحيد لمعرفة ما يجري في لبنان

منــذ ان احتجـز وليم بكلي في إذار/ مــارس ١٩٨٤ ، كـرست وكالـة المخابـرات المـركـزيـة جهـوداً كبيـرة لاطـلاق سـراحه . فبعـد احتجـازه ، اعتبـرت جميـع أسـرار الـوكـالـة الإستخبارية معرّضة للشبهة . وفي الأشهر التي تلت خطفه قتل بعض مخبري الوكالة فتفككت شبكات المخبرين .

لقـد كان احتجـاز بكلي ضربـة شخصية لمـديـر وكـالـة المخابرات المركزية وليم كايسي . ذلك أن كايسي ، وهـو من قـدامى عناصـر مكتب الخـدمـات الإستـراتيجيـة في الحـرب العالمية الثانية كان قد جاء إلى الوكالة مصمماً ان يحيـى دورها « العمـلاني » لأن العديـد من الجمهوريين كـانوا يعتقـدون ان الوكالة قد تراجعت بصورة ملحـوظة في عهـد الرئيس كـارتر . كانت صورة بكلي وهو في الأسر وقد بدا وجهـة الحزين معلقـةً

على الحائط في مبنى قيادة الوكالة وكأنها تذكار يومي بفشل الوكالة .

كان بكلي قد تلقى تحذيراً قبل احتجازه . فقبل ثلاثة أسابيع من ذلك الإحتجاز تحدث عن مخاوفه إلى تشيب بيك وهو صديق قديم منذ أيام فيتنام وشريكه في تجارة التحف . طلب بكلي من صديقه ان يتأكد إذا ما احتجز من ان الإدارة لن تدعه يموت ببطء بسبب بيروقراطيتها الخاملة . كان قد علم عن زملاء في فيتنام ضاعوا في الأسر فقرر ان لا يلاقي المصير نفسه . وعندما احتجز بكلي ، طلب بيك من الحكومة ان تتحرك .

حاولت وكالة المخابرات المركزية كل شيء ؛ أحد الأقمار الإصطناعية الذي يتمركز عادة فوق الإتحاد السوفياتي ، فراح يتمركز فوق بيروت الغربية ، ومع انه لم يكن ممكناً التعرف إلى الوجوه ، فان القمر كان قادراً على مراقبة بعض البنايات التي يشك في انها مخابىء للرهائن . وتحت مراقبة الحراس المسلحين والآليات وكل ما يدخل إلى تلك المباني . كذلك تمت مراقبة الإتصالات الهاتفية الصادرة من سفارتي إيران في بيروت وفي دمشق من مركز تنصت في قبرص . وتم اعتراض الإتصالات السورية في العاصمة اللبنانية إذ كانت مراقبة السوريين سهلة لانهم كانوا يستخدمون الخطوط الهاتفية ليتحولوا بعد ذلك إلى البريد . كما كانوا يغيرون باستمرار أجهزة الإرسال . هذا وقد أجرى مكتب التحقيق الفدرالي

مـراقبة شـديدة على الشيعـة المقيمين في الـولايـات المتحـدة وكانت هذه العملية مفيدة « بصورة مفاجئة » .

حققت وكـالة المخـابرات المـركزيـة بعض النجـاح في تحديد مكان بكلي . فقد عثـروا على البنايـة التي يحتجز فيهـا حتى انهم دبـروا عميلاً لهـم في البنـاية المقـابلة لها . وقـد تم اتصـال مع أحـد الحراس والتقـطت صورة لبكلي . كـان وليم كـايسي يحبذ اجـراء عملية انقـاذ لكن العسكريين قـالوا لـه ان المعلومات غير كافية . وكان ما يزال هناك في وكالة المخابرات المركزية أشخاص يشعرون بالمرارة ازاء ذلك معتقـدين انه من السيء التخلي عن زميل في ساعة الشدة .

وقـد جرت محـاولات عـديـدة للتسلل إلى حـزب الله . لكنها فشلت جميعها وكانت احداها مأساوية : قال أحد قدامى مسؤولي وكـالة المخـابـرات المـركـزيـة : « لقـد أعـدم بعض عناصرنا » . حتى إسرائيل فشلت في اختراق عشائر حـزب الله ولم تستطع تحديد مصير جنودها المحتجزين .

وعلى الرغم من هذا الفشـل تم جمع بعض المعلومـات لكنها كانت في مستوى لا يُسمح بالاستناد إليها في تنفيذ عملية انقاذ . لقد كان هناك مشكلتان أساسيتان :

أولاً : إنهم لم يحصلوا على ما تسميه وكالة المخـابرات المركزية « معلومات آنية » أي معرفـة المكان المحـدد للرهائن في أية لحظة . وكانت أهمية هذه المعلومات الـدقيقة واضحـة

عندما تمكن أحد الرهائن من الفرار .

فذات يوم من شباط/ فبراير استيقظ بنجامين وير على صراخ الحراس . قال : « كان واضحاً من الإرتباك بان أحد الرهائن ليس موجوداً في الغرفة » . كان جيرمي ليفن مراسل شبكة C.N.N قد هرب وتمكن من اعطاء المحققين وصفاً مفصلاً للبناية التي احتجز فيها . كانت المجموعة الإستخبارية متأكدة من انها تعرفت عليها بصورة صحيحة من خلال صور الأقمار الإصطناعية . عندها حبذ بعض أعضاء الإدارة عملية انقاذ فورية ، لكن كان يمكن ان تتحول إلى كارثة : لقد تم نقل الرهائن عند المساء .

اما المشكلة الثانية فهي انه يجب ان يكون الرهائن مجموعين معاً وإن لم يكن من المستحيل تنسيق اقتحام عدة أبنية في وقت واحد ، لكن ذلك قد يعقد العملية بشكل كبير .

وفي مرات عديدة كانت وكالة المخابرات المركزية على وشك التغلب على المصاعب ، ففي تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨٥ اعتقدوا انهم حددوا أمكنة خمسة رهائن أميركيين من أصل ستة . وبدأت مجموعة في الوكالة ببناء مجسمات صغيرة للمنازل التي يحتجز فيها الرهائن وكذلك للشوارع القريبة والمخارج والأماكن المحتملة لتمركز الحراس .

وكان أوليفر نورث يعتقد انه من الضروري لنجاح عملية

الإنقاذ الحصول على دعم من قوة محلية داخل بيروت . وكان الدروز المرشحين الأكثر احتمالاً وهم شعب منفتح الذهن من جبال الشوف يدينون بالولاء أولاً وأخيراً لمصلحتهم الخاصة . وبزعامة وليد جنبلاط كانت لهم علاقات صداقة مع السوفيات وأقاموا في الوقت نفسه روابط مع الإسرائيليين وقد ازداد اشمئزازهم من السلوك المتطرف للأصوليين الشيعة . وخلال الأشهر الأولى في عام ١٩٨٦م موّل نورث فريق انقاذ درزي مؤلفاً من أربعين رجلاً .

وعلى أية حال فإن الخاطفين ، الذين كانوا يتوقعون محاولة انقاذ راحوا يبثون عمداً اشاعات خاطئة عن مكان احتجاز الرهائن . وكانت السفارة الأميركية في بيروت تتلقى كل يوم عرضاً بتقديم معلومات ، لذا أصبحت جميع الثرثرات التي تدور في الأحياء موضع تدقيق . فكانت معظم التقارير ، اما انه قد مضى عليها الزمن وإما غير صحيحة ولكن كان بعضها معداً للتضليل . وإذ أدرك الأميركيون ما كان يقوم به الخاطفون أصبحوا أكثر حذراً .

كانت محاولة الجنرال ديك سيكورد لاقناع الإيرانيين بان يطلعوه على مكان احتجاز الرهائن دليلاً على حالة الاحباط التي أصابت المسؤولين الأميركيين . وأصبح سيكورد مدير عمليات أوليفر نورث يدبر شحن الأسلحة والإمدادات إلى ثوار الكونترا في نيكاراغوا ومبيعات الأسلحة إلى الإيرانيين . وخلال عام ١٩٨٦ التقى مع عدد من الوسطاء الإيرانيين ،

وكان يعتقد ان الإيرانيين يستهزئون بحزب الله بحيث انه يمكن ان يغدروا بهم . لذا حاول اقناعهم بان يخبروه عن البنايات التي يحتجز فيها الرهائن . فأعلن الوسطاء انهم لا يعرفون . ولم يكن واضحاً لماذا اعتقد سيكورد بان إيران تريد ان تساعد عملية الانقاذ في الوقت الذي كان الرهائن يقدمون لهم مكافآت كبيرة ! لقد كانت فكرته وليدة اليأس .

لقد أدى التحرر من وهم طبيعة معلومات الإستخبارات الواردة من لبنان في كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٥ إلى انشاء « قوة عمل لتحديد مكان الرهائن » . كان هناك من قبل هيئة مماثلة لكنه تبين انها كانت غير فاعلة في رسم خيوط الإستخبارات . كانت مجموعة العمليات الصغرى ، وهي خلية داخل البيت الأبيض تنسق الأعمال في أوقات الأزمات ، وهي التي أنشأت قوة العمل .

كانت قوة العمل تجتمع أسبوعياً في مقر قيادة وكالة المخابرات المركزية في لانغلي في ولاية فيرجينيا . وكان أعضاؤها مفروزين من وكالة الأمن القومي ووكالة المخابرات المركزية ووزارة الدفاع ووكالة الإستخبارات الدفاعية ومكتب مكافحة المخدرات ومكتب التحقيق الفدرالي . كان يرأس هذه المجموعة شارلز آلن من وكالة المخابرات المركزية وكانت تصدر كل أسبوع نشرة تحلل آخر معلومات الإستخبارات حول الرهائن ، فتذكر المكان المحتمل ان يكونوا فيه كما تخبر عن صحتهم وعن حالة الخاطفين وتقدر

مدى التهديد الذي يواجه حياتهم . لقد كان العمل الأساس لقوة العمل ان ترى ما إذا كان هناك معلومات كافية لاجراء عملية انقاذ .

كان بعض أعضاء الإدارة يدفعون باتجاه عملية انقاذ معتقدين انه « من الجيد للغرب ان تسحق بضعة رؤوس للإرهابيين » . وفي مناسبتين على الأقل ، وضعت قوة من القوات الخاصة الأميركية بحجم كتيبة ، في حالة انذار ومع ذلك لم يجر التوجه إلى الشرق الأوسط . كما كان العديد من العناصر قد اشتركوا في التخطيط لمهمة انقاذ ثانية للرهائن الأميركيين المحتجزين في السفارة الأميركية في طهران عام ١٩٨٠ .

وحتى لو أصبحت معلومات الإستخبارات الضرورية متوفرة فقد انقسم الرأي حول الحكمة من الذهاب إلى بيروت . فقد كانت هيئة الأركان المشتركة متشككة حيال هذا الموضوع إذ كانوا يخافون دائماً من ضرب « مكان جاف » ـ وهو مصطلح عسكري يعني نقل الرهائن من مكان احتجازهم وبعد ذلك العثور على ذلك المكان . كما كانوا يخافون من ان تحاصر الوحدة المهاجمة في أزقة بيروت الغربية بحيث يجري اخراج عناصرها تحت غطاء ناري . إلاّ ان الآخرين ومنهم الجنرال سيكورد كانوا يعتقدون ان ظروف نجاح عملية الانقاذ « أكثر من متوسطة » وذلك عندما تكون معلومات الإستخبارات جيدة ، ويكون الهدف قريباً من البحر وفي مدينة يقطع سكون

الليل فيها اطلاق النار بحيث يمر وقت طويل قبل ان تكتشف العملية .

لم يكن أوليفر نورث عضواً في قوة العمل مع انه كان منغمساً في نشاطاتها بحرارة وكان يتلقى تقاريرها . وقد شجع أحد الضباط من وكالة الإستخبارات الدفاعية وهو برتبة رائد على الإنضمام إليها . كان جوليوس كريستنسن يكتب تقريراً كل يوم جمعة . وقد ظهر لأول مرة في ٣ كانون الثاني / يناير ١٩٨٦ . فتفحص عدداً من مشاريع نورث وسافر إلى أوروبا وقدم نفسه لشخصيات عديدة قائلاً :

أنا « رجل السيد غود » وغود كان الاسم الرمزي لنورث . كان يعتبر بعض الناس الذين كان نورث يتعامل معهم فاشلين . وقد وصف اثنين من عملاء مكتب مكافحة المخدرات بانهما مثل « أولاد شارع يرتدون معاطف مصنوعة من وبر الجمال » وانهما كانا « وسيمين في الشارع ولكنهما لا يعرفان شيئاً عن الشرق الأوسط . ولا عن أية طريقة شكلاً ولا مضموناً » .

وفي ٢٤ نيسان/ ابريل ١٩٨٦ أرسل الرائد كرنيتنسن تحليلاً لخيارات عدة تضمن اطلاق سراح الرهائن . وكان من بينها : « عدم القيام بأي عمل ، جهود دبلوماسية ، وايت ، دفع فدية ، استخدام القوة من جانب واحد أو من عدة جوانب » . بقيت تفاصيل « خيار وايت » سرية لكن كانت هناك خطة لاستخدامه لمحور وسط في عملية انقاذ .

فبعدما نجح تيري وايت في الإجتماع مع الخاطفين في تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨٥ تغيرت وضعيته : كان نورث يقول عنه انه طريقنا الوحيد لمعرفة ما يجري في لبنان . وبعدما عرض على وايت جهاز ملاحقة الكتروني من أجل حمايته الشخصية ، رأت المجموعة الإستخبارية احتمالات أخرى في المهمة الإنسانية التي يقوم بها المبعوث الانغليكاني . إذ بدأت الخطة تأخذ شكلها . لكنها لم تكن خياراً رسمياً وان كان أوليفر نورث قد بحثها مع وكالة المخابرات المركزية .

لذا سوف يتم تشجيع تيري وايت للعودة إلى بيروت على ان يحث الخاطفين على لقائه بعد ان يعلن ان لديه صفقة تتعلق بالمعتقلين في الكويت . وقبل اطلاق سراحهم ، يخبر الخاطفين انه يريد ان يعقد اجتماعاً وجهاً لوجه مع جميع الرهائن ليتأكد من انهم جميعاً في صحة جيدة . وفي هذه الأثناء يتولى فريق عسكري من جهاز دعم الإستخبارات مراقبة تحركاته . وإذا تم التأكد من ان جميع الرهائن مجموعون ، تتحرك القوات الخاصة الأميركية وحلفاؤها في العاصمة اللبنانية بعد ان يترك وايت الإجتماع بوقت قصير . وعندها يكون وايت قد عمل مرشداً لاسلكياً في عملية الإنقاذ .

قال أحد أعضاء الفريق ان هذا الهجوم يمكن ان يجري إذا كانت هناك معلومات مكثفة حول المكان وعدد الحراس والأسلحة والدعم الذي يتلقونه . لم تكن فرصة نجاح العملية عالية فقد أظهر الخاطفون انهم يحذرون من الوسطاء ، وكان

تيري وايت قد جرد من ملابسه في إحدى المـرات وأرغم على حضور اجتماع وهو ملفوف بغطاء صوفي فلقـد كان الخـاطفون أيضاً مستعدين لمـواجهة عمليـة الإنقاذ . قـال الأب جنكو انـه عنـدما تحـدث ضجة حـول المبنى يدخـل الحـراس نـوراً إلى الغرفة ويضعون أسلحتهم « على رؤوس الرهائن » .

كـانت الخطة خـطرة جداً بـالنسبة لتيـري وايت . إذ لم يكن واضحاً ما سيقال له . قـال أحد الـذين بحثوا في العمليـة انهم يـدركـون احتمـال اعتـراض وايت وقـال بتحفظ : « كنت أفكر في انه يجب اعـلام وايت بدوره » ، لكن لم يكن متـأكداً من انه سيجري اعلامه .

نفى السفير يوجين دوغلاس في مقابلة أجريت معه جدّية هذا الخيار . وقال كانت هناك مباحثـات حول العـديد العـديد من الأشياء . فهل تكون خطة طوارىء ؟ لا .

قيل له : لكنها كانت خياراً بحثه أعضاء الإدارة .

أجاب : كانت واحدة من أصل خمسمائة موضوع طـرح على طاولة البحث .

أما ديفيد مارتن وجون والكـوت فقد قـالا في كتابهمـا : « أفضـل الخطط المعـروضة » انـه كـانت هنـاك خـطة أخـرى لاستخـدام وايت كخدعـة . فعام ١٩٨٦ كـانت الإدارة تخطط لقصف ليبيـا . وأراد أوليفـر نـورث ان يتـأكـد من ان القـذافي موجود في مركزه في طرابلس عندما تقصف الطائرات . وكانت

الخطة كما شرحها لمجموعة إدارة الأزمات ، ان يطلب تيري وايت ، الذي كان قد قابل الزعيم الليبي من قبل ، مقابلة القذافي سعياً وراء مساعدته لتحرير الرهائن المحتجزين في لبنان . عندها يغادر وايت ويترك القذافي في مقر قيادته . دون أن يقال للمبعوث الانغليكاني انه استخدم للاعداد لاغتيال القذافي .

كانت الخطوتان كلتاهما بعيدتي المنال ولكنهما توضحان كيف أصبحت النظرة إلى تيري وايت . فبينما كان يقال علناً انه مبعوث مستقل كان ينظر إليه على انه عميل . وقال أحد المسؤولين في مجلس الأمن القومي ان أوليفر نورث كان يدير تيري وايت كالعميل مع انه لم يكن في الواقع عميلاً عادياً . حتى المدير السابق لوكالة المخابرات المركزية ستانسفيلد تورنر الذي كان معروفاً بمعارضته للأعمال غير القانونية فانه رأى في تيري وايت شخصية حيوية وقال : « أعتقد انكم تستخدمون أشخاصاً مثل تيري وايت وبهذا تستخدمون أشخاصاً مطلعين وذوي نوايا طيبة » .

لم يعلم وايت بخطة استخدامه لتحديد مكان الرهائن . إذ يمكن انها لم تتجاوز خيال نورت الخصب وميله للعمليات الخاصة . لكن كانت هناك أخطاء أخرى في المحافظة على صحبة نورث . لقد وضع ذلك وايت على اتصال مع عالم الإستخبارات حيث تكون الأشياء مختلفة عما هي في الواقع .

ومهما كانت الإجتماعات بريئة ، فإنه يمكن تفسيرها بطريقة مختلفة . ففي قبرص كان من المقرر ان يذهب وايت لمقابلة هويل ساسير عميد الكنيسة الانغليكانية ويبحث معه شؤون الكنيسة . كان ساسير كاهناً ابسكوبياً ولكن صادف انه كان يقوم بوظيفة الملحق العسكري الأميركي في الجزيرة وكان يقع ضمن مسؤولياته تنظيم رحلات الهلكوبتر من بيروت وإليها .

لقد علم تيري وايت انه كان موضع اهتمام المجموعة الإستخبارية لكنه كان واثقاً من انه يستطيع لقاء هؤلاء الناس مع بقائه مقدساً إلى أبعد الحدود . لقد فهم ان هناك مخاطر لكنه لم يرغب بالتخلي عن مهمته . وقد رأى يوجين دوغلاس ان النضال ينتقل إلى الداخل . وهو نضال أصبح شديداً بفضل الطريقة الساحرة التي كان يعمل بها نورث . قال : « انها لم تكن طريقة غير صحيحة ولكنها تشبه انجذاب ملايين القراء إلى روايات التجسس . وكمبعوث كان تيري وايت قادراً على مشاهدة العديد من الخطط والخدع في العالم الرمادي « فمن الطبيعي ان يكون موضع اهتمام وإلاّ فمن يكون غيره إذا ؟ » .

ان أي انغماس مع المجموعة الإستخبارية ، مهما كان مفهوماً ، كان محفوفاً بالمخاطر لانه يعرض للخطر استقلال تيري وايت وحياته أيضاً .

وفي النهاية قد يكون الخطر محدوداً من جرّاء الاشتباه

ببعض المعلومـات الخفية ، ولكنّ هـذا الخـطر يشتـد إذا ظُنّ بانتمائـه إلى المعسكر الأميـركي . فغالبـاً ما يخلط في الشـرق الأوسط بين الظنّ والحقيقة .

الرحلة السرية

كان أوليفر نورث يرى دائماً غداً مشرقاً . فبعدما فشل تسليم الأسلحة إلى إيران في التوصل إلى اطلاق سراح الرهائن ، خرج عدد من المسؤولين من دائرة الوهم . أما نورث فلم يخرج إذ كان حسب رأيه لكل فشل بطانة فضية(*) . وقد وعد رجل الإتصال الإيراني الذي كان يجري معه محادثات في أوروبا بإمكان تحرير جميع الرهائن إذا وافق الأميركيون على عقد اجتماع مع القيادة الإيرانية في طهران . وهكذا تم الإفتراض انه سيطلق سراح الرهائن حالما يصل الوفد الأميركي إلى العاصمة الإيرانية .

كان نورث وبعض المسؤولين الآخرين في الإدارة

(*) بطانة فضية : أي كثيراً ما ينطوي الفشل على شيء من النجاح (المترجم) .

متحمسين . فإن لقاء على مستوى عال يعد بعصر جديد من العلاقات الأميركية الإيرانية وذلك هو الهدف الأساس الذي من أجله بدأت مبيعات الأسلحة . وقبل ان يجري الإتفاق على تفاصيل اللقاء طرح المسؤول الإيراني على الوفد ان يحضر معه قطعاً تبديلية لصواريخ هوك . فقال أحد المسؤولين : « كان مثل التعامل مع تجار الألبسة المستعملة في البازار » .

وكان رد فعل الأميرال بويندكستر حاداً على تغيير الخطة . فأرسل إلى نورث مذكرة جاء فيها : « لن تسلم أي قطع حتى يحرر جميع الرهائن استناداً إلى الخطة التي عرضتها علي من قبل . لن يسلم شيء من هذه الشحنة مقابل اطلاق سراح البعض . فإما الجميع واما لا أحد . ويمكنك ان تبلغهم أيضاً ان الرئيس منزعج من توقفهم المستمر . وهو لن يوافق على أية تغييرات جديدة في الخطة » .

وبحلول منتصف أيار/ مايو انتهت ترتيبات لقاء طهران . فوعدهم مانو شهر غوربانيفار بأنهم سيلتقون أقوى الشخصيات في القيادة الإيرانية .

وسمى رئيس الوزراء موسوي ورئيس البرلمان على أكبر رفسنجاني والرئيس علي خامنئي وربما نجل آية الله خميني أحمد . وسوف تحمل الطائرة الأميركية كل ما تستطيع حمله من قطع تبديلية . وعندما يتم اطلاق سراح الرهائن ، يشحن من إسرائيل إلى إيران مباشرة ما تبقى من قطع صواريخ هوك . هذا وقد تم الاعداد للزيارة على ان تجري في ٢٥ أيار/ مايو .

كان الوفد الأميركي إلى طهران برئاسة روبـرت مكفرلين المستشـار السابق لشؤون الأمن القـومي وكـان يصحبـه أوليفـر نـورث وهوارد تـايشر من مجلس الأمن القـومي وجورج كـايف وهو مسؤول متقاعد في وكالة المخابرات المركزية والإسرائيلي اميرام نير . وقد سافر بعض هؤلاء بأسماء مستعارة وانتحـل نير شخصيـة رجل أميـركي وهوارد تـايشر ظهـر على انه ايـرلنـدي يدعى يتم مكفان من مدينة دينغل .

كانت الآمال كبيرة . فقد قارن روبرت مكفرلين بين هذه المهمـة واللقاء التـاريخي بين هنري كيسنجـر ورئيس الـوزراء الصيني الأسبق شوان لاي الذي مهـد الطريق أمـام المصالحـة الصينية الأميركية . إذ كان يعتقد ان إيران والـولايات المتحـدة همـا على وشك استعـادة صداقتهمـا التي تعرضت لصعـوبات خلال الأيام الأخيرة من حكم الشاه . وتـوقع أيضـاً حل مشكلة الرهائن وكان نورث أيضاً يعتقد ان الـرهائن سـوف يتحررون . وأنــذر المستشفى العسكـري في فيسبــادن ووضـع السفــارة الأميركية في بيروت في حالة انذار وتم تجميـع فريق صحـافي في البيت الأبيض كما أنذر تيري وايت .

إلّا ان نورث كان قلقاً من ان الخاطفين في بيروت ليسوا متـروكين . وكان متخـوفاً من ان يقـدموا في آخـر لحـظة على عـرقلة اطلاق سـراح الرهـائن . وخلال فتـرة المفاوضـات مع إيران كان نورث يحاول ان يحسن الـوضع بـالنسبة لحـزب الله وكـان يدفـع الكويتيين بهـدوء من أجل القيـام ببادرة لمصلحـة

المعتقلين السبعة عشر . وكـان وسيطه « سبيـرو » هو الشخص الذي أجرى الترتيبات لتيري وايت في بيروت وهـو الذي أقنـع الكـويتيين ، من خلال اتصـالاته معهم بـان يسمحوا للسجنـاء بكتابة رسائل لأقاربهم في العاصمة اللبنانية .

وفي ١٥ أيـار/ مايـو التقى نـورث مـع سميـر حبيبي في مكتبه في واشنطن . فـذكر نـورث الرسـائل وبحث في طـريقة إيصـالها إلى بيـروت . كان يـأمل أيضـاً ان يضمن الكـويتيـون الـرسائـل صوراً فـوتوغـرافية للسجنـاء . وكان الخـاطفـون في بيـروت يعتقدون ان أقـاربهم يتعرضـون لمعاملة سيئـة فكـانت الصـور بمثابـة تأكيـد على حسن المعاملة . وكـانت قد وردت بعض التقارير التي تفيد بان السجناء كانوا في حال صحية سيئة جـداً بحيث انهم لا يستـطيعـون الكتـابـة . وكـانت الصـور والـرسـائـل من الأشيـاء التي وعـد وايت الخـاطفين بهـا على الصعيد الإنساني .

تلقى نورث ثلاث رسائل من السجنـاء الكويتيين مـوجهة إلى أقـاربهم في بيـروت . كتبت الـرسـائـل على ورق خـاص بالصليب الأحمر . فـطلب نورث من وايت ان يسلمهـا ، فمع انهـا كانت بـادرة صغيرة إلاّ انهـا تشير للخـاطفين انـه لم ينس مطالبهم . ذهب وايت إلى قبرص وطار بواسطة الهلكوبتـر إلى بيروت . وراح نورث المولع بالأسماء الرمزية يذكر تيري وايت بلقب سوبرمان . فكتب في مذكـراته : « ذهب سـوبرمـان إلى ذلك المكان » لم تكن العملية خاليـة من الأخطار . ففي آخـر

مرة كان فيها وايت في بيروت حذره الخاطفون من العودة . لذا كان ينوي هذه المرة لقاء وسيط موثوق به .

بعد ان سلم الرسائل بقي وايت في حالة استعداد . وكان نورث ، دون ان يكشف عن زيارته المقبلة إلى العاصمة الإيرانية ، قد أخبره ان اطلاق سراح الرهائن أصبح محتملاً . وفي ٢٥ أيار/ مايو كتب نورث : « الجميع هادئون في بيروت . تيري وايت ينتظر/ يصلي . لن يقوم بأي عمر آخر/ متعاون كلياً » .

وفي سياق التخطيط لرحلة طهران حدد نورث دوراً آخر لتيري وايت . كان لدى نورث جدول زمني متفائل . فبعد أربع وعشرين ساعة من وصولهم إلى طهران سوف يطلق الخاطفون في بيروت سراح الرهائن . بعد ثماني ساعات سوف تسلًم مئتان وأربعون قطعة تبديلية إلى الإيرانيين . وبعد أربعة أيام سوف تصل طائرة نقل من نوع ت ١٤١ إلى طهران عبر إسرائيل تحمل جهازي رادار هوك ، وستصل قطع تبديلية أخرى عبر البحر إلى مرفأ بندر عباس في نهاية شهر أيار/ مايو . كان نورث يدرك ان الإيرانيين يمكن ان لا يقبلوا بجدوله الزمني ، ذلك أنه يتضمن تسليم الرهائن قبل استلام جميع الأسلحة . لذلك كان لديه بديل . سوف ينقل الرهائن إلى العاصمة الإيرانية وينضم إليهم تيري وايت في طهران ويبقى معهم إلى ان تنتهي صفقة الأسلحة . لكن ما قيل لتيري وايت حول تمضية الوقت في طهران لم يكن واضحاً وهناك خطر

أيضاً في ان لا يتقيد الإيرانيون بالصفقة وبهـذا ينضم وايت إلى الـرهائن . وعلى أي حـال فالمشـروع لـم يكن واقعيـاً ، إذ لـم يكن هناك أي اثبات ان الإيرانيين يريدون ان يصل الرهائن إلى إيران . وكما أقر نورث فيما بعد في شهادته أمام الكونغـرس : « كان أحد اقتراحاتنا ان نجعل أحـد الأوروبيين الذي نشط في المجال الإنساني يـذهب إلى طهران لاستقبـال جميع الـرهائن هناك » . قال الإيرانيون : « من أجل الله ، ان آخر شيء نريده في هذا العالم هـو ان يكون جميـع الرهـائن هنا » . هـذا ليس عملنـا . هؤلاء الناس (الخـاطفون) لهم ولاء فلسفي ولكنهم ليسوا بالضرورة تحت سيطرة طهران » . وأيّاً تكن الإنعكاسات فيمـا بعـد فـإن نـورث كـان على وشـك ان يشهـد على نفسـه بالإزدواجية وسوء الفهم في التجارة مع الإيرانيين .

وقد وصفت لجنة الكونغرس التي حققت بقضيـة إيران ـ كـونترا المهمـة إلى إيران بـأنهـا « بـطوليـة وغبيـة جـداً » كـان مكفـرلين ونـورث تـايشـر مـطّلعين على العـديـد من الأسـرار الإستخبـارية الأميـركية وكـان من الممكن ان يصبحـوا رهـائن ثمينــة . إذ لم تكن هنـاك ضمــانـات بسلوك آمن للحكــومـة الإيــرانيـة ولم تكن وزارة الخــارجيـة في واشنــطن على علم بالزيارة . وقد كشف غوربانيفار فيما بعد ان الرجـل الذي كـان يتـولى أمر زيـارتهم في طهران كـان مسؤولاً عن خـطف رجـل وكالة المخابرات المركزية وليم بكلي .

عندما وصلوا إلى مـطار طهران سـاد الإرتباك . فلم يكن

هنـاك أحد في استقبـالهم . انتـظروا لأكثـر من سـاعـة ، كـان حـراس الثورة خـلالها يحـدقـون إليهم بعصبيـة . مكفـرلين ، الـذي كـان يتـوقـع ان يتم استقبـالـه من قبـل مسؤولين رفيعي المستوى اتصل بواشنطن من المطار وقال : « ربما من الأفضل لنـا ان نحاول ان نتصـور كيف يصبح ، وبعـد هجوم نـووي ، نـاجٍ خياط نـائباً للرئيس . وطـالبٌ بسيط في المدرسـة وزيـراً للخـارجيـة ووكيـل المـراهنـات محـاوراً مــع جميـع الـدول الأجنبية » .

ولم تتحسن الأمـور عندمـا وصلوا إلى فنـدق هيلتـون ، فـأصر مكفـرلين على اطلاق سـراح الرهـائن أولاً وقبـل تسليم القطع التبديلية . لكن الإيرانيين أرادوا الأسلحة أولاً . وأعلنوا انـه لم يكن هناك اتفـاق على ان يقوم الخـاطفـون في بيـروت بالتحرك الأول . وهكذا تتابعت الأمـور وبقي الأميركيـون لمدة يــومين يتعـاملون مــع مسؤولين على مستـوى وضيــع . كـان مكفرلين متخوفـاً وانسحب من المباحثـات وترك نـورث وكايف وتايشر يجرون المفاوضات .

ومثـل عجوز تسـاوم في بازار ، تـوصل الإيـرانيـون إلى اعداد مجموعة من الشروط . كانوا على اتصال بالخـاطفين في بيـروت الذين طلبـوا ما يلي : « على إسـرائيل ان تنسحب من مـرتفعات الجـولان ومن جنوب لبنـان وعلى لحد ان يعـود إلى بيروت الشرقية . كما يجب تحرير المعتقلين في الكويت ودفع جميع النفقات التي دفعت في عملية احتجاز الرهائن » . فأخذ

الأميركيون بذلك . دون أن يكون أي من هذه المطالب بأيديهم ، وإذا كانت فانهم لا يوافقون عليها . اما فيما يتعلق بدفع فاتورة الإحتجاز فقد كان ذلك وقاحة غير عادية .

هدد مكفرلين بالمغادرة . وبعد بضع ساعات ذكر الإيرانيون ان الخاطفين قد ألغوا جميع مطالبهم ما عدا اطلاق سراح المعتقلين في الكويت . فرفض مكفرلين التدخل مع الكويتيين وقال ان سياسة الولايات المتحدة تقضي باحترام الأعمال القضائية في البلدان الأخرى . وأعد أفكاراً يبحثها مع مضيفيه الإيرانيين . ومن بينها اعجاب كبير بشجاعة المقاتلين الإيرانيين - « لانني مسيحي أمنهم وأؤمن انه إذا مات أحد وهو مؤمن فانه يمضي أيام الخلود في مكان أفضل » .

لكن نورث أدرك ان هذا التملق لا يكفي ؛ يجب عرض مسألة المعتقلين في الكويت . فكتب : « يجب ان نحاول الحصول على ضمانات باطلاق سراح المعتقلين في الكويت في المستقبل » . فيما بعد وفي الساعة الرابعة صباحاً عاد نورث إلى الإيرانيين بطريقة في الكلام أمل بان ترضيهم : سوف تصدر « الولايات المتحدة » بياناً بهذا المعنى أي بان تبذل بأسرع وقت أي جهد من خلال المنظمات الدولية أو فريق ثالث في عملية إنسانية تهدف إلى تحرير الشيعة المعتقلين في الكويت أو تأمين المعاملة الحسنة لهم » . ذهب نورث إلى أبعد مما كان مسموحاً له به . ومع ذلك فلم يكن ذلك كافياً .

وفي مواجهة إخفاق المهمة غير الإيرانيون القصة ،

فقالوا ان الخاطفين لا يمكنهم ترتيب اطلاق سراح الـرهائن في وقت واحد . وبعد فترة قصيرة عادوا بتسويـة : سوف يـطلقون سراح رهينتين فوراً . فرفض مكفرلين التسوية وصعـد إلى متن الطائرة وتوجه إلى إسرائيل وقـال للمسؤول الإيراني « ان عـدم الثقة كبير لوقت طويل » .

وكان لمهمة طهـران ان تكون لحـظة الحقيقة لـلإدارة ، فقد أثبت الوسيط الإيراني غوربانيفار انه يعمل بازدواجية . فقد كذب على الجانبين . إذ عرض فكرة تبدو مقبولـة ان مجموعـة من المعتدلين الإيرانيين ترغب في تحسين العلاقة مع الولايات المتحـدة وأن الإيـرانيين يـريـدون الأسلحـة لاستخـدامهـا في حربهم مع العراق .

وقد كشفت هذه المهمة أيضاً عن سـوء التفاهم وفقـدان الثقة فيما بين الأميـركيين أنفسهم . إذ صرح الجنـرال سيكورد الذي حضر عدداً من اللقاءات التي مهدت للمهمة : « لم يكن هنـاك موافقـة إيرانيـة على الافـراج عن جميـع الـرهـائن أثنـاء اجتمـاع طهران » . ومـع ذلك فقـد كان هـذا انطبـاعاً واضحـاً لاثنين من المشتركين . فقبل الـرحلة سأل هـوارد تايشـر نورث عن خطة عملية الإنقاذ إذا ما احتجـزهم الإيرانيـون . فقال لـه نورث : « لا تقلق كل شيء معد تمامـاً » إلّا ان تايشـر اكتشف فيما بعد انه لم تكن هناك أيـة ترتيبـات ، ولم تكن هناك خـطة للإنقاذ . كان نورث قـد أحضر حبـوب الإنتحار لـه ولمكفرلين دون أن يتخذ أي اجراء بالنسبة للآخرين . فقال تايشـر : « لقد

كذب علي » .

اعتقد مكفرلين الذي كان ينظر ، هذه اللحظة ، إلى نورث نظرة الأب إلى ابنه ، انه حاول ان يتفاوض مع الإيرانيين من وراء ظهره . وعندما عاد إلى واشنطن كتب إلى بويندكستر « لمصلحة أولي أريد نقله إلى مستشفى بشسدا لاجراء اختبار صلاحية » . كانت بشسدا مستشفى للبحرية الأميركية وكان نورث قد دخلها عام ١٩٧٤ بعدما عانى من اجهاد نفسي بعد خدمته في فيتنام . لكن نورث رأى في وجوده ضرورة وبقي مسؤولاً عن مسألة الرهائن .

مكث تيري وايت بعيداً عن الأنظار في مبنى السفارة الأميركية في بيروت الشرقية بينما كان نورث يساوم الإيرانيين . ولم يخبر زميله سمير حبيبي عن العودة إلى لبنان . لكن حبيبي الذي كان مشغولاً بأمور كنيسة علم ذلك في وقت لاحق . فلم يكن سعيداً وأبدى ملاحظة انه إذا حدث ذلك مرة أخرى فانه « لن يتعاون معه » .

كان اكتشاف رحلات وايت علامة شك كبيرة عند حبيبي ، ومع انه كان يحب أوليفر نورث ويثق به فانه لم يشأ ان يتعامل وايت مباشرة مع البيت الأبيض . وشعر انه إذا كانت الكنيسة الابسكوبية تدبر أمر هذه المهمة فان على نورث ان يطلب كل شيء من خلاله . ومع ان علاقته مع نورث كانت وثيقة ، يشاركه جميع رغباته ، فإن حبيبي كان قلقاً من انه قد يورط وايت في عملية تؤدي إلى ارباك الكنيسة .

وفي ٢٣ حزيران/ يونيه توجه حبيبي مرة أخرى للقاء نورث في مكتبه في بناية المكتب التنفيذي القديمة في واشنطن وذلك ليضمن « استقلال الكنيسة » فقال لنورث : « كان يجب ان نعرف عن ذلك » وهو يعني رحلة وايت السرية إلى لبنان . فأصيب مسؤول البيت الأبيض بالأذى وتفتحت عيناه معبرة عن براءة مجروحة ، وقال : « سمير يحدث ذلك في بعض الأوقات . كان هذا استثناء » .

قال حبيبي : « في المستقبل أريد ان تمر هذه الأمور بي » .

وافق نورث وأكد لحبيبي اهتمامه بحماية الكنيسة . كان رجلاً يهتم كثيراً بايمانه وبكنيسته وكان يهتم بخدمة بلده . في بعض الأحيان قد يتنازع الاثنان شخصيته المتصفة بالتناقض وذلك ما يجعله مخلصاً وخطيراً في آن هذا وخلال أسابيع قليلة يحتاج إلى تيري وايت مرة أخرى .

اظن ان الصلاة تنفع

خلال التسعة عشر شهراً التي أمضاها في الاحتجاز لم يستطع الأب جنكو ان يفهم عقلية حراسه . كان بعضهم صبية يبلغون الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة وقد جعلتهم الحرب قساة ، لكن برئيين بشكل غريب . كان تعليمهم ابتدائياً وقد وافقوا على مراقبة هذه المجموعة من الأجانب براتب يتراوح بين خمسة وعشرين وخمسين دولاراً أميركياً في الشهر . وقد رأى الأب جنكو انهم يرتبكون ازاء احتجاز راهب وقال : « كان البعض منهم بحاجة إلى الملاطفة » .

كان الأب جنكو الذي ترأس مكتب بيروت لمؤسسة الاغاثة الكاثوليكية في متوسط العمر ذا لحية رمادية وشعر رقيق ووجه يعبر عن سنوات طويلة في العمل التبشيري . وكان خطفه في كانون الثاني / يناير ١٩٨٥ خطأ . فقد اعتقد الخاطفون انه جو كورتين وهو عامل في مؤسسة الاغاثة

الأميـركية . وقـد أثار هـذا الخطأ قلقهم إذ كـان جنكو أميـركياً ومتساوياً في الشبهة حسب رأيهم . فلن يكون هناك مثل أوضح من هذا عن الهوة الفاصلة في المفاهيم بين المتشـددين الشيعة والغـرب بحيث انهم رأوا هـذا الشخص الـروحي ذا الـوجـه المتسامح عميلاً للمخابرات الأميركية .

في البدء ، قيد بالسلاسل إلى حائط ثم عصبت عينـاه . لكن حراسه كانوا لطفاء . ولكن بعدما هرب أحد الرهائن وهـو جيـرمي ليفن في عيد الحب عـام ١٩٨٥ تحولت الصـداقة إلى وحشية . وبدأوا يهـددون بعنف . قال جنكـو ان البنادق كـانت في كـل مكان ، ونقـل الرهـائن من مكان إلى آخـر . وعندمـا شـاهـد بعض الأسـلاك الـظاهـرة قيـل لـه ان البنـايـة مفخخـة بالمتفجرات إذا خافوا من ان يقـوم الأميركيـون بعملية انقـاذ ، حجز الخاطفون الأب جنكو في خزانة ثياب لمدة شهرين .

لقـد قال فيمـا بعـد : « لا يعلمـون كيف يعتنـون بكبـار السن » . لـدينـا حـاجـات لا يتفهمـونهـا مثـل الـذهـاب إلى المراحيض . عليك ان تذهب إلى المراحيض عندما يأمرونـك بـذلك لكن جسمـك لا يعمل وفق ذلـك . وتحـاول ان تشـرح ذلــك لهم » . لم يتمكن الأب جنكـو من الإستحمــام لمــدة شهـرين . وكـل مـا أعـطي من الثيــاب كـان مجمــوعتين من الملابس الداخلية .

ثم تغيرت طبيعة الحياة في المعتقل بعـد وفاة وليم بكلي

في حزيران/ يونيه ١٩٨٥ . ومع ان وكالة المخابرات المركزية كانت تعتقد ان رئيس محطتها في بيروت قد عذب حتى الموت فان الأب جنكو يعتقد ان بكلي مات نتيجة الاهمال . فقد كان يتقيأ وأصيب بالحمى لعدة أيام . واختلطت صرخات عذابه بالذكريات : يتذكره جنكو وهو يطلب بيضة مسلوقة مع قطعة من الخبز . لم يحرك الحراس ساكناً تجاه معاناته بل تجاهلوه .

أصغى الأب جنكو المعصوب العينين هو ورهينتان آخران إلى بكلي وهو يموت . « كانت هناك لحظة تغير فيها نمط السعال . فعلمنا جميعاً انه يموت » .

لم يعترف الحراس بموت بكلي ، لكن موقفهم تغير . زاره طبيب وبعد ذلك زاد إهتمامهم . نقل الرهائن إلى غرفة أخرى وتحسنت معنوياتهم . قال جنكو : « عندما كانوا يضعوننا مع بعضنا كنا نشعر بأننا نتمتع بشيء من القوة » . وعندما تحصل مواجهات كان يمكننا ان نغني معاً » .

وفي ٢٥ تموز/ يوليه دخل الحراس إلى الغرفة ليخبروهم انهم سينقلون إلى سجن آخر ذلك هو ان الأحوال لم تعد ملائمة لصحتهم . أجل ، ان الغرفة مقفلة وهناك القليل من الهواء ، إلاّ ان هذه الحالة بقيت سارية لبعض الوقت » .

« أحضروا لنا ثياباً جديدة وطلبوا منا ان نلبسها وان لا

نأخذ شيئاً معنا . لا زجاجة مياه ولا زجاجة للبول ولا أوعية » أحضر الأب جنكو نسخة من الكتاب المقدس وأخفاها تحت سترته .

سار زميلاه ديفيد جاكو بسون وتوماس سذرلاند أولاً وتبعهما الأب جنكو الذي دفع جانباً وطلب من تيري أندرسون ان يتبع الآخرين .

ويتذكر الأب جنكو : « عندما عاد الحراس إلى الغرفة قالوا لي : اجلس وكان رد فعلي الوحيد : هل تريدون قتلي ؟ قالوا : لا أنت ذاهب إلى بيتك » . وبعد ما قالوا له انه سيفرج عنه ، غادر الحراس الغرفة .

جلس جنكو فاقد الاحساس وكأنه جازف بتغيير رأي الحراس . بعدها طلعت عليه حقيقة الحرية فأنشد من المزامير : « أحبّ الرب لأنّه يستمع إلى صلواتي ويستجيب لها . . . حدّق الموت في وجهي . كنت حزيناً وخائفاً ثُمَّ صرخت : يا ربّ خلّصني . . . الآن يمكنني أنْ أرتاح . لأنَّ الرب قام بهذه المعجزة المدهشة لي . لقد أنقذني من الموت وأنقذ عيني من التمزق وقدمي من الزّلة سوف أعيش !

وبينما كان ينتظر ارتفعت حرارة الجو . كان الصيف حاراً وكان هو محتجزاً على سطح بناية مؤلفة من تسع طبقات . تعجب مما إذا كان الحراس قد غادروا المبنى لكنه لم يسمع صوت المصعد وشك بانهم ما يزالون هناك . وبعد

فترة ظهروا مجدداً . كانوا يسجلون شريط فيديو لديفيد جاكوبسون الذي كان يقرأ بياناً .

سألهم الأب جنكو لماذا أطلق سراحه . قالوا له : « نحن نعيد لك حريتك لاننا نعلم ان صحتك ليست جيدة » .

فتحوا باب ما سمي زنزانته وأنزلوه بالمصعد ووضعوه في مؤخرة سيارة « ڤان » وقادوه إلى مرآب . كانت الساعة الثالثة فجراً عندما طلب الحراس منه ان ينام فرقد على قطعة من « الكرتون » . وبعد ساعتين أيقظوه طلب منه أحد الحراس ويدعى سعيد ان يأخذ حبتي دواء من نوع « ديزايد » لضغط الدم .

اعتقد جنكو : « انهم لن يفعلوا الشيء نفسه مرة ثانية » . تذكر رحلة سابقة عندما ربط بشريط من رأسه إلى قدميه . أعاد الحارس تعليماته بأخذ حبتي الدواء .

قال جنكو : « إنها مدرة للبول . انها تجعلني أذهب إلى المرحاض » .

قال سعيد : ومن يهتم لذلك ؟

تذكر جنكو : أنا أعلم ما هو الآتي . انهم يربطونك بشريط مثل الدمية . وعندما بدأوا يلفون الشريط قدم أحد الحراس الصغار ويدعى ايهاب ووضع صليباً صغيراً على كفه . كانت تلك بادرة إنسانية وكان ذلك لطفاً في وسط قلوب متحجرة ومتوحشة . كانوا يعتقدون ان أخذ الرهائن عجّل

بـالثورة الإسـلامية وقـرَّب يوم العـدالة ولكن مـا جـرى وكـانـه استراحة قصيرة في حفلة غنائية ، بدا كأنهم يريـدون ان يخفوا وحشيتهم ويطلبوا تحسين صورتهم .

قـال جنكو : « انهم يـربـطون فمـك حتى يقفـل تمـامـاً ويصبـح المكـان الـوحيـد الـذي يمكنـك ان تتنفس منـــه هـو منخريك » .

وضع جنكو في قعر شاحنة في المكان الـذي توضـع فيه اطارات الإحتياط .

قـال : « انها تجـربة مخيفـة : أنت تحت . . . هنـاك ! أنت لا تسيـطر على جسمك ، تـطيـر فـوق المكـان ، فتشعـر وكأنك تختنق » .

وخـلال رحلة السـاعــات الست استخـدم الأب جنكـــو صليبـه كسكين وقطع الشـريط . فتمكن من تحريـر يديـه ومنع جسمه من الاصطدام بجـانب الشاحنـة . لكن الطريق المليئـة بـــالحفـر لم تكن مستقيمـــة ، فلم يستـطع ان يقي نفســـه من التـأرجح عنـد النزول في كـل حفرة . طـار جسـده فـاصـطدم بصنـدوق الشاحنـة وبدأ ينـزف من أنفه وأخـذ الدم يتخثـر مما جعل التنفس صعباً . عندها بـدأ يقرأ صـلاة الحجاج : « أيهـا الرب يسوع ارحمني » فاكتشف ان هذه الكلمات تساعـده على السيطرة على نفسه .

قـــال : إذا ارتعب أحـد في مــوقف كهـذا أعتقــد انــه

سيموت » .

وأخيراً تمّ سحبه من قعر الشاحنة وأزيلت الحبال المربوط بها . ثم نقل إلى مؤخرة سيارة وأمر أن يلقي نفسه على أرض السيارة ساروا به لمدة عشر دقائق ثم رموا به إلى جانب الطريق .

وخلال فترة احتجازه ، كان بعض حراسه يسألونه أحياناً : « يا أبي هل تريد شيئاً ؟

« كنت أقول : أريد سيارة تاكسي تقلني إلى منزلي » .

في صباح ذلك اليوم من شهر تموز/ يوليه أعطوه ما قيمته دولارين بالعملة اللبنانية وقالوا له : « ها خذ سيارة تاكسي يمكنك الذهاب إلى أي مكان تريده » .

سألهم جنكو : « إلى أي طريق أذهب . ضع يدك على رأسي وأشر لي فأنا لن أنظر » . أشار الخاطفون إلى اليسار إلى قرية صغيرة ثم رحلوا .

قال الأب جنكو : « جلست لبرهة ولم أر السماء ولا الأرض . وهكذا جلست وأنا أتمتع بنعم الله » . بدت اللحظات الأولى للحرية كأنها الخلود النهائي » .

وعندما وقف قرر ان يركب سيارة « باص » إلى بيروت وكان يخطط للذهاب إلى سفارة الفاتيكان :

« بدأت أمشي على الطريق وكانت السيارات تمر

بجانبي . فلم أعرف كيف كنت أظهر ـ ما زال القطن على رأسي والشريط معلقاً بجسمي و « سحاب سروالي مقطوع . وكنت أحمل حقيبة بلاستيكية صغيرة فيها شريط فيديو ديفيد جاكو بسون » .

وصل الأب جنكو إلى القرية وسأل ما إذا كان هناك كنيسة لانه كان يعتقد ان الكاهن سيساعده . أشار رجل إلى تلة وبدأ يمشي باتجاهها وهو مرتبك . كان بضعة صبيان قادمين من التلة فسألهم مرة أخرى إذا كانت هناك كنيسة . فأجابوه بخجل وهربوا . بعد ذلك حضرت سيارة وعرضت عليه ان تقله . كان السائق يتكلم الإنكليزية . فلم يعط الأب جنكو أي تفسير لظهوره ولم يقل انه رهينة مفرج عنه طلب فقط ان يؤخذ إلى كنيسة .

سأله السائق : « لماذا تريد الذهاب إلى كنيسة . لا يوجد مسيحيون هنا لقد هربوا جميعهم » .

تفهم جنكو وتذكر كيف تغيرت القرى خلال الحرب الأهلية . شكر السائق وتابع سيره . استعمل بعض المال الذي أعطاه إياه الخاطفون واشترى زجاجة بيبسي وبدأ يسأل أهل القرية كيف بامكانه ان يأخذ « باصاً » أو « تاكسي » إلى بيروت ، وكانوا اما لا يعرفون أو لا يريدون مساعدة غريب . وقرب الكنيسة التقى بشخص مسيحي كان ماراً فطلب منه المساعدة . فرفض الرجل وعاد إلى سيارته وذهب .

كان اليأس يستبد بجنكو بينما كان يدور في البلدة وطلب من شاب مسلم ان يساعده . فلم يشأ الرجل الكلام ولكنه أشار إليه بان يصطحبه . « كـان ذلك غـريباً لانـه لم يسمح لي بـان أمشي معـه جنباً إلى جنب . وكـان علي ان أتبعه فـأخذني إلى مركز للشرطة » .

أطلق سراح الأب جنكو قـرب بحيرة القـرعون في وادي البقـاع الغربي . ولـم يعـرف عناصـر الشرطـة مـا يفعلون لـه . جلس هناك وبعد سـاعة ونصف بـدأ قلقه يتـزايد . سمحـوا له بـاستعمال مـرحاض المـركز . وعنـدها أدرك تمـاماً كيف كـان شكله .

قـال : « انهمرت دمـوعي . كان الاحبـاط كبيراً لـرجـل يبكي علناً ، أنت تعلم انهم لا يغفرون لـك . عندهـا أحضروا لي امرأة شيعية لـطيفة ، أخبـرتها قصتي فقـالت لي : يا أبي لا تقلق أنت في أمـان » وخـلال خمس دقـائق كـان الســوريـون هناك » .

وفوجىء بأن الجنود السوريين كـانوا يتـوقعون وصـوله . أخذوه أولاً إلى مركز قيادة الإستخبارات العسكرية السوريـة في عنجر وبعد ذلك بوقت قليل غادروا إلى دمشق . وفيما كان يمر عبر حاجز على الحدود السورية كان أحد الضباط يقرأ صحيفـة فتقدم نحو السيارة وقال له : « أنظر هـذه هي صورتـك » وأشار إلى الصحيفـة ثم أضاف : « تبـدو مختلفـاً » . لقـد أعلن عن اطلاق سراحه .

قال جنكو : « ماذا تقول ؟» .

أجاب : لقد أطلق سراحك لان صحتك سيئة » .

كـان جنكو تـواقاً لكي يسلم إلى السفـارة الأميركيـة لان الخاطفين حذروه من ان يقع شريط الفيديو الـذي يصور ديفيـد جاكو بسون بأيدي السوريين . وكان الرهائن يعتقدون ان جنكو سيقـوم بكل مـا يستطيـع من أجل حمـاية الشـريط . طلب منه الخـاطفون أيضـاً ان يقول للسـوريين ان حزب الله لا يقـدرهم كثيراً . لكن الأب جنكو قرّر ان ينسى ذلك .

وبالصدفة كانت بيغي سـاي شقيقة تيـري أنـدرسـون وهو أحد الرهائن ، موجودة في العاصمة السورية . كانت تجهد في الحصـول على أخبـار عن شقيقهـا بحيث ان المسؤولين في واشنطن كانوا يخافـون من مكالمتهـا . وسرعـان ما سمعت في دمشق عن اطـلاق سراح أحـد الرهـائن . وإذ علم الأب جنكو انهـا موجـودة في المدينـة كان سؤالـه الأول : أين هي شقيقـة تيري أندرسون ؟ عانقها جنكو بحـرارة . لكن افراطـه في ذلك كان قاسياً عليها :

كان جنكو قلقاً من ان يأخذ السوريون شريط الفيديو لان الخاطفين قالـوا له انـه إذا لم يُذَع على التلفـزيون قبـل غروب الشمس فان الرهائن سوف يمـوتون . وعلى الـرغم من جهوده فقـد عثر السـوريون على الشـريط . وبعد منـاشـدتهم ، سلم الشريط إلى السفارة الأميركية . لم تكن لديه وسيلة لعرضه ولم

يعرف كيف يبث الشريط ولهذا اتصل بالاسوشياتد برس وكان الوقت قصيراً وطلبت وكالة الاسوشياتدبرس من ممثليها في الشبكات الإعلامية الأميركية ان يجتمعوا في فندق شيراتون . وسرعان ما اكتشفوا ان هناك مشكلة . كان الشريط قد سجل وفق نظام يختلف عن ذلك المستخدم في دمشق ويجب ان ينسخ قبل ارساله إلى الولايات المتحدة . ومع اقتراب المساء ازداد قلق مهندسي التلفزيون والمنتجين لانهم فشلوا في العثور على التجهيزات الضرورية لعرضه . لقد شاهدت بيغي ساي كل ذلك وكانت تواقة مثل الجميع لرؤية الشريط لانها كانت تعتقد انه قد يتضمن أنباء عن شقيقها . وأخيراً تقرر الذهاب إلى محطة للأقمار الاصطناعية بحيث يمكن ارسال الشريط مباشرة إلى الولايات المتحدة . عندما عرض الشريط ، ظهر ديفيد جاكو بسون يعيد تهديدات الخاطفين ومطالبهم . تذكر أحد العاملين في المحطة انه رأى بيغي ساي تجلس وهي محبطة ، مكسورة القلب .

وبعدما انتهى الأب جنكو من جولة الإتصالات السورية البروتوكولية وأخذ صوراً مع كبار المسؤولين السوريين ، ذهب إلى منزل السفير الأميركي .

كان السوريون يحرصون دائماً على ان يغادر الرهائن المفرج عنهم من لبنان عبر دمشق ، إذ كانوا يعتقدون ان هناك تقديراً دولياً لهم على انهم ساعدوا في اطلاق سراح الرهائن ، وذلك يشكل رداً لاذعاً على الذين يعتبرون سوريا دولة إرهابية

ويعتقد بعض الأميركيين ان السوريين كانوا حريصين على هـذه الفرص في العلاقات العامة والدعائية بحيث انهم قـد يحبطون أية عملية افراج عن الرهائن إذا لم يضمنوا لهم دوراً فيها . لذا كـان الرهـائن الأميركيـون سلعة للتجـارة ، فلإطـلاق سراحهم قيمة كبيرة . وكان الشكر يوجه إلى عدة أطراف . ومنهم صغار الـلاعبين الـذين يتلقـون التقـديـر ، في حين يبقى الـلاعبـون الحقيقيون بعيدين عن الأنظار .

وفي ذلك المساء أقامت زوجة السفيـر وأصدقـاؤها رحلة احتفالية لـلأب جنكو ودعت بعض الأصـدقاء . فقـال جنكو : « انه جميل ان أرى بعد تسعة عشـر شهراً نسـاء وأطفالاً . أظن ان هذا ما كنت بحاجة إليه . رحلة صغيرة » .

وفي ذلـك المسـاء أيضـاً وصـل تيـري وايت من الأردن حيث كـان هنـاك لمسـألـة أخـرى . كـان مسـاهمـاً في انشـاء المستشفى الفلسطيني في الأردن والذي كان بصدد انشاء مركز لجراحة الأعصاب . فمنذ ثلاث سنوات كان كبار رجال الطائفة الانغليكـانية قـد شكلوا لجنة من أجـل القيـام بحملة تبـرعـات للمركز الـذي كان يستفيـد منه الأطفـال واللاجئـون من جنوب لبنان . كان تيـري وايت يقوم بحملة التبـرعات هـذه وكان قـد أصبـح منذ السنـة الفـائتـة رئيس شـرف في جنـاح التنميـة في جمعية الشبان المسيحيين التي تجمع التبرعات لتمويل المراكز في السـودان وأثيـوبيـا وتمـويـل مشـاريـع التـدريب في الهنـد ومشاريع أخرى يشترك فيها لبنانيون مسلمون ومسيحيـون معاً .

فلقد كان من مآسي قضية الـرهائن ان تنتهي مهمتـه بالإحتجـاز وبالجدل في الوقت الذي كـان فيه هـو والكنيسة يقيمـان روابط مهمة مع الفلسطينيين وبقية المجموعات المحرومة في الشـرق الأوسط .

وفي الوقت الذي أطلق فيه سراح الأب جنكـو كان وايت والسفير يوجين دوغلاس في الأردن يحتفلان بالذكـرى السنويـة لانشاء المستشفى . فاتصل نورث بـوايت وقال لـه انه يحتمـل اطلاق سراح أحد الرهـائن . وإذا حدث ذلـك فانـه يطلب من المبعوث الانغليكاني بـان ينتقل فـوراً إلى دمشق . كان نـورث قد علم عن قرب الافراج عن الرهينـة من اميرام نيـر الذي علم ذلـك من الإستخبـارات الأسـرائيليـة . وكـان مقـدار سيــطرة الإيـرانيين على الخاطفين في بيـروت قـد ظهـر في سلسلة من البرقيات التي أرسلت احـداها قبـل ساعـات من اطلاق سـراح جنكو . فاعتـرض الجيش الإسرائيلي بـرقية في منتصف الليـل في ٢٥ تموز/ يوليه وكان يوم خميس كانت البـرقية مـرسلة من قيـادة الحرس الثـوري إلى قيادة الحـرس الثـوري في سـوريـا ولبنـان : « إلى السيـد مهـدي نجـد : تصـرف فـوراً بمسـألـة الصندوق الذي أودع عندك . أخبرنا فوراً عن تنفيذ هذا الأمر » لقـد أزالت هـذه البــرقيـة الشــك في ان لإيـران نفــوذاً على محتجزي الرهائن الغربيين .

وعندما علم نـورث بان الأب جنكـو قد أطلق وسلم إلى السـوريين اتصل بـوايت وطلب منه ان يتـوجـه في الحـال إلى

دمشق . فدبرت السفارة الأميركية في عمان أمور السفر وتأشيرة الدخول إلى سوريا . وعندما وصل وايت إلى منزل السفير في دمشق تعانق والأب جنكو الذي وجد الحديث مربكاً .

وتذكر الأب جنكو فيما بعد : « ذلك المساء ظهر تيري وقال انه كان ينتظرني في الأردن وكان ذلك شيئاً مهماً لانه قال لي : أنت تؤمن بي أليس كذلك ؟ حسناً ، في هذه اللحظة من حياتي كنت أؤمن بأي شخص كان ! ولكني عجبت لطرح هذا السؤال . أنت تعلم نحن طلبنا منه ان يأتي ويساعدنا فلماذا لا أؤمن به ؟ انها مسألة تزعجني دائماً . كان ذلك السؤال الخاطىء في توقيت خاطىء ، على حد افتراضي .

وفي الأيام القليلة اللاحقة كان ظهور الأب جنكو يخضع لاعداد مسبق . كان أوليفر نورث يتوق لان يظهر تيري وايت « في جميع الصور » . وتقرر ان يزور الأب جنكو قبل عودته إلى الولايات المتحدة أسقف كانتربري والبابا وان يرافقه تيري وايت في هاتين الزيارتين . وذلك سوف يظهر للعالم ان اطلاق سراحه قد جرى بفضل تدخل الكنيسة .

لقد أصبح الأب جنكو حذراً من الظهور في العلن . قال : « كان أحد أهم المشاهد التي أرادها تيري هي ان يظهر كرجل دين وانه قد أرسل من قبل زعيم ديني على أساس إنساني » .

طار وايت وجنكو معاً من دمشق إلى مستشفى قاعدة

فيسبادن الجوية في ألمانيا الغربية . قال جنكو لدى وصوله انـه مشتاق لان يذهب إلى منزله في ولايـة ايلينوي . « ان شيكـاغو مدينة عاصفة وأريد ان أشعر بـالريـح وهي تعصف على وجهي مـرة ثـانيـة » وفي المستشفى انضم إليـه أحـد عشـر رجـلاً من أقربائه . فعانقه شقيقه جون وقال له والدموع تنهمر من عينيه : « أنا أحبك أرجوك ان تغفر لي عن كل خطأ ارتكبته معك » .

التقى تيـري وايت أقـربـاء جنكـو . . لم تكن منــاسبـة عادية . فقد أرادوا ان يتحدثـوا عن شهور الاحتجـاز لكن وايت عارض هذا الحـديث . قال جنكـو : كان يحـذر أفراد عـائلتي بـاستمرار من أن يقـولـوا شيئـاً . وكـان يغضب منهم أحيـانـاً » وأخيراً أحس الأب جنكو بالعظمة بين أفراد عائلته .

كـان لـلأب جنكـو الـذي أمضى تسعـة عشـر شهـراً في الإحتجاز جولات من الظهور في المناسبات العامة وقـد احتفل بأول قداس يحضره وهو حر في كنيسة سانت ماري في لندن . بعد ذلك قابل أسقف كـانتربـري الدكتـور رونسي حيث دعيت الصحـافة . وقـد اجتمع مـع بنجامين ويـر الرهينـة الذي أطلق الصيف الفـائت في لقاء علني . ثم طـار هو وتيـري وايت إلى روما حيث كان لهما لقاء مع البابا .

ذكر الأب جنكو ان لديه شيئاً يريد إخباره للبابا غير رسالة ديفيد جاكوبسون على شـريط الفيديـو . فهم وايت انه سينقـل رسالة من الخـاطفين فطلب منـه ان يقول ان هنـاك رسالـة إلى

أسقف كـانتربـري ، مبرراً ذلـك بانـه يسمح بتـوجيه نـداء إلى الخـاطفين . ومع ان جنكـو فـوجىء بـذلـك إلاّ انـه ذكـره في مؤتمره الصحافي .

عنـدها أعلن وايت ان رسـائل شخصيـة قـد أرسلت إلى البـابـا وإلى أسقف كـانـتـربـري وانهـا استقبلت « بتعـاطف وتفهم » ، رافضـاً ان يعلق على محتواهـا . وناشـد الخـاطفين الإستمرار في الحوار المباشر معـه ، معتقداً « انـه يمكن إيجاد حـل مبني على الايمان المشتـرك بين الإسلام والمسيحيـة » . لقد كان وايت مستعداً للذهاب إلى بيـروت في أي وقت . ومع ان ذلك كان نداء إلى الخاطفين ليلتقوه مرة أخـرى ، فانـه ترك انطباعاً بانه كانت له يد في اطلاق سراح جنكو .

أمـا في بيروت ، فقـد قلق الخـاطفـون عنـدمـا سمعـوا بالرسائل . فـأصدرت منـظمة الجهـاد الإسلامي بيـاناً يقـول : « لم نوجه رسائل لأحد لا سراً ولا علنـاً » . وبدا انهم استـاؤوا من هذه النداءات فهـددوا بقتل الـرهائن مـا لم تتم الاستجابـة لمـطالبهم . فذكـروا المعتقلين في الكـويت . وعنـدمـا سئـل وايت عن بيان الخاطفين قال : « ما كان واضحاً ان الأب جنكو كـان يحمل رسـائـل وقـد سلمهـا » . وقـال ان الجـدل حـول الـرسائـل أسلوب الخاطفين بهـدف إبقاء مسـألة الـرهـائن في الصفحات الأولى .

أمـا داخل الإدارة الأميـركية فقـد دار جـدل حـول كيفيـة اطـلاق سراح الأب جنكـو . إذ لم يسبقه شحن أسلحـة . لذا

اعتقـد البعض ان ذلك من فعـل سـوريـا ، لا سيمـا وأنـه قبـل أسابيع قليلة كان مدير وكالة المخابرات المركـزية وليم كـايسي قد عقد اجتماعاً سرياً مـع الرئيس السـوري الأسد حيث بحث مـوضوع الـرهائن . أمـا أوليفر نـورث فقد أعـاد اطلاق سـراح جنكـو إلى الـرحلة الفـاشلة إلى طهـران . فكتب إلى روبـرت مكفرلين .

« إن هذا في الأساس هـو نتيجة لـرحلتك وليس بفضـل السوريين ، كما ان رحلة كايسي لا علاقة لها به » .

وأمـا الاميرال بـويندكستـر فكان يعتقـد ان الإيرانيين قـد اقتنعوا أخيراً بالقيام « ببادرة إنسانية » .

لكن المسـألة لم تكن بهـذه البسـاطـة . ففي حين كـان الأب جنكـو يتلقى العنايـة الطبيـة في فيسبـادن ، كـان أوليفـر نورث على بعد أميال يجتمع مع غوربانيفار في فـرانكفورت ، وسـرعان مـا بدا واضحـاً ان الوسيط الإيـراني كان قـد وعد في مرات عديـدة بالضغط على الإيـرانيين لاطلاق سـراح جنكو . ودون ان يـطلب منـه أحـد ذلـك ، قـال لـلإيـرانيين انـه إذا تم الإفراج عن أحد الرهائن فان واشنطن سـوف تسلم ما تبقى من الأسلحة التي كانت جزءاً من الصفقة المعقودة في طهران .

عندما عرف بويندكستر ذلك لم يصدق معتبـراً انها قصـة اختلقها غوربانيفار . وقـال في مذكـرة داخلية : طبعـاً نحن لم نوافق على هذه الخطة . لكن نورث وبعد اجتماع فـرانكفورت

دعا إلى الموافقة على صفقة غوربانيفار وكتب : « على الرغم من مطالبنا الدائمة والمستمرة باننا نريد اطلاق جميع الرهائن قبل ان نسلم أي شيء ، فقد بدا واضحاً أن ذلك ليس الأسلوب الذي يريدون التعامل به . فهم يرون الكرة في ملعبنا » إن ما يقترحه نورث هو ما كان مكفرلين قد رفضه قبل شهرين : اطلاق سراح الرهائن مقابل تسليم الأسلحة . ومرة أخرى كسب نورث الجولة بالحجة التي كانت قوية في بداية العام . فكتب : « الشيء الأساسي هو اننا إذا أردنا ان نمنع موت أحد الرهائن الثلاثة الباقين ، فان علينا ان نقوم بعمل ما » .

لم تتفهم الصحافة جيداً سبب اطلاق سراح الأب جنكو . إذ توصلت معظم الصحف ، بعدما شاهدت وايت وجنكو معاً ، إلى استنتاج واضح ورد في أحد العناوين : « البطل وايت يساعد في تحرير الراهب » وفي عنوان آخر : « شكراً لله على تيري وايت » . أما بعض الصحف الأخرى فكانت أكثر حذراً إذ لاحظت ان هناك معلومات أقل مما يعلن عادة عن دور المبعوث الانغليكاني . وفي الحقيقة ليس هناك أي دليل على ان تيري وايت قد لعب أي دور في اطلاق سراح جنكو .

لقد كانت الإدارة الأميركية وبشكل ساخر ، تستخدم مبعوث كنيسة انكلترا لتخفي صفقات الأسلحة . قال روبرت أوكلي مدير مكتب مكافحة الإرهاب في ذلك الوقت : « كان

من المريح ان يـركز النـاس انتباههم على تيـري وايت بدلاً من المفـاوضات والصفقـات التي كانت تعقـد » . واعتقد مـايكـل ليـدين ان نورث كـان مسروراً بـاكتشـاف وايت ويـان يـرى ان بـإمكانـه لعب ذلك الـدور ، فقال : « كـان من الممكن دائمـاً اعطاء القفل لتيري وايت في اطلاق سـراح الرهـائن مما سهّـل على نورث اخفاء العملية الحقيقية التي كانت تجري » .

أما تيري وايت فقـد فكر مليـاً في السبب الذي من أجله أطلق الـرهائن ، فقـال في حديث مـع سمير حبيبي ومـاريـون داوسون أن شيئاً ما يجري حتماً وراء الأنظار . وقد عجبوا ممـا إذا كان الإسرائيليون يزودون الإيـرانيين بالأسلحـة لقاء تحـرير اليهود الذين يعيشـون في طهران . لكنهم لم يكـونوا على علم بمـدى اقترابهم من الحقيقـة : كانت هنـاك صفقة تعقـد ولكن بتحريض من الأميركيين .

بعـد اطلاق سـراح جنكـو سئـل تيـري وايت في مؤتمـر صحـافي عن السبب الذي أدى إلى تحـرير الـراهب . فتـوقف وايت قليلاً ثم نظر إلى أسفل قائلاً : « ألا تحبون ان تعرفوا ؟ » ثم ابتسم . ما لم يقم به هـو تبديـد الإعتقاد السـائد ان جهـوده هي التي أدت إلى ذلـك . وعنـدمـا سئـل عن دوره الشخصي قال : « لأسباب أمنية لا يمكنني التعليق » .

لمـاذا كان وايت يـرغب في تحمل المسؤوليـة في ذلـك الوقت ؟ فغالباً ما كان يقول انه قذ بـذلت جهود كثيـرة من أجل تحرير الرهائن وانه من الصعب في بعض الأحيان معرفة العامل

الأساسي الذي أدى إلى ذلـك . فمن الممكن إذاً ان يكون قـد اعتقد ان الخاطفين قرروا القيام ببادرة إنسانية .

وان جهوده قد لعبت دوراً وان بطريقة الوساطة .

ومن الممكن انـه قد شعـر أيضـاً بـان قـد يـدعم سمعـة الكنيسة الانغليكانية

ويمكنها من الاشتراك في أزمات أخرى وفي مناطق نزاع أخـرى ، إذ كان يحب ان يـرى كنيسة فعّـالة ولهـا اهتمـامـات عالمية . ويعتقد السفير دوغلاس الذي كان معه في الأردن قبل اطلاق سراح جنكو باحتمال أن يكون هـذا الدافـع الأساسي : « كـان مشتـركـاً في نشـاط كبيـر . . . في اعـداد واحيـاء دور للكنيسة وللطائفة الانغليكانية . فإذا أطلق سراح أحـد الرهـائن كان وايت يرغب في ان يكون هناك وان يظهر مهتماً بذلك » .

كـانت نـظرة مبنيـة على أرض مهتـزة . وسـوف تـظهــر حتماً ، عاجلاً أم آجلاً أسباب اطلاق سراح الرهائن . وعندمـا يبـدو واضحاً ان دور الكنيسـة كان « تجميليـاً » ستتأثـر سمعتها وسيكـون من المجـازفـة بـان ينـظر إليـه على انـــه يسعى وراء الدعاية ، لكن الخطر الكبير كان عنـد الخاطفين في بيـروت . إذ كانوا يعلمـون ان لا علاقـة له بـاطلاق سـراح جنكو . فلقـد تلقـوا تعليمات من طهـران . ومن المحتم انهم احتاروا بشـأن دوره وعـلاقته مـع الحكومـة الأميـركيـة ، وقـد تـراكمت هـذه الشكوك لتكون فيما بعد ضد مصلحة تيري وايت .

وصل الأب جنكو بعـدما تعب من الجـولات الدعـائية ، إلى البيت الأبيض . سيتلقى الرئيس ريغان شكـره بعدمـا تلقاه الـزعماء الـدينيـون . وبينمـا كـان هنـاك صـادف وجـود وزيـر الخارجية جورج شولتز الذي توقف قليلاً ليرى الرهينـة المحرر فكان تعليقه الوحيد : « أظن ان الصلاة تنفع ، ها ! » ثم تابـع سيره .

الدكتور كيسنجر الانغليكاني

عندما غادر الأب جنكو إلى الولايات المتحدة ، كان إلى جانبه تيري وايت لكن صورة المبعوث الانغليكاني مع السياسيين الأميركيين كانت مشهداً لا داعي له . وبعد عدة أيام طار وايت إلى سان فرانسيسكو وبصحبته أسقف كانتربري وذلك لحضور مؤتمر كنيسي .

في ذلك الوقت أصبح وجوده أمراً يحتفل به ، وأصبح اسمه مميزاً بفضل صوره التي ظهر فيها مع الأب جنكو ، وأصبح يعامل لدى وصوله وفقاً للتقاليد الأميركية . ففي المطار كان الصحافيون يحيطون به وكذلك مصورو التلفزيون من المحطات المحلية . وعلى الرغم من انه كان بصحبة الأسقف وكذلك الأسقف العام للكنيسة الابسكوبية فقد تركز اهتمام الصحافة الوحيد على وايت والرهائن . كان ذلك دليلاً على مدى ارتباط سمعة الكنيسة بمهمته . انه قال لدى وصوله :

أريد ان أوجه نداء مباشـراً إلى « الجهاد الإسـلامي » بان يـدع الكنيسة المسيحية تتابع البحث عن حل للمشاكل التي يواجهها الشعب اللبناني . . . وأؤمن انه بالإيمان بـالله سوف تحـل هذه المشكلة » . وقد نُقل هذا التصريـح والذي كـرر ما كـان يعلنه سابقاً ، بشكله الحرفي . فلم يأت أي رد من بيروت .

وبينما كان في سان فرانسيسكـو سأل وايت أحـد زملائـه من الكنيسـة الابسكوبيـة ان ان يوحي لـه بمطعم . وبعـد عدة مكالمات هاتفية حجز الكاهن شارلز سيزارتي في مطعم ستـارز وهو يقع في مكان مشرف على المـدينة . وصلوا إلى المـطعم بعد نصف ساعة من الموعد وكانت جميع الطاولات قـد شغلها الزبائن . فقال سيزارتي : « نحن نريد صراحة ان نضـع أنفسنا تحت رحمة خادم المطعم . لكن حالمـا دخلنا أدركت ان ليس هنـاك مشكلة : لقـد تعـرف الخـادم على تيـري في الحـال . فـاستقدمنـا عندهـا شعرت بـالأسف لاننا أفقـدنا بعض النـاس حجوزاتهم .

لم يكن خادم المطعم الوحيد الـذي تعرف على وايت ، بل كان الناس يتناولـون الطعـام هناك آملين ان يشـاهدوا بعض « النجــوم » وصـور المشهــورين المــوقعــة والمعلقــة على الجدران . ولم يخب ظن الزبائن في ذلك المساء .

قال سيزارتي : « كان الناس يـأتون إلى الـطاولة . انهـا ظاهرة مميزة ومزعجة ! وكان من الصعب ان تبدأ بتناول الطعام بينما الناس يتقدمون منك ويتمنون لك كل خير » .

لاحظ سيزارتي في مظاهر الدعم التي بـدت أثناء تنـاول الطعام ، شعوراً بالمحبة لدى الشعب الأميركي . تجاه الرهائن وقلقـاً على مصيرهم . كـان ذلك الجمهـور الذي فهمـه ريغان وشاركه غرائزه . وكان تيري وايت قد ذهب إلى لبنان لمصلحة الـرهائن الأميـركيين وقد قـدر الشعب الأميركي لـه ذلك . فلم يكن ذلـك الموكب الـذي أحاط بـالطاولـة يجسّد مجـرد رغبـة بالاختلاط بالنجوم . لقد كان تـوددهم لتيري وايت تكفيـراً عن الفشل الأميركي في اعادة مواطنيهم إلى بلادهم .

استحوذ وايت على الانتباه برشاقة أما سيزارتي فقد شغل باله معرفة كم وظفت الكنيسة في مهمة مبعوثها . ومعرفة ما إذا كـانت مخططـة لأن العواقب ستكـون كـارثـة . كـان سيـزارتي شخصـاً يختلف كثيـراً عن وايت ، كـان مفكـراً محبـاً للفن والجمال كما كان لاهوتياً ليبراليـاً لا يرتـاح لسياسـة ادارة ريغان الرعناء . فلقد أزعجته علاقة وايت الوثيقة بـأوليفر نـورث فقرر ان يتحدث عنها .

تحدث سيزارتي عن غـزو غرانـادا وقصف ليبيا وتسليـح الكونترا في نيكاراغوا . وكانت الكنيسة الابسكوبية قد اتخذت موقفاً صلباً ضد هـذه الأعمال . ولم تكن وزارة الخـارجية هي التي أشرفت على هذه العمليـات بل كـان البيت الأبيض ممثلاً بالناس الذين يتعامل معهم تيري وايت : « لقـد شاركت تيـري بهذه المعلومات لانه من المحتمل انه لم يكن يفهم التلميحات الأميركية » .

كان وايت محترساً ، إذ كان يعرف ان سيزارتي يعـارض سياسة ريغان فقد كان أخبره بذلك . أما بالنسبة للكونتـرا فكان وايت يعارض الدعم العسكري لهم . وقد تناقش مع نورث في هذه المسألة . لذا أشار سيزارتي ان هناك اهتمامـاً متزايـداً في الكـونغرس بنشـاطـات نـورث ومجلس الأمن القـومي . وعلى الكنيسة ان تكون على حذر .

لكن وايت أصـر على ان التحـدث مـع البيت الأبيض لا يعني انه يدعم سياسته . فقد قال وكرر ذلك مـرات عديـدة انه كان ينفذ ما يقتنع به ووفقاً لجدول زمني خاص به لكنّ سيزارتي كـان قلقاً من نـوعية النصيحـة التي يتلقاهـا المبعـوث . وكـان يعتقد بان الكنيسة يجب ان تؤمن المزيد من الدعم والتحليل . هذا وقد أدى الحـديث إلى تصدع في العـلاقات بين الـرجلين اللذين لم يلتقيا بعد ذلك إلاّ في تشرين الثاني / نوفمبـر بعدمـا انفجرت فضيحة إيران ـ كونترا .

لم يتلق تيـري وايت أية نصيحـة من خارج الـدائرة التي كانت تساعده .

وكان يتحفظ كثيراً عند بحث مسألة الرهائن . يقول أحد أصـدقائـه توزر الأستـاذ في جامعـة نيويـورك : « كنت أعـرفـه صديقاً حميمـاً ، لكنه كـان يكتم الأشياء في صـدره » حتى في مكتبـه في قصـر لامبث لم يكن تيـري وايت يثق بـأحـد . ومـا كانت سكرتيرته ستيلا تايلور تعرفه عن نشـاطاتـه قليل ومبهم .

لـذا بعدمـا أصبـح رهينـة لم يكن هنـاك مجـال لاعـادة تـرتيب مفكرته إلّا بمساعدة ارومات تذاكر الطيران . ومع انه كان يُعلم الدكتور رونسي بنشـاطاتـه فإن هـذا الأخير لم يكن يشتـرك في لقاءات وايت اليومية . ولم يكن لديه فكرة عن العـلاقة الـوثيقة بين مبعـوثه وبين أوليفـر نورث . كـانت الكنيسة الانغليكـانيـة تحوي عدداً قليلاً من الموظفين ولم تكن مجهزة بشكل يسمـح لها بالاشراف على نشاطات واسعة كنشاطات تيري .

ومن خـلال مكتب الأسقف ، كـان وايت يتصـل بـوزارة الخارجية وكان يطلب بين وقت وآخر حضور محاضرات حـول لبنان . وقد وقف المسؤولون ، متعمدين على مسافة عنـه ، إذ طلب إلى الـدبلوماسيين البـريطانيين أن ينتبهـوا لعدم احـراجه بـظهورهم معـه . كان كبـار المسؤولين في وزارة الخارجيـة قد علمـوا في صيف ١٩٨٦ انه يتم تبـادل الأسلحة بـالرهـائن مـع إيــران . فـطلب مسؤول بــريــطاني في واشنــطن من الإدارة الأميركية تفسيـراً لذلـك . إلّا أن أحداً لم يفكـر بتحذيـر تيري وايت . وبدا واضحاً من مفكرات نورث ان جهاز الإستخبارات البريطاني السري م ١٦ كان يعرف الكثير عن صفقات الرهـائن وكـان يعرف عنـه دور وايت . لكنهم على أي حال لم يعتـادوا اسداء النصح فيما يتعلق بالعلاقة الوثيقة مع مسؤول رسمي في أركان مجلس الأمن القومي .

شكّــك جميــع الــذين قــابلوا تيــري وايـت في دوره وبسلوكـه . فكان بـريان جنكنـز مستشاراً لشـركـة رانـد وقـدم

استشارات ونصائح لهيئة الاغاثة الكاثوليكية حول قضية الأب جنكو . وعندما التقى المبعوث الانغليكاني كان يتوق ليعرف ما كان يقوم به فعلاً .

قال جنكنز : « سألته مرة ماذا تفعل يا تيري وايت ؟ فقال أنا كيسنجر أسقف كانتربري » كان جواباً غير عادي . واعتقد انني استحضرت في ذهني رجلاً يثق حتماً بامكانياته وبمعرفته بالشؤون الدولية » .

كان جنكنز يعرف ان الكنيسة الكاثوليكية هي اللاعب الأساسي على المسرح الدولي وانها تستطيع ان تتباهى بان لها نوعاً من الحكومة وشخصية هي في الواقع بمثابة وزير الخارجية ، لكنه كان يشك في ان يكون للكنيسة الانغليكانية هذه الإمكانيات .

وفي بريطانيا ، كان تيري وايت تحت الطلب في كل احتفال . كان الجميع يريدون مباركته . وقد حلق فوق ساحة ترافالغار في منطار ليطلق نداء من أجل السلام . وكان قبل ذلك قد هبط بالمظلة على أرض كلية اللاهوت . لقد كان رجلاً مسيحياً فاعلاً ، اهتمت به الصحافة . وقد شغل أجهزة الإعلام عندما بدّل سيارته بسيارة مكشوفة تناسب قامته .

طلبت منه إحدى شركات التلفزيون ان يستضيف أحد البرامج . وافق على ذلك : لانه كانت قد أجريت معه عدة مقابلات صحافية ورأى في هذا العمل « انحرافاً بسيطاً » وفي

الحلقـة الأولى كـانت الضيفـة ، الأميـرة آن . ولم يكن ذلـك نجاحاً . سألها : « هل تعتقدين انك أم جيدة » وأردف قائلاً : انها الملكية في صورتها الشعبية . كانت ردود الفعـل قاسيـة . وقد قالت عنه إحدى الصحف انه : « مهلبية مليئة بالحسك ! » ووصفت صحيفة أخرى البرنامـج على انه : « نـافع وملمـوس مثل العصيد الحلو . إنه مثل الأغبياء » لكن بعض النقاد كشفوا ان هاجسه هو مغامراته الخاصة . وكتب أحـدهم : سرعـان ما أدركنا ان التواضـع ليس من صفات وايت . إذ كـان يتكلم عن نفسه أكثر مما يتكلم عن الشخص موضوع المقابلة . وجاء في مقالة أخـرى : « كان يبـدو مثل سـان برنـارد الكبير الـذي فقد بـرميل البـراندي : نـظر وايت إلى يـديـه ثم بـدأ يتحـدث عن نفسـه . وعندمـا أجرى مقـابلة مع بـطل تسلق الجبـال كـريس بوننغتون قارن بين تسلق الجبال ومفاوضة الإرهابيين !

تهـرب وايت من التعليقات القـاسيـة بـالضحـك . لكن بعض أصدقائه في الكنيسة أصيبوا بخيبة أمـل من جراء ظهـوره على التلفزيون . واستاء أحد الكهنة الذي كان يعرف تيري منذ كان واعظاً بسيطاً وقال له : « انها ليست لك يا تيري » .

لقد انعكس سعيه وراء دور كبيـر في نظرتـه إلى الكنيسة وهي تعـرض دبلوماسيـة بـديلة مستقلة عن المصـالـح الضيقـة للدول . كانت الفكرة كبيرة ولم يشرحهـا جيداً وكـانت تختلف عن الإهتمام بملء المقاعد في الكنيسة في قداس يوم الأحد . كان يجد بعض مسـائل الكنيسـة صغيرة ، حسّـاسة وحمقـاء .

لكن مسألة الرهائن لم تكن مجرد « افتح يا سمسم » لأحلامه ـ لقد قدمت له قضية كبيرة قضية التزم بها كثيراً .

لقد حرّكهُ الغم والأسى الذي لحق بعائلات الرهائن . فعندما وجد ملاً رسمياً من الموضوع طرح مسألة حقوق المواطن المحتجز . وأصرّ على انه لا يمكن ان يهمل الناس أو يحط من قدرهم بمقارنتهم باصابات حوادث السير . كان يرى ان احتجاز الكهنة والمبشرين ، مثل جميع الرهائن ، اهانة للكنيسة وتحدٍ لحرية تنقل الشخصيات الدينية في أماكن النزاعات دون أي ارباك ، وتحدٍ لنظرته إلى الكنيسة ودورها في العالم . تأثر بريان جنكنز ، الذي كان قد فوجىء عندما سمع وايت يصف نفسه بانه كسينجر الأسقف ، بهذا الطرح وقال : « على الصعيد الشخصي إنه رجل يتمتع بامان راسخ ، فلقد كرس نفسه تماماً من أجل اطلاق سراح الرهائن » .

وقد تطابقت هذه الإلتزامات مع التزامات نورث . كان تصميمه قوياً يؤدّي به إلى التفاني . فمسألة الرهائن مهمة تشبه المهمات العديدة التي تلقاها في فيتنام . وكان من ميزات مشاة البحرية ان لا تعود دون انجاز المهمة . أنت تدين بذلك لوحدتك ولمشاة البحرية وأخيراً لنفسك . كان الولاء يسري في عروقه . إلّا أن الرهائن كانوا مهمة أخرى : استمرار معركة فيتنام في مسرح آخر .

كانت منظمة الجهاد الإسلامي تنتمي إلى العالم المظلم والمهدد والمبهم الذي كان سائداً لدى الفيتكونغ : أعداء ضد

الامبريالية برابرة ، لا يأبهون بالحياة ترتكز أيديولوجيتهم على كراهية الغرب .

يقول نورث لأحد أصدقائه انه يرى في الرهائن « عملاً مفقوداً » لم يكونوا جنوداً بل مواطنين أميركيين احتجزهم العدو . لقد كانوا ذكرى مؤثرة لآلاف من قدامى المحاربين في فيتنام الذين كان يؤنبهم الضمير في انهم تركوا بعضاً من رفاقهم هناك . لقد نفذت عمليات خاصة في أدغال لاوس ، وكأن العثور على أسير حرب يمكن ان يمحو آثار القتل في ذلك النزاع . لقد كان الرهائن يذكرون بتراجع القوة الأميركية وبفقدان القرار والعجز . وكان نورث يعرف ان اطلاق سراحهم هو من الأولويات لدى قائده الرئيس ريغان . وهو سيقوم بكل ما في وسعه من أجل تنفيذ المهمة .

ومع ان التزام نورث كان ينبع من جذور مختلفة عن تلك التي للمبعوث الانغليكاني فان تيري وايت شعر انه عثر على رفيقه الروحي . إذ كان حماس نورث يتطابق مع حماسه . كان مثلاً حياً على الشخص النشيط والحيوي الذي كان يريده وايت : ديناميكياً ، ملتزماً وصاحب مبدأ وله اتصال مع السلطة ، أي إنه رجل يجعل الأمور تحدث . وأخذ السفير دوغلاس يراقب العلاقة بين نورث ووايت وهي تتعمق :

« أعتقد انها وثيقة في بعض الأمور . انه لقاء بين شخصيتين قويتين وملتزمتين . . . . لقد كانت عاطفة نورث القوية من السمات المميزة له . وصادف ان كانت السمة نفسها

لوايت . كان يفكر بعمق حول جميع الأمور وإذا فكّر يشعر انـه مرغم على العمل » .

ويحلول صيف ١٩٨٦ كان الوقت يداهم أوليفر نورث . وبـدأت تزداد الصعـوبـات حـول الاحـاطـة بسـريـة امـدادات الأسلحة للكونترا . فلقد أعـدت شبكة نـورث عدة مشـاريع . كـانت تجمع عـدداً كبيراً من العمـلاء لتنفيذ العمليـة الخفية : وقـد جهزت ست طـائرات ومخـازن ومنشآت للصيـانـة وسفنـاً وزوارق وآليـات وأسلحة وذخـائر وأجهـزة اتصـالات ومـدارج لهبـوط الطائـرات . واستمـع مـوظفـو مجلس الشيـوخ الـذين يعارضون دعم الرئيس ريغان للثوار النيكاراغويين إلى شائعات تـدور في أميركـا الوسـطى بانـه يتم الاشراف على العمليـة من داخـل البيت الأبيض . وبـدأت شبكـة سي بي أس وصحيفـة واشنـطن بـوست بتسليط الضــوء على أوليفـر نــورث . حتى صحيفة ازفستيا السوفياتية فإنهـا تحدثت عن الحـرب الخاصـة التي يشنها كولونيل في البيت الأبيض . وحذر روبرت مكفرلين جـون بوينـدكستر : « يبـدو بوضـوح ان اليسار الـديمـوقـراطي يلاحقه (نورث) بروح انتقامية » . لقـد حاول بـويندكستـر ان يريح نورث من أعبائه ويخلصه من تورطه مع الكونترا .

عنـدهـا عـرض نـورث وبـطريقـة درامـاتيكيـة ، تقـديم استقـالتـه . « تحت هـذه الـظروف وبنـاء على طلبكم لازاحـة نفسي كلياً من المسألة النيكاراغوية يمكن ان يكون من الأفضل إذا انتحيت بهدوء ويسرعة » لكن رسالة نورث كانت نداء مبطناً

من أجل الإحتفاظ بمنصبه . فكتب إلى بويندكستر « انه من دواعي خيبة أملي العميقة ان أفقد ثقتك بي لانني أحترمك . . . » أجاب بويندكستر : « ها أنت تصبح عاطفياً مرة أخرى » . ومرت المسألة .

كانت المفاوضات مع الإيرانيين تثبت انها شائكة . فخلال الصيف بدأ نورث يبحث عن قناة ثانية للوصول إلى القيادة في طهران . فكشف مجلس الأمن القومي عن تغيير في الرأي بين الملالي : إذ كان البراغماتيون مثل علي أكبر رفسنجاني رئيس البرلمان الإيراني يعبرون عن قلقهم من النوايا السوفياتية وعن خوفهم من ان حظ إيران في كسب حرب الخليج يتراجع . واعتقدت واشنطن انها كشفت اشارة واحدة تفيد ان إيران جاهزة للتعامل .

بدأ عدد من أعضاء شبكة عمل نورث بلقاء أحد أقارب رفسنجاني وهو ابن شقيقته . فشجع نورث ذلك . وبدا انهم أنشأوا قناة مستقلة تصل إلى طهران منعزلة عن الإسرائيليين وعن الوسيط غير الموثوق به مانوشهر غوربانيفار .

وفي ١٨ آب/ أغسطس اجتمع نورث مرة أخرى مع غوربانيفار . فكانت معنويات الإيراني متدهورة . إذ اكتشف الملالي انهم تعرضوا لخدعة وان الأسعار التي دفعوها ثمناً للأسلحة التي تسلموها كانت عالية جداً . فاقترح غوربانيفار ارسال ألف صاروخ تو كتعويض . حاول نورث التهرّب لكنه كان في موقف صعب : لم يحتمل استعداء الرجل دون

المخاطرة بانكشاف العملية بأكملها .

وبينما كان نورث يظن ان كل شيء قد انتهى قال له غوربانيفار انه علم بالقناة الثانية « وحذر نورث من مغبة استبعاده عن الصفقات التي تعقد في المستقبل لان ديونه كانت تتراكم ولن يتفهم أصدقاؤه في طهران وضعه . وأدرك نورث انه بتغيير الوسطاء يتيه في السياسات الخطرة للجمهورية الإسلامية . كان الملالي وأعوانهم يحضرون أنفسهم لمعركة خلافة الخميني . وقد أدى الحصول على الأسلحة الأميركية لاستخدامها في الحرب مع العراق إلى فوائد سياسية . وعندما بدأ التداول في أنباء الصفقات في إيران ، بدأ بعض الأجنحة بمحاولة قطع علاقاته مع البيت الأبيض . فاتصل وسيط يعمل لمصلحة آية الله منتظري بمسؤول في مجلس الأمن القومي هو فنس كانيسترارو . كان يبحث عن قطع تبديلية لطائرات ف ٤٠ . إذاً لا يمكن ارضاء أي صاحب طلب .

وأولئك الذين عادوا صفر اليدين يدركون انه بامكانهم الحط من قدر خصومهم وذلك بالكشف عن اتصالاتهم مع الغرب . وبدا واضحاً ان سر مبيعات الأسلحة لن يبقى آمناً في إيران التي تتنازع فيها أجنحة مختلفة . كما قلل من حفظ السر التخلي عن رجال مثل غوربانيفار مصابين بجراح ! اقترح اجراء صفقة سلاح أخرى كوسيلة لابعاد الإيرانيين عن ظهره . لكن آمال نورث بانهاء أزمة الرهائن ، انتقلت إلى رجل الإتصال الجديد الذي كان يتفاوض معه حول صفقة أكبر .

أما تيري وايت وبعد عقد مؤتمر في سان فرانسيسكو ، فقد بقي في الولايات المتحدة . قابل بعض عائلات الرهائن وطلب مقابلة أوليفر نورث قبل ان يغادر . وعندما اتصل بمكتب نورث أجابته سكرتيرته فون هول بان نورث موجود في لندن وانها ستحاول الإتصال به . لقد كان من المقرر ان يعود نورث في اليوم التالي فاقترح ان يلاقيه في مطار نيويورك ، بحيث يمكنهما تبادل الحديث قبل ان يطير إلى واشنطن . على أن ينضم إليهما باركر بورغ من وزارة الخارجية .

كان وايت يقيم مع سمير حبيبي في منزله في مدينة غرينتش في ولاية كونكتيكت . وكان منزل حبيبي مشرفاً على المدينة وفي الليل كانت أضواء نيويورك تسطع على الأفق فأحب وايت ذلك . انها استراحة في حياته الحافلة بالتنقل والأسفار ثم انضمت مساعدة حبيبي ماريسون داوسون إلى الإجتماع مع نورث ، وتوجه الثلاثة في السيارة عبر الأوتوستراد الكبير إلى مطار لاغارديا حيث أقلوا باركر بورغ ثم توجهوا إلى مطار كيندي للقاء نورث . لكن طائرته تأخرت مما اضطرهم إلى الذهاب إلى فندق فيسكاونت القريب لتناول « السندويش » . وكان باركر بورغ قد شاهد تيري وايت آخر مرة منذ تسعة أشهر وتحدثا بشكل عام عن أزمة الرهائن .

وصل نورث أخيراً وكان في عجلة من أمره ، لانه كان عليه ان يلتقط آخر رحلة إلى واشنطن ، وهكذا اجتمع الجميع داخل سيارة حبيبي وهي من نوع بويك وهرعوا إلى مطار

لاغارديا . بدا نورث مرهقاً وكـان هناك عـلامات سـوداء تحت عينيـه . ففي ذلك الصبـاح كان قـد اجتمع مـع غوربـانيفار في لنـدن وكـان لـه مـواعيــد في البيت الأبيض في صبـاح اليــوم التالي . فقد كان ينام ثلاث أو أربع ساعات فقط كـل ليلة وفي بعض الأحيان ينام في مكتبه . وقد حاول أحد زملائه ان يقنعـه بان يأخـذ استراحـة ، مخبراً إيـاه ان أحد الأصـدقاء المقـربين ذهب إلى منتجع صحي . فسأل نورث : لماذا ؟ ماذا حل به ؟

ضغط دمه يساوي ١٤٥/ ١٨٠ .

أجاب نورث : هذا ليس سيئاً .

حـدق الزميـل في عيني نورث وقـال : « كادت الأوعيـة الدموية تنفجر من الضغط انه فوق الحد العادي » .

لقـد كشفت مفكـرات نـورث ان التعـامـل مـع النــظام الإيراني أضحى كابوساً بالنسبة له . لقد صوّر هذه القيادة بانهـا ممزقة إلى أجنحة تتنافس على كره الولايـات المتحدة . وكتب تحت عنوان : « مشاكل في طهران » ما يلي :

شباب جيدون/ شباب عاطلون .

اثنان يريدان اعطاء الرهائن .

رفسنجاني يريد ان يحلب الولايات المتحدة .

الموسوي يكره الولايات المتحدة .

موازنة الحرس الثوري ـ قد استهلكت .

رئيس الوزراء يأخذ المال من الحرس الثوري/ الجيش ليدفع للقوات الجوية وعلى الرغم من مشاريعه لشراء الرهائن ، كان لنورث بعض اللحظات الواضحة . فقد كتب : « يجب ان لا نضلل رونالد ريغان » .

ـ المجرمون يقودون إيران .

ـ يجب ان لا ينتهي هذا لمصلحة الإيرانيين .

ـ إذا مشت الأمور فان الراديكاليين سيبقون في الحكم إلى الأبد .

وقد غطت لائحة من المشاكل العديدة عدة صفحات من مفكرته كما تضمن استنتاجه اشارة يائسة « كلما طال ذلك زادت الأمور سوءاً » .

حاول تيري وايت التحدث مع نورث عندما كانا في السيارة في طريقهما إلى لاغارديا ، لكن الهموم الأميركية كانت تشغل باله . وعندما وصل لاحظ فريق الكنيسة الذي كان يرافقه ، انه يحمل حقيبة غير عادية : كانت تحوي أجهزة اتصالات آمنة ، فقال نورث انه لا يسافر بدونها ، أما بالنسبة لأجهزة الأمن على الطائرة فإن الحقيبة تشبه كومبيوتر صغيراً . لكنها كانت تحوي هوائيها الخاص وصحنها وبطارياتها وأجهزة الإرسال أيضاً .

وبينما كان ينتظر الطائرة أشار نورث انه يحتمل ان يفرج الخاطفون عن أحد الرهائن . وقال انه من المهم ان نعطيهم

اشارة اننا لم ننس مطالبهم . راجعوا جميع الأمور التي حاولوا اعتمادها في السابق . لقد أعاد الأب جنكو تأكيد أهمية السجناء في الكويت . وكعادته كان لنورث أفكار عديدة : اقترح ان يقوم شقيق سمير حبيبي أرمان الذي له اتصالات ممتازة مع السعوديين ، بمحاولة استخدام اتصالاته للوصول إلى الكويتيين . وكان يأمل بتلقي ثلاث رسائل أخرى من الخاطفين . فإذا تمّ ذلك ، على وايت ان يسلمها إلى الدكتور عدنان مروة الذي استخدمت عيادته من أجل عقد اللقاء الأول مع الخاطفين . فقال وايت انه سيوجه نداء آخر إلى الكويتيين وذلك ليسمحوا له بمقابلة المعتقلين .

وكان نورث يحاول احياء الخطة التي تدع الجنرال لحد يفرج عن بعض السجناء الشيعة . ففي هذه المرة سوف يطلب دعم سوريا لتضغط على « الجهاد الإسلامي » لتحرير بعض الرهائن الغربيين مقابل ذلك . « تستطيع » . وكتب كذلك انه سوف يدع « ميلر » يتصل بوايت . كان ميلر الاسم الرمزي لاميرام نير . فإذا كان السوريون يرغبون في فرض نفوذهم على الخاطفين ويقدرون على ذلك فانه سوف يستخدم تيري وايت للدخول في مفاوضات مع لحد . وبينما كانوا يتكلمون علم نورث ان رحلته قد الغيت بسبب مشاكل تقنية فتكلم نورث مع طاقم الخدمة في المطار وقال لهم انه مسؤول في البيت الأبيض وعليه ان يعود إلى واشنطن . هرع الجميع إلى أمكنتهم . وأراد نورث ان يضمن ان له مقعداً على الرحلة

المقبلة . ولم يكن قد أكل بعد . وهكذا وبينما كان ينتظر أخذ أصدقاؤه يبحثون له عن طعام . وأخيراً حضر أحد مسؤولي المطار وأكد له ان الطائرة ستقلع الساعة الثانية والنصف صباحاً .

عندها قرر الجميع الذهاب إلى فندق ماريون المجاور حيث جلسوا في بار الفندق وطلبوا « بيرة وسندويشات » . وفيما كان عازف البيانو يعزف موسيقى آخر الليل قال سمير حبيبي : لقد صلى لكي يمنحهم الله القوة لينهوا العمل الذي بدأوه . فلم يستطع نورث اخفاء كلله . كان كئيباً فقال لهم انه لا يعرف إلى أي مدى يمكنه ان يستمر . لقد أهمل عائلته إذ كان يراهم يوم الأحد في الكنيسة فقط . قال إنه كان كل يوم يعهد بهم إلى الله لكن غيابه كان مؤلماً . كان يأمل ان يذهب بعد ظهر اليوم التالي بصحبة ابنه إلى مخيم الآباء والأبناء لتعليم الكتاب المقدس في حديقة يوسيمايت . لكنه آمن ان الله قد طلب منه هذا العمل . لقد واجه الموت عدة مرات في فيتنام ، وكان يؤمن انه كُرّس لهذا العمل .

كان وايت يواسيه . فلقد اشتاق إلى عائلته وخصوصاً إلى ابنه . تحدث عن مصاعب عمله كمبعوث وكيف انه لا يعيش حياة طبيعية وانه تحت الطلب أربعاً وعشرين ساعة يومياً . فأومأ نورث برأسه . كانت هناك تضحية مشتركة في كل ما يقومان به .

ساد جو غير واقعي في تلك الليلة . لقد كـانوا مجمـوعة من المسيحيين يعتقدون انهم يساهمون في صنع احداث قويـة من شأنها تمزيق حياتهم . ومع ذلك فقد أصبح كل واحد منهم وبـطريقته الخـاصة معـزولاً عن الآخرين . لقـد أوجـد أوليفـر نورث النشيطين في وزارة الخارجية وكذلك كبار محللي وكالـة المخابرات المركزية . وكانت جـولته في مـطار نيويـورك ومعه أجهزة الإتصال ليقود مهمات تتعلق بـالسياسـة الخارجيـة . أما تيري وايت فكان مبعوثاً للكنيسة التي نادراً ما كانت تعـرف أين هو وما هو الدور الـذي يقوم بـه . كما أعـطت الكنيسة لسميـر حبيبي صـلاحيات مـطلقة نـظراً لاتصالاتـه القويـة في الشـرق الأوسط . وكـان عليهـم جمـيعـاً ان يـمـروا على الأضــواء الحمــراء . دون ان يتمكن منهم الكبـار الــذين قـد يقيــدون أعمالهم .

وعمل بريـان جنكنز في محيط ازمـة الرهـائن . وتبين له انهم جميعـاً شـربـوا « نخب وجـودهم في مـركـز الأحـداث » فقال : هناك سعادة معينة في المفاوضات السرية واللقاءات مع شخصيات شائعة في ظروف غريبة . يكون الدخول فيها سهـلاً ومخيفاً بحيث انها تفسد قدرة المرء على اطلاق الأحكام » .

وفي السـاعة الثـانية صبـاحاً غـادروا « البـار » . فـذهب أوليفر نورث إلى واشنطن . ليشهد ليلة أخرى دون نوم . وعـاد تيـري وايت وسمير حبيبي بـالسيارة إلى كـونكتيكت وقد صمّم كل منهما على لعب دوره .

وفي اليوم التالي وعندما عاد وايت إلى لندن نشرت صحيفة التايمز مقالاً رئيسياً بعنوان : « خيط السيد وايت الرفيع » . إذ سمعت الصحيفة قصصاً مختلفة حول اطلاق سراح الأب جنكو والأسباب التي تقف وراءه فلم تتوسع الصحيفة ، لكنها تساءلت ما إذا كانت الدعاية المحيطة باطلاق سراح الأب جنكو يمكن ان تجعل احتجاز الرهائن عملاً فذّاً . ولاحظت أيضاً كيف ان مساهمة كنيسة انكلترا في موضوع الرهائن قد توسعت إلى أبعد من المبشرين المسيحيين ووصلت إلى المواطنين الأميركيين العاديين ، ثم استنتج المقال : « يعود الفضل لكنيسة انكلترا في انها أصبحت قادرة على رعاية أعمال غير عادية لكن كان من الحكمة ان تعرف أيضاً كيف توجهها . فهناك خيط رفيع بين ان تكون مفيداً وان يستخدمك الآخرون » .

وبعد أسبوع صرح وايت بصورة غير متوقعة انه يبحث في التخلي عن دوره ومغادرة قصر لامبث . قال : « لقد جعلتني المخاطر والضغوط أفكر انه قد حان الوقت لتقييم الأمور . كانت السنوات الماضية ناجحة بشكل ممتاز ، لكن الضغوطات بدأت تأخذ مكانها » . لقد أقنعته رحلته الماضية إلى الولايات المتحدة انه استغل عمله في الكنيسة إلى أبعد الحدود . فلقد سنحت أمامه فرص أخرى مثل وظيفة في الأمم المتحدة أو ترؤس وكالة اغاثة . وفي تعليقاته كان هناك تلميح إلى توتر في العلاقة بينه وبين الأسقف :

« لقـد سررت بـالعمل مـع الأسقف لكن الشراكـة تتغير أخيراً » ومع انـه قال انـه يريـد ان يرحـل فوراً ، فـانه أقـر بأنـه ما زال لديه الكثير ليفعله » .

فضيحة سياسية

في بيروت ، أدى اطلاق سراح الأب جنكو إلى ابراز موضوع الرهينة ديفيد جاكوبسون . وقد كان ذلك بالنسبة للرهائن دليل تقدم : إذ كان من المريح لهم ان يدركوا وهم في عزلتهم ان هناك قوى غير منظورة تعمل لمصلحتهم . وقد يمكنهم مع الوقت ان يتوقعوا اطلاق سراحهم . لكن تفاؤل جاكوبسون كان قصيراً .

فبعد ما عزل الأب جنكو عن بقية الرهائن سجل جاكوبسون رسالة على الفيديو اصطحبها معه الأب عندما أطلق سراحه . وكانت صرخة من القلب : « أرجوكم سامحوني إذا أعطيت انطباعاً بانني أشعر اني أحد رجال الجنرال كستر أو أحد الرجال الذين ينتظرون قدوم المساعدات في « ألامو » . أنتم تعرفون نهاية هذه القصص . صلوا لكي تكون قصصنا أكثر سعادة » . وعلى الشريط وجه جاكوبسون تعازيه إلى زوجة وليم بكلي وعائلته دون ان يكون عالماً ان بكلي لم يتزوج

وعندما أذيعت رسالته على التلفزيون اللبناني أشار المـذيع إلى هـذه الغلطة . وقـد ثـار غضب الحـراس . إذ اعتقـدوا ان جاكوبسون قد خـدعهم عمداً وانـه من خلال « غلطتـه » أرسل رسالة مرمّزة . وبّخوه وهددوه بالعقاب . كانت الأيام التي تلت اطلاق سراح جنكو الأكثر رعباً منذ خـطف جاكـوبسون في ٢٨ أيار/ مايو ١٩٨٥ .

في ذلـك النهـار كـان يتمشى من شقتـه إلى مكتبـه في الجامعة الأميركية عنـدما ألقى ستـة رجال القبض عليـه . ففي البـدء أوثق ووضـع في أرض السيـارة وطلب إليـه ان يبـقى صامتاً . وقال فيما بعد : « مع اني كنت مقيـداً بالسـلاسل بين ركبتي اليمنى وذراعي اليمنى فقـد تمكنت من ان أدور واندفـع قليـلاً نحو الأعلى وأرفس بـرجلي » . وعندمـا كان يؤخـذ إلى المـراحيض أحيانـاً ، كان يـركض في تلك المسـافـة القصيـرة حـوالي دقيقتين . لقد كـانت الظروف قـاسية : « أخـذت مني ثيابي خلال التحقيق ولم يبق لي سوى ملابسي الـداخلية ورداء قطني كنت أستخدمه غطاءً لي .

وعلى عكس بعض الرهائن فـإن جاكـوبسون لم يحتجـز وحده . فقد مرت الساعات الطويلة بسرعة عندما كـان الخمسة معاً وقد تذكر فيما بعد : « كـل يوم كـان يسمح لنـا بان نـذهب إلى المـرحاض واحـداً اثر الآخـر . كان لـدينـا وخمس عشـرة دقيقـة لنستحم ونغسل ثيـابنا ونبـوّل ونحصل على ميـاه عـذبـة ننـظف فيها آنيـة الطعـام والملاعق والكؤوس . كـان الحراس

يتضايقون إذا استغرق الأمر ست عشـرة دقيقة لاننـا كنا خمسـة وكـان الأمر بكـامله يتـطلب سـاعـة وخمسـة عشـرة دقيقـة من وقتهم » .

اعتقـد جاكـوبسون ان احتجـازه سيكون قصيـراً . كـان مقتنعاً انه سيطلق سراحه خلال شهر وفي الوقت الـذي يصادف زواج ابنه وقد أمضى ذلـك اليوم مقيـداً إلى الأرض فكتب فيما بعـد : « كي أتمـالـك نفسي خـلال السـاعـات نسجت قصـة خيالية . تظاهرت اني موجود مع عائلتي أحضـر نفسي للذهاب إلى احتفـال الزواج وأقـوم بالأشيـاء نفسها التي يقـوم بها والـد العـريس . تخيلت اني ذهبت إلى كنيسة سـان بـونـافنتـور في شـارع سبرينغـدال ورأيت عروس ابني وهي قـادمة . وتخيلت أيضاً اني ذاهب بالسيارة إلى نادي ميناء هنتنغتون لحضور حفلة الإستقبـال . أمضيت النهـار بكـامله هـائمـاً في الخيـال وفيمـا يحدث على بعد مئات الأميال » .

كانت هناك فترات طويلة لم يستطع عقله فيها استحضار صـور العالم الخـارجي واستسلم إلى ضعفـه وضجـر الأسـر . « تخيـل نفسك مشلولاً من الـرقبـة نـزولاً إلى أنحـاء الجسم ، وواعياً لكنك لا تستـطيع القيـام بأي شيء . هـا انك ممـدد لا تستطيع إلّا تحـريك عينيـك والتفكير أربعـاً وعشرين سـاعة في اليوم ، يوماً اثر آخر . يجب ان يكون ايمانك بـالرب قـوياً كي تستطيع ان تعيش تلك الفترة » .

وكانت أروع لحظات الفرح عندما رأى القمر . لقد أخذ

إلى خارج الغرفة في ثلاث مناسبات وهو معصوب العينين . وفي أحد الأيام سمح له الحراس بالصعود إلى السطح في منتصف الليل ، قال جاكوبسون : « أنا لا أستطيع وصف ذلك بالكلمات ، ان أرى القمر والنجوم . كانت لحظة هزت مشاعري . لحظة لن أنساها . في ذلك الوقت كان قد مضى عليه خمسة عشر شهراً لم ير فيها ما هو خارج الأبواب ولا أي شيء أبعد من أربعة أمتار » . وقبل ان يعاد إلى الغرفة شاهد شهاباً مضيئاً أطلقته الميليشيات المسيحية لتنير مراكز المسلمين . كانت الحرب الأهلية ما تزال تستعر حوله ومع ذلك ما كان مألوفاً لديه أصبح الآن غريباً مثل رسالة تلفزيونية عن أحد النزاعات العالمية البعيدة . لكن وبينما كان يفكر في ذلك أدرك ان احتجازه غير مهم بالنسبة للمأساة التي يعاني منها الشعب اللبناني . كان ذلك تفكيراً محبطاً .

وفي أيلول/ سبتمبر ١٩٨٦ وبعد مرور خمسة أسابيع على الخطأ الذي ارتكبه في تسجيل شريط الفيديو الذي أرسل مع الأب جنكو ، طلب منه ان يكتب رسالة إلى الرئيس ريغان . وكان الحراس قد راقبوا باهتمام مفاوضات الرئيس حول اطلاق سراح نيقولا دانيلوف وهو صحافي محتجز في موسكو . وعلى الرغم من الاعلان ان الولايات المتحدة لن ترضخ للابتزاز السوفياتي فقد تم تبادل دانيلوف مع دبلوماسي سوفياتي محتجز في نيويورك . . فرأى الحراس في ذلك فرصة لاحياء مسألة الرهائن في الولايات المتحدة ولذلك طلبوا من

جاكوبسون ان يكتب رسالة إلى الرئيس ريغان يطلب فيها معرفة السبب الذي من أجله تتجاهل الإدارة الأميركية نداءاته بينما ترغب في مساعدة الصحافي . وبعد ساعة من انتهاء كتابة الرسالة عاد الحراس ، فقال أحدهم : انها ليست جيدة . نحن لا نثق بك . سنعيد كتابتها .

سوف تكتبها تماماً كما نقول لك . وسوف تهجئها تماماً كما نقول لك .

وسوف تضع النقاط والفواصل أيضاً كما نقول لك .

كتب جاكوبسون ما أملي عليه . وقالت الرسالة إلى الرئيس ريغان : « الا نستحق الإنتباه والرعاية نفسها التي أعطيتها لدانيلوف ؟ » تفحص الحراس الرسالة كلمة اثر أخرى وجملة اثر أخرى ، وحذرهم جاكوبسون من ان العالم الخارجي لن يصدق انها من تأليفه فقد كانت هناك أخطاء عديدة .

« بالتأكيد أخطاء كافية ، فعندما طبعت ، ظهرت أخطاء في القواعد وقد اتهمني الخاطفون بتضليلهم » .

لقد كان من الصعب علي ان أشرح . إذ بقي الحارس الذي أملاها علي صامتاً مما سمح للبقية ان يعتقدوا انني حاولت مرة أخرى تضليلهم . ولم يساعده المراسل الأميركي الذي أبدى اعتقاده في ان الرسالة تحتوي على رموز « علم الخاطفون بهذا وكانوا مقتنعين تماماً انني أرسلت رسالة مرمزة

وانني عضو في وكالة المخابرات المركـزية » نقـل الرهينـة إلى غـرفة أخـرى وضرب بسـوط مطاطي فصـرخ من الألم مناشـداً إيـاهم الكف عن ذلك وأقنعهم أخيـراً بأن يتـوقفـوا لكنهم ظلوا مشككين فيه . فوضعوه في غرفة صغيرة تبلغ مسـاحتها حـوالي ستة أقدام مربعة وتركوه منعزلاً . كانت الغرفة مظلمة تماماً عدا خيط من الضـوء كان ينسـاب من بين الصفائـح المعدنيـة التي وضعت على النافذة .

وهكذا انعزل جاكوبسون عن بقية الـرهائن . ومـا سمعه من الأنباء كان محبطاً .

وفي أيلول/ سبتمبر خطف أميركي أخر هو فرانك ريد . كان مدير المدرسـة اللبنانيـة الدوليـة . وبعد ثـلاثة أيـام أسمع جاكوبسـون تقريـراً باللغـة العربيـة من إحدى الإذاعـات يذكـر جوزيف سيسيبيو وهو مراقب حسابات الجامعة الأميركية وأحـد أصدقائه . ولانه لم يفهم العربية جيـداً اعتقد انـه قتل . وأدرك فيما بعد ان سيسيبيـو كان في عـداد الرهـائن . في خلال أيـام استكمـل الخاطفـون مخـزونهم من الـرهـائن وبـدأوا بـاعـداد الصفقات والمفاوضات .

كان الخاطفون غاضبين من جـاكوبسـون لاعتقادهم انـه مخادع . لقد نفـد صبرهم من عـدم تحقيق تقدم في مـطالبهم المتعلقـة بالسجنـاء في الكويت . وعلمت وكـالة المخـابـرات المركزية في ذلك الوقت ان عماد مغنية وهو الرجل الذي يعتقد انه مسؤول عن خطف الغربيين ، يهدد بقتـل الرهـائن . فكتب

شارلز آلن الذي كان يترأس « قوة عمل لتحديد مكان الرهائن » في الوكالة : « يجب ان لا نستخف بأي تهديد من مغنية . انه متطرف عنيف يمكنه ان يقتل الرهائن بتهور » .

وفي واشنطن وقع أوليفر نورث تحت ضغط الشائعات الواردة من بيروت وكذلك تحت ضغط عائلات الرهائن الذين طلبوا مقابلته حول مسألة دانيلوف . إذ سألوا لماذا لا تعير الإدارة الرهائن الإهتمام نفسه ؟ لقد كانوا مقتنعين ان هناك صفقة قد عقدت . فكتب نورث : « إتهمنا البعض ، مثل ابن جاكوبسون ، باننا لم نهتم بالمحتجزين في لبنان واننا لا نرغب في الضغط على الكويتيين لان المسألة ظهرت أمام الرأي العام اننا رغبنا في عقد صفقة لدانيلوف لانه كان أكثر أهمية لدى الرئيس » .

كم هو مثير للسخرية اتهام أوليفر نورث بانه لا يميل إلى عقد صفقات حول الرهائن ؟ لم يستطع إلاّ ان يصمت أمام شكاوى عائلات الرهائن . ومع ذلك فقد لاحظ الآخرون ان الرغبة في عقد صفقة في موضوع دانيلوف أعطت روحاً للخاطفين في بيروت . لقد كانت الإدارة ضحية تناقضاتها . كانت متذبذبة في التجاوب مع الإبتزاز ولم تكن لها سياسة متجانسة . وبدا ان الغموض يتجاوز نورث وان مناشدات عائلات الرهائن تقض مضجعه لكنه لم يستطع ان يعلمهم ان صفقة أخرى تأخذ طريقها .

كان نورث وزميلاه ديك سيكورد وجورج كايف

متحمسين للقناة الثانية التي فتحوها مع إيران . ولأول مرة اعتقدوا ان باستطاعتهم ان يتفاوضوا مباشرة مع القيادة الإيرانية دون المرور بغوربانيفار . وكان رجل الإتصال هو علي هاشمي بهرماني وهو ابن شقيقة رئيس البرلمان الإيراني هاشمي رفسنجاني . وأطلقت عليه مجموعة البيت الأبيض لقب « القريب » .

في ١٩ أيلول/ سبتمبر دعي « القريب » إلى زيارة واشنطن لمدة يومين . فعقد أول لقاء في مكتب نورث في بناية المكتب التنفيذي القديمة . وإنه من الصعب ان نقول ما فعل الإيرانيون بالخرائط المنسقة والصور الجوية لوادي البقاع ولنيكاراغوا . بعد ذلك اصطحبه نورث في زيارة إلى البيت الأبيض . واستناداً إلى أحد زملاء نورث « غطت الرحلة » كل الزوايا بما فيها المكتب البيضاوي . وقبل ان يغادرا البناية توقف نورث أمام صورة للرئيس تيودور روزوفلت . فقال للشاب الإيراني كيف لعب روزوفلت دور الحكم وأنهى النزاع الروسي الياباني بعد حرب ١٩٠٤ - ١٩٠٥ ثم أعلن ان الولايات المتحدة ترغب الآن بالتحكيم في النزاع الإيراني العراقي . وفيما بعد تراجعت الإهتمامات فاستناداً إلى سيكورد علمت وكالة المخابرات المركزية ان إحدى وكالات « المرافقة » بحثت عن امرأة شابة كي تذهب إلى الفندق الذي يقيم فيه « القريب » وصحبه .

وبدا من الإجتماعات ان الأسلحة كانت على رأس

جدول أعمال « القريب » . لقد أحضر ما سماه الأميركيون « لائحة رغبة » . فلم يطلب القطع التبديلية التي وعد بها في الإتفاقات السابقة فقط بل طلب أسلحة هجومية مثل المدفعية . وكان ذلك طلباً صعباً بالنسبة للأميركيين لان المدفعية كانت سلاحاً حرجاً في حرب الخليج وإذا استخدمت بكمية كافية فانها تقضي على القوات الأرضية العراقية مما يمهد إلى هجوم على بغداد . وطلب الإيرانيون أيضاً معلومات استخبارية عن المواقع العراقية و « مساعدة تقنية » في استخدام الصواريخ واقترح ان ترسل الولايات المتحدة خبيراً إلى طهران .

فوجيء نورث بهذه الإقتراحات لانه كان يعرف كم سيكون صعباً على الولايات المتحدة ان تتورط مباشرة في حرب الخليج إلى جانب أحد الأطراف لكنه لم يرفض تلك الطلبات فوراً . بل قال ان الرئيس سيجد من الصعب عليه ان يساعد إيران مع بقاء «أزمة الرهائن عالقة ثم قال : « سيكون من الصعب علينا ان نبرر ذلك لشعبنا » وكانت الرسالة التي يوجهها نورث تقول انه إذا أفرج عن الرهائن يصبح عندها كل شيء ممكناً تقريباً .

فأخبره « القريب » ان طهران لا تسيطر تماماً على المجموعات التي تحتجز رهائن في بيروت . وليس هناك من مسألة تهم هذه المجموعات أكثر من المعتقلين في الكويت . فذكّر نورث « القريب » ان الولايات المتحدة لا يمكنها ان

تتدخل في الكويت لكنه يتوقّع ان تحرر الحكومة الكويتية السجناء على دفعات « إذا توجهت حكومة إيران مباشرة إلى الكويت ووعدتها بعدم القيام بأعمال إرهابية » وشجّع « القريب » على التقرب من الكويت لكن ليس هناك أي دليل على ان نورث كان يستند على أساس لهذا التأكيد : فلم يكن على اتصال مع الكويتيين وأثبتت الأحداث اللاحقة انهم لم يتحركوا رداً على التملق الإيراني لهم . وكان ذلك دليلاً على تفكير نورث الخلاق » خلال المفاوضات .

وبعد المحادثات عاد الجانبان ، كل لمراجعة مسؤوليه . فطلب نورث من بويندكستر ان يسمح له بحضور لقاء آخر في أوروبا . وفكر بطريقة تلبي طلب « القريب » في مجال الإستخبارات دون ان يفيد ذلك إيران في حربها مع العراق . فاقترح تأمين « مزيجٍ من المعلومات الحقيقية والمغلوطة » . فوافق بويندكستر على عقد الإجتماع الآخر .

وفي ٦ تشرين الأول/ أوكتوبر اجتمع الفريقان مرة أخرى في فرانكفورت فانضم الجنرال سيكورد إلى نورث وكذلك البرت حكيم وهو مبعد إيراني وشريك سيكورد في التجارة ، وجورج كايف وهو عضو سابق في وكالة المخابرات المركزية وخبير في الشؤون الإيرانية . وكان يرافق « القريب » مسؤول من استخبارات الحرس الثوري والذي سماه سيكورد « الوحش » لتعابيره الفظة . كان في السجن أيام حكم الشاه وهو مسلم ملتزم . وهو موجود هناك ليحمي مصالح الثورة .

وقبل ان تبدأ المباحثات حصل تبادل هدايا وكأن هذا الإجتماع الذي عقد في غرفة نوم في فندق ، هو بين رئيسي دولتين . قدم نورث « للقريب » نسخة من الكتاب المقدس موقعة من الرئيس ريغان مسبوقة بمقطع من رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية : « والكتاب إذ سبق فرأى ان الله بالايمان يبرر الأمم سبق فبشر إبراهيم ان فيك تبارك جميع الأمم » وعندما انتهى من تقديمه اختلق نورث قصة قائلاً للمسؤول الإيراني :

« هناك جدل كبير في أوساط حكومتنا حول ما إذا كان على الرئيس ريغان ان يسمح لي بان أقول لك اننا نتقبل الثورة الإسلامية كواقع . . . . فقد أمضى الرئيس عطلة نهاية الأسبوع وصلى لربه ليحصل على الجواب ، ثم عاد منذ سنة بهذا المقطع الذي قرأته لك وكتبه على الصفحة الأولى من الكتاب المقدس . قائلاً لي : « هذا وعد أعطاه الله لإبراهيم . ومن أنا لأقول اننا يجب ان لا نقوم بهذا ! » .

كانت القصة مختلقة تماماً لكن نورث أراد ان يوحي ان جميع مداخلاته تحظى بدعم من الرئيس . مع ان رونالد ريغان لم يكن يعلم بهذه المفاوضات غير العادية .

فرد « القريب » بتقديم نسخة من القرآن الكريم والذي قال انه هدية من رفسنجاني إلى الرئيس . وقال الشاب : « اننا جميعاً أهل كتاب » وكان ينظر إلى الرئيس ريغان على انه « رجل الله الحقيقي » .

وتـوقف المزاح وبـدأت المساومـات . فـأصبـح مـوقف الإيرانيين قوياً وبدأ نورث على الفور يعـرض التنازلات . فقـد طلب الوحش من نورث « ان يظهر له الطريق » للحصـول على ثقـة الخاطفين في بيـروت . فأجـاب نورث بشكـل دراماتيكي « دعني أعطِكَ ذخيرة لمدافعك » . وقـال للإيـرانيين إذا قررت الكـويت اطلاق سـراح المعتقلين السبعة عشـر فان الـولايـات المتحـدة لن تعترض على ذلـك . وقد نقـل هـذا العـرض إلى الكـويتيين . والأكثر من ذلـك فان الإدارة ستسـاعد في تحـرير السجناء . وتابع نورث مداخلاته متجاوزاً أي تصـريح قيـل من قبل ، مما يتعارض مع السياسة الخارجية الأميركية .

وقدم أيضاً تنازلات في مجال بيـع الأسلحة الهجـومية . وكان « القيد الوحيد » هو ان لا تتضمن المبيعات أسلحة تسمح للحرس الثوري « بـالاستيلاء » على بغـداد . فقد كـانت هناك عمليـات إيرانيـة عديـدة تستفيـد من الأسلحـة الأميـركيـة غيـر الإستيلاء على بغداد .

وطـرح الإيرانيـون مسألـة ، كانـوا قد ألمحـوا إليهـا في واشنطن . فقد أرادوا دعم الأميركيين للاطاحة بالرئيس العراقي صدام حسين . وكان نـورث في حالـة مجاملة إذ قـال : « لقد بدا واضحاً للجميـع ان سبب المشكلة هو صـدام حسين » كما أراد ان ينقـل وجهة نـظر الرئيس ريغـان في الزعيم العـراقي : صدام حسين بأنه « عبارة عن غـائط » . وكان حكيم الـذي قام بدور المترجم نافراً من استخدام هذه اللفظة البذيئـة وخاف ان

تؤدي إلى إساءة . فحثه نورث : « هيا قلها هذه كلمة الرئيس وليست كلمتي » . أقر نورث فيما بعد ان القصة كانت من أكاذيبه .

وكانت الأسلحة في قلب الصفقة . فسوف تبيع الولايات المتحدة خمسمائة صاروخ تو في الحال وألفاً وخمسمائة فيما بعد . وبالمقابل توقع نورث ان يطلق سراح رهينتين على الأقل . وكان يشعر ان هذه هي صفقته الأخيرة فقد كان خصومه يضيقون عليه في واشنطن . وقد أسهمت صور الرهائن المتحررين وهم يجتمعون مع عائلاتهم في انقاذه من الورطة .

تخلى الإيرانيون عن التفكير بهذا الإقتراح وعادوا بسلسلة اقتراحات قاسية . فسوف يطلق سراح رهينة واحد فقط بعد أول عملية تسليم للأسلحة وسوف يعدون « فقط وعداً » باطلاق سراح رهينتين إذا تحقق تقدم في موضوع المعتقلين في الكويت . فغضب نورث . وقال ان الإختلاف كبير بحيث انه قدر للولايات المتحدة وإيران « ان تمر الواحدة منهما بجانب الأخرى مثل السفن في الليل » .

وقبل انتهاء الإجتماع كان على نورث ان يعود إلى واشنطن . وكانت هناك ازمة في عملياته في أميركا الوسطى فقد أسقطت طائرة شحن تحمل امدادات عسكرية للكونترا فوق نيكاراغوا قتل ثلاثة من طاقم الطائرة وأسر الرابع وهو يوجين هازنفس ، أميركي من ولاية ويسكونسين . وكان

الجنرال سيكورد هـو من أرسل هـذه الطائـرة وكانت الصحـافة الأميركية تطالب بان تعرف مموّلها . وكان هناك تصور ان هـذه العملية مرتبطة بمسؤولين رفيعي المستوى في البيت الأبيض .

وقبل ان يغادر نورث من أجل اطفاء نار أميـركا الـوسطى كلف حكيم بمتابعة المفاوضات . فلاحظ فيما بعد أحد أعضاء الكونغرس المتشككين ان مبعـداً إيرانيـاً قد أتيـح له ان « يقـوم بدور وزير خـارجية الـولايات المتحـدة ليوم واحـد » . توصـل حكيم بسرعة إلى اتفاق مع الإيـرانيين . وأزيلت الحواجـز فقد أعـدوا جدول أعمـال من تسع نقـاط عرف فيمـا بعد « بـاتفـاق حكيم » . وكـان حكيم مستعداً للتنـازل أكثر من نـورث . فقد وعـد بـاعـداد خـطة لاطـلاق سـراح المعتقلين في الكـويت . وقالت لجنة « تاور » فيما بعد ان نورث وشركاءه « تعهدوا نيابـة عن الولايات المتحدة ، ودون تكليف رسمي ، بموقف يناقض سياسة الولايات المتحدة حول المعتقلين في الكويت » .

اعتقـد نورث ان الإتفـاقية هي نـوع من المسـاومـة وانـه سيـطلق سراح رهينتين . وأقنـع بوينـدكستر ان يـوافق عليها . وحصـل لقـاءان آخـران مـع الإيـرانيين في أوروبـا . ففي ٢٩ تشرين الأول/ أوكتوبر عقد اجتماع في ماينز من أجل المراجعة اللوجستية لأول عملية تسليم لصـواريخ تـو وتحريـر الرهينـة . لكن الإيرانيين جاءوا بأنباء مشؤومة . فقد أقـدم أحد الأجنحـة الإيـرانية المعـارض للحوار مـع الأميركيين على طبـع وتوزيـع خمسة ملايين منشـور تتحدث عن زيـارة مكفرلين ونـورث إلى

طهران في أيار/ مايو . والأسوأ من ذلك ان جماعة في لبنان قد علمت بالأمر ودفعه الخوف من نقمة قريبة عليه إلى زيادة جهوده . قال للقريب انه « بدأ فعلاً » بالعمل على خطة تحرير المعتقلين في الكويت . وصرح بانه اجتمع مع وزير الخارجية الكويتي سراً خلال الوقت الذي كان يعالج فيه موضوع نيكاراغوا المتفجر .

وأدرك نورث ان الصفقة كانت تتعرض لمشاكل كثيرة . فذكر في مفكرته لائحة كان يعتقد انها ستقنع الإيرانيين أخيراً بحل مسألة الرهائن . من ضمن هذه اللائحة كاميرات للاستطلاع لطائرات ف ـ ٤ وقطع تبديلية لصواريخ فينكس وألف وخمسمائة صاروخ تو آخر ، وعرض بان يتولى تقنيون المساعدة على تركيب صواريخ فينكس بعد اطلاق الرهينتين . وبدا ان نورث لم يدرك تأثير هذه التنازلات على الميزان العسكري للحرب العراقية الإيرانية . فقد كان يبحث عن الصفقة التي تعيد جميع الرهائن إلى وطنهم . وذكر ان « هاشمي رفسنجاني كان مهتماً باستخدام هذه القطع/ الكاميرات كوسيلة لانهاء أزمة الرهائن » ومع انه كان يعلم ان هناك صعوبات فقد كان مقتنعاً بانه سيطلق سراح بعض الرهائن خلال أيام قليلة ، وأثناء وجوده في المانيا الغربية بدأ نورث القيام بالترتيبات اللازمة لاستقبالهم فطار إلى لبنان مع ديك سيكورد ليعلم السفارة الأميركية بان تنتظر تطورات . واتصل بتيري وايت في لندن طالباً منه ان يوافيه إلى قبرص . وذكر في

مفكـرته بتـاريخ ١ تشـرين الثاني / نـوفمبـر « وايت يصـل إلى بيـروت » وإذ سرت شـائعات قـوية في بيـروت حول نشـاطات نورث فقد أضحت السرية مهمة أكثر من أي وقت آخر .

التقى الثلاثة في لارناكا واستقلوا طائرة هلكوبتر أميـركية إلى بيروت الشرقيـة ، وهبطوا في منـطقة آمنـة على تلة مقابـل مبنى السفارة الأميركية . وهناك التقاهم السفير الأميـركي جون كيلي الـذي أعلمتـه غـرفـة الأوضـاع في البيت الأبيض عن وصولهم . . إلاّ ان وزارة الخارجية لم تعلم بالأمر ، فأدى ذلك إلى تأنيب رسمي علني للسفير .

كـان تيـري وايت وأوليفـر نـورث مـرتـاحين لبعضهمـا فاشتكى وايت بطريقة مرحة عن المهلة القليلة التي أعطيت لـه كي يغادر لندن . بينما كان نورث وبصورة شخصية متشككاً من نجـاح العملية . إذ كـانت نتيجتها النـاجحة مهمـة بالنسبـة لـه وللإدارة ، لذا كان يبدو عصبيـاً تجاه أي شيء من التفـاصيل . واعتبر السفير ان نورث « غير نـظامي ، مفرط في نشـاطه » ولم يكن نـورث على علم بمكان اطـلاق سراح الـرهائن ، لـذلـك طلب من سيكـورد ان يجمع قـوة صغيـرة من حـراس السفـارة تكـون مستعـدة للعبـور إلى بيـروت الغـربيـة الإسـلاميـة لاحضارهم . فلقد كـان قلقاً من ان تقـدم جماعـة أخرى على احتجاز غربي تائه قبل ان يتوصلوا إليه . كان قلقاً مما إذا كانت « الجهـاد الإسـلامي » تعلم انـه من المفتـرض اطـلاق سـراح بعض الرهائن في نهـاية الأسبـوع . لذا فكـر باستخـدام تيري

وايت لتذكيرهم بـالأمر كمـا اقترح ايفـاد المبعوث الانغليكـاني إلى بيـروت الغـربيـة ليجـول في شـوارعهـا . لكن الخـاطفين سيعلمـون سريعـاً بقدومـه . لذا يتـوجب عليه عـدم المكـوث طـويلاً . وبعـد ان يزور بعض المنـاطق المجاورة يمكنـه عقد مؤتمـر صحافي قصيـر يعلن فيـه عن عـودتـه . وعنـدهـا تنقـل محطات الإذاعة المحلية الأنباء ويتلقى الخاطفون الرسالة .

كـان وايت متـردداً كثيـراً في ذلـك ورأى ان التنقــل في بيروت الغربيـة خطر جـداً . فعرض عليـه نورث حمـاية بعض المرتزقة المسلحين الذين يحرسون مبنى السفارة الأميركية لكن هذا الرأي استبعـد . فقال وايت ان الميليشيـات الإسلاميـة لن تفهم ذلك . فسوف يحصل اشتباك يؤدي إلى احتجازه رهينة . وبعد بحث طويل اتفق الجميع على انه من الأسهل على وايت ان يتصل بالصحافة ويخبرهم بعودته .

وفي مكتب السفيـر أعـد نــورث ووايت الكـلام الــذي سيقوله الأخير وعندها اتصل وايت بمكتب الاسوشياتدبرس في بيـروت مصرحـاً : « أنـا عـدت ، الأمـور تتحـرك . عليكم ان تفتحـوا أعينكم . فقط ان تفتحوا أعينكم » . وخـلال ساعـات سافر العديد من المراسلين والمصورين إلى قبـرص وهي أقرب نقطة إلى لبنان ـ لان بيروت الغربية كانت تعتبر خطيرة جداً ولا يمكن الذهاب إليها . لكن نورث أسف فيما بعد على مكـالمة الصحـافة لان المـراسلين الأميركيين الـذين تجمعوا في مـطار لارناكا رصـدوه وهو يتنقـل بين قبرص ولبنـان وبدأوا يتسـاءلون

عمن يقف وراء اطلاق سراح الرهائن وبعد ان أجرى المقابلة قال نورث ان وايت يجب ان يبقى في قبرص . فهناك احتمال دائم ان ينقل الرهائن إلى دمشق وعندها يكون من الأسهل الإنتقال جواً من قبرص إلى العاصمة السورية . فيعطي نورث تعليمات إلى رجاله في الجزيرة لأن يهتموا به فيبقوه بعيداً عن الأضواء .

وقرر السفير ان يخفض حجم البعثة الدبلوماسية ليفسح مجالاً للرهائن ولهذا سافر أربعة وعشرون موظفاً من السفارة إلى قبرص . وأدى ذلك إلى ان يذكر المراسلون الصحافيون ان الولايات المتحدة تخفض وجودها الدبلوماسي في لبنان كبادرة حسن نية « للجهاد الإسلامي » . وأعلن ناطق باسم السفارة فوراً « سيعود الدبلوماسيون . نحن لا نقفل السفارة » وعاد نورث إلى ألمانيا ـ ليكون قادراً على محادثة الإيرانيين إذا حدثت عراقيل الدقيقة الأخيرة . أما ديك سيكورد فقد ذهب إلى لندن ، وتولى المواضيع اللوجستية في هذه العملية بوب دوتون وهو أحد شركاء ديك سيكورد وكان الرجل الذي تولى المسؤولية عن عمليات امداد الكونترا بالمؤن والذخائر .

كان دوتون موجوداً في ايطاليا ومعه رافايل كوينترو المعروف بـ « تشي تشي » وهو أميركي من أصل كوبي قام بعدة عمليات سرية لصالح وكالة المخابرات المركزية . استقلوا طائرة من نوع لير إلى قبرص فتوقفت على جانب المطار . والتقاهم هناك رجال وكالة المخابرات المركزية

فـأخـذوهم إلى فنـدق غـولـدن بـاي في لارنـاكـا وهـو منتجـع مشهـور . وكـان دوتـون يحمـل معـه جهـاز ك ل ٤٣ لتمـويـه الإتصالات . كان قـادراً على ان يتحدث مـع نورث وسيكـورد وغـرفـة الأوضــاع في البيت الأبيض . كـانت وظيفتــه تنسيق المهمة على الأرض . وفي ذلك المسـاء اتصل بنـورث وأخبره انه جاهز في مكانه ومستعد لتلقي التعليمات .

قـال أحد مسؤولي وكـالة المخـابـرات المـركـزيـة على الجزيرة لدوتون ان عليه الذهاب صباح اليـوم التالي إلى فنـدق في العـاصمة نيقـوسيـا والسيـر خلف البنـايـة . وهنـاك يلتقيـه شخص ويأخذه إلى تيري وايت الذي كـان قد عـاد إلى قبرص قـادماً من لبنـان على متن طائـرة هلكوبتـر عسكريـة أميركيـة . وتذكر دوتون فيما بعد : « كانت مثل الروايات المنشورة . لقـد التقـاني شخص أميـركي تبين فيمـا بعـد انـه ممثـل لــوكـالــة المخابرات المـركزيـة . وأخذني إلى منـزل آمن حيث التقيت بتيري وايت » .

كان المبعوث الانغليكاني يرتدي لباس الرياضـة . وكان قد سهر كثيـراً مع بعض مـوظفي الوكـالة في الليلة المـاضية . فقـال وايت هنـاك مشكلة عمليـة . لقـد أضـاع حقيبتـه خـلال الـرحلة إلى قبرص وليس لـديه ثيـاب أخـرى . فـأرسـل أحـد عناصر وكالة المخابرات المركزية ليشتري بزة لرجل طولـه ستة أقدام وأربعة انشات .

أراد وايت ان يعلم من هـو دوتون ومـا هو دوره . فشـرح

دوتـون انه يتـولى الأمور اللوجستيـة وانـه يفهم ان وايت سـوف يتولى أمور الصحافة والدعاية عند الافراج عن الرهائن . وبحثا آخر المعلومات فوعد دوتون وايت بان يعلمه بتوقيت التحرك .

عندها عاد دوتون إلى لارناكا . وفي الفندق طلب منه ان يخلي الغـرفة ، وقيـل له : « لقـد وصلت الصحافـة العـالميـة بسبب تـطورات تجـري في لبنـان » . فـاحتـج دوتـون دون ان يتمكن من ان يشرح لهم انه عنصر محرك في العملية التي جاء الصحافيون من أجلها . وبعد مفـاوضات قصيـرة اتفق على ان يبقى في الغرفة ومع ذلك فقد نقل طاقم الطائـرة لير إلى فنـدق مجاور .

كان لدى ديفيد جاكـوبسون إحسـاس قوي بـانه سيـطلق سراحه . إذ قال : « لم يكن ذلك حلماً بل شعـوراً قويـاً ورائعاً باني سوف أخرج . . . كان من القوة بحيث اني عندما توجهت للنوم ليلة السبت ، كنت أعلم اني سوف أكون في منزلي خلال بضع ساعات » . عندها نام ، فسمع ضجة في غرفة الحـراس تبعها وقع اقدام . لقد دخـل رجل وقـال : « السيد ديفيـد نحن سعداء لانك ذاهب إلى منزلك » حافظ جاكوبسون على تفـاؤله في الأسر بان كان يتوقع ان يطلق سراحه يوم الأحد التالي .

وكلما كان ينقضي أسبوع كان يقول لزملائه الـرهائن انـه سيخرج يوم الأحد التالي . لقـد كان مـلائماً ان يـطلق سراحـه يوم أحد .

اقتيـد في سيـارة وهـو معصـوب العينين إلى شـاطىء

البحر . فقال له أحد الحراس : « عندما تخرج امشِ مباشرة إلى الجدار قرب البحر ثم توقف وأدر وجهك باتجاه الجدار لمدة ثلاث أو أربع دقائق ثم ازل العصبة عن عينيك ودر باتجاه اليسار عندها ترى أمامك مبنى السفارة الأميركية القديم » عد جاكوبسون الدقائق وكان كريماً في الوقت بحيث سمح لخاطفيه ان يذهبوا ثم تمشى دون ان ينظر إلى اليمين أو إلى اليسار . فجأة ربت أحدهم على كتفه وقال له : « لقد مشيت مسافة مئة يارد زيادة عن اللزوم . إذ كان أحد الخاطفين يراقبه . فقال جاكوبسون : « كان ذلك أول عمل أقوم به دون اهتمام وأنا إنسان حر » وتابع سيره فوجد بناية السفارة ما زالت تحوي بعض الموظفين . فاتصل المسؤولون وقد فوجئوا ، بالسفارة في بيروت الشرقية وقالوا ان لديهم رهينة قد أطلق سراحه .

وحالما تأكد اطلاق سراح أحد الرهائن توجه تيري وايت إلى لارناكا في سيارة مرسيدس سوداء . مصطحباً معه بوب دوتون من الفندق . فجلس وايت على المقعد الخلفي من السيارة ليتجنب الصحافيين الذين تجمعوا في المدينة . وتوجه الرجلان إلى الجانب الآمن من المطار حيث استقلا طائرة هلكوبتر عسكرية أميركية باتجاه لبنان .

وخلال الرحلة القصيرة فوق البحر المتوسط لم يجر أي نقاش حول الدافع الذي أدى إلى اطلاق سراح جاكوبسون . فقد كان دوتون يعلم بشحن الأسلحة إلى إيران لكنه لم يتكلم

مع تيري وايت في هذا الموضوع . وبحثا في امكانية ان يطلق سراح رهينتين . وكان دوتون يأمل في ان يكون لدى جاكوبسون معلومات حول الرهائن الآخرين . فبينما كان يتحدث مع وايت كشف ان المبعوث الانغليكاني أصيب بخيبة أمل لانه لم يكن مشاركاً بصورة مباشرة في العملية : « كنت أشعر انه يريد ان يلعب دوراً أكبر فيذهب ويجري مفاوضات مباشرة ليرى ما إذا كان يؤثر أكثر من أي شخص آخر » . ولكن وعلى متن الطائرة بدا وكأنه لم يعد هناك مجال للمفاوضات .

وعندما وصلا إلى بيروت الشرقية وضعا داخل سيارات تابعة للسفارة حيث يجلس حراس مسلحون إلى جانبهم ـ وكانت أكثر اجراءات الأمن صرامة حسب ما بدا لدوتون . حتى وصلا إلى السفارة ، ففي كل زاوية كان هناك حراس مسلحون ببنادق أوتوماتيكية وقاذفات صواريخ . وكان الوجود الأميركي في بيروت بمثابة المركز الأمامي للغرب .

رحب بهما السفير كيلي وقال لهما : ديفيد هنا . فتوجها إلى الداخل . وبعد لحظات قابلا ديفيد جاكوبسون الذي عانق تيري وايت دامع العينين وقال : « بارك الله فيك » لقد أعطيتنا الأمل . فتأثر جميع الحاضرين .

وكانت حرارة اللقاء بينهما قد جعلت بوب دوتون يفترض انهما التقيا في إحدى مهمات وايت السابقة . وفي الواقع لم يسمح لتيري وايت بان يزور الرهائن لكنه غدا بالنسبة لهم رمزاً للحرية حتى انهم شعروا بانهم يعرفونه . ورأى بوب دوتون ان

تحرير إنسان يستحق فعلاً هـذه الجهود ، فقـال بعد ان أصبـح الموضوع بكامله مثار جدل : إذا استطعت ان أقـوم بذلـك مرة أخرى لأشاهد ما شاهدت فإني سأفعل .

توجه جاكوبسون إلى غرفة مجاورة لحضور جلسة تحقيق استغـرقت أربع أو خمس سـاعات أجـراهـا مسؤول ، افتـرض دوتون انه من وكالة المخابرات المركزيـة . كان السفيـر وتيري وايت حـاضـرين وذهب التحقيق إلى جميـع التفـاصيـل التي رافقت اطـلاق سـراحـه وإلى أحـوال بقيـة الـرهـائن وحـالـة الخـاطفين وامكـانيـة اطـلاق سـراح آخـرين . ولم يـظهـر جـاكوبسـون أي تعب خلال التحقيق بـل إحساسـاً بالانتعـاش بحريته . وقـال أحد الحـاضرين : « لقـد كان متجـاوبـاً جـداً » تدفعه قوة كبيرة ليقوم بأي شيء يساعد الرهائن الآخرين . لكن اتضـح من خلال التحقيق معـه انـه من غيـر المحتمـل إطـلاق سراح رهائن آخرين .

لقد أحضر جـاكوبسـون رسالـة من الخاطفين . وكـانت ابتزازاً حافلاً بالتهديد والآمال المتأرجحة :

« نحن نعلن للرأي العـام العـالمي وللشعب الأميـركي وعائلات الرهائن اطلاق سراح الأميـركي ديفيد جـاكوبسـون ، نحن نحمل الحكومة الأميركية عواقب عـدم الإستفادة من هـذه الفرصة بالإستمرار بما بدأت بـه ومتابعـة العمل بـالاقتراحـات التي قد تؤدي في حال استمرارها ، إلى حل مسألـة الرهـائن . نحن نـذكر الحكـومة الأميـركية . . . بـاننا سنتبـع طريقـاً آخـر

مختلفاً في حال لم تكمل الولايات المتحدة هـذه الإقتراحـات من أجل الوصول إلى النتيجة المرجوة .

ونحن نعاهد الجميع اننا سنتابع الجهاد حتى اقامة حكم الله على الأرض والقضاء على الطغيـان وانتصار المحـرومين . وسوف تنتصر إرادة الله .

منظمة الجهاد الإسلامي تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨٦ .

يبدو من القراءة الأولى ان الخـاطفين وهم ما زالـوا على حذرهم ، لم يريدوا التخلص من الرهائن . بل كـانوا يـريدون الحصـول على الثمن الأغلى من كـل عمليـة اطـلاق سـراح . وسـوف يستمـر العـذاب الأميـركي . أضف إلى ذلـك أنـه في الأسـابيع التي سبقت اطـلاق سراح جـاكـوبسـون كـان قـد تم احتجـاز ثـلاثـة رهـائن زد على ذلـك ان الـرسـالـة كشفت ان الخـاطفين قد علمـوا بالمـداولات التي جرت في اجتمـاعـات أوروبا فيما يتعلق بالمعتقلين في الكويت . وقد باتـوا يتوقعـون ان الإقتراحات ، التي ليس لها أي أساس واقعي ، يعمل بها . وسوف ترتد وعود أوليفر نورث عليه .

وعندما علم أوليفر نورث ان رهينة واحداً قـد أطلق تأكـد لـه ان خطأ مـا قد حصـل . إذ كان قـد اقتنـع بعـد لقـائـه مـع « القـريب » انه سيـطلق سراح اثنين على الأقـل . فـأخـذ هـو وجورج كايف المسؤول السابق في وكالة المخابرات المركـزية الـذي اشتـرك في المفـاوضـات يجـولان في أوروبـا بحثـاً عن

الـوسيط الإيراني دون ان يعثـرا عليه . وكـان نورث وهـو سيـد الخداع ، يرغب ، وبصـورة عجيبة ، تحسين وضـع الإيرانيين وفيما بعد قال لبيغي ساي شقيقة تيري أندرسون الرهينة الآخـر الذي كان يتوقع اطلاق سراحه انه « بكى مثـل الطفـل » عندمـا علم ان ذلك لم يحدث .

وظن نورث انه إذا استطاع ان يحافظ على هدوء المسألة فانه ستبقى هناك فرصـة . ونوى ان يـطير إلى بيـروت في ذلك المســاء للاستمـاع إلى جاكـوبسون ولكنـه استخدم عـذر سـوء الأحوال الجوية للطيران متابعاً محاولة الإتصال « بالقريب » .

وأضاف دوتون تعليقاً على رسالة الخاطفين التي أرسلهـا إلى نورث وإلى غرفـة الأوضاع في البيت الأبيض : « لا يشعـر ديفيد ان هناك نية لاعطائنا المزيد في هذه الرحلة . وأظن انهم يـريدون التسليم التـالي للسلاح قبـل ان نحصل على الـرهينـة الآخر » . لقد كانت المذكرة مناسبة خاصة لبوب دوتـون الذي طلب من وايت وجاكوبسون توقيعهـا . ولا يمكننا ان نعـرف ما إذا كـان تيري وايت قـد قرأ كلمـات : « التسليم التـالي » ولم يفهم معناها .

ولأن نورث لن يصل في ذلك المساء فإن السفير دعـاهم لقضـاء الليل في منـزله . وتخيـل دوتون انهم سيتمشـون بضع مئـات من الأمتار خلف مبنى السفـارة . لكنـه شكـل قـافلة من السيارات مع مواكبة مسلحة في الخارج .

وصعد السفير وديفيد جاكوبسون في سيارة وتيري وايت وبوب دوتون في سيارة أخرى . وتعلق الحراس على النوافذ شاهرين أسلحتهم الأوتوماتيكية بينما كانت السيارات تجوب الطرقات . سارت القافلة بسرعة كبيرة لمدة خمس وأربعين دقيقة : كانت سيارات متطورة وفيها اتصال راديوي مع القافلة التي سبقتها .

كان دوتون يعتقد انه يعرف الحياة في ظل الحماية بعدما عمل في إيران لمدة سنتين ونصف في أيام الشاه . فهو يقول : « كنت أعتقد فعلاً اني أفهم تلك الحياة ولكن هذا كان درساً على مستوى الدكتوراه في المحافظة على الحياة » وعندما اقتربت آلية أخرى صرخ أحد الحراس وأرغم السائق على التوقف ووجه البندقية إلى زجاج السيارة الأمامي .

سأل دوتون بعصبية : « هل سبق وان أطلقت النار على أحد ؟ » .

وجاء الجواب : مات على الفور .

وصل الموكب إلى سفح تلة حيث كانت الحراسة شديدة . ووضعت على مدخل المنزل كتل من الأسمنت المسلح لمنع أي انتحاري من قيادة آليته باتجاه بيت السفير . كان المنزل جميلاً وهادئاً ، يقع بين خرائب العاصمة اللبنانية . لكن المظاهر كانت خداعة فقبل أسبوعين فقط أطلقت إحدى الميليشيات أكثر من عشرين صاروخاً على

المنزل وسقطت في محيطه وكان موضع افتخار انه تم ازالة آثار هذا الهجوم خلال أيام . .

تناول ديفيد جاكوبسون أول شراب له منذ ثمانية عشر شهراً . كان يشرب النبيذ عادة ولكنه في ذلك المساء شرب الويسكي . فتأثر الجميع بتصرفه الطبيعي . وقال دوتون « وجدت انه آمن جداً وخاضع جداً » لقد كان يتمتع بحس من المزاح ، فعندما عرض السفير عليه ان يريه غرفته قال جاكوبسون : « هل تقبل ان أنام على الأرض ؟ أظن اني سأكون أكثر راحةً » .

وقبل ان يتوجه الجميع للنوم شرح لهم السفير التدابير الروتينية حالما يبدأ القصف : يجب ان يبقى كل واحد في مكانه حتى يحضر هو ويقودهم إلى ملجأ تحت البناية .

وفي فجر اليوم التالي استقل أوليفر نورث طائرة هلكوبتر . وكان قد شوهد في الليلة الماضية يدخل المعقد الخلفي لسيارة مرسيدس خاصة بالسفارة . إذ حاول ان يخفي وجهه كالمجرم وهو يخرج من المحكمة مما أدى إلى زيادة فضول أجهزة الإعلام . وكان الصحافيون الأميركيون يعرفون انه متورط في أميركا الوسطى فبدأوا يتساءلون عمن يقف وراء اطلاق سراح الرهائن ومدى تأثير مهمة تيري وايت الإنسانية .

عانق نورث جاكوبسون الذي كادت عيناه تذرفان الدمع . إذ لم يعمل أحد بجد وكد ولم يعرض نفسه للخطر

أكثر منه من أجل اطلاق سراحهم . وعلى الرغم من جميع خيبات الأمل فها هو أحد المحتجزين يعود إلى منزله . وأسرّ إلى تيري وايت انه مع وجود أمل طفيف بتحرير رهينة آخر فوراً ، فانه يجب ان يبقى متفائلاً بشأن بقية الرهائن . وكان نورث يعتقد ان الأمر يتطلب التحدث إلى « القريب » من أجل انجاز الصفقة .

أما بالنسبة لوايت فلم يكن هناك مفاوضات يشترك فيها . لقد كان دوره اعلامياً ولهذا خاب أمله . قال دوتون : كان رجل المواجهة . إذا كان صعباً ولم يظهر عليه ذلك ، فقد كان كبيراً كالعالم . أعني انه رجل كبير . يتكلم مثل الكبير وهو مجرد رجل رائع يلعب دوره بشكل جيد . فبدا ذلك له أمراً طبيعياً » .

انتقل نورث ووايت ودوتون وجاكوبسون جواً إلى لارناكا في ذلك الصباح وحطت طائرتهم على جانب المطار . فبقي نورث ودوتون بعيدين عن الأنظار بينما تحدث وايت وجاكوبسون إلى الصحافة . قال جاكوبسون انه يشعر بالعظمة وانه يشعر بالإمتنان لتيري وايت : « هذا الرجل قام بعمل نقدره فعلاً . لقد أعطانا الأمل بان نحرر مزيداً من الرجال . نحن نحب هذا الرجل » . وقال وايت انه متفائل من ان الأميركيين الخمسة الباقين سوف يفرج عنهم قريباً . « انه وقت جيد وواعد . وسوف تستمر الجهود بالقوة نفسها التي كانت في الأيام القليلة الماضية » . لقد كان يأمل ان يسمع من لبنان ما

إذا كـان عليـه العــودة . وعلى بعـد ثمــانيـة آلاف ميــل وفي كاليفورنيا أصدر الناطق الرئـاسي الأميركي لاري سبيكس بيـاناً في فنـدق شيـراتـون ـ سـانت بــاربـاره ووزعــه على الجهـاز الصحـافي في البيت الأبيض يعبر فيـه عن شكر الـرئيس لتيري وايت .

وقــد رأى بعض المــراسلين الصحــافيين في الشــرق الأوسط والذين كانوا يعرفون وايت هذا الأخير مبتهجاً وفـرحاً . طلب من واحد منهم ان يوصل رسالتين إلى لندن . ثم عاد إلى بـاحة المـطار هو وجـاكوبسـون وصعدا متن طـائرة ليـر باتجـاه فيسبـادن في ألمانيـا الغربيـة . وانضم أوليفـر نـورث إليهمـا . ولــدى وصـولهم إلى المستشفى العسكــري الأميـركي كــان جـاكوبسـون مرهقـاً محمرّ العينين وكـان على وشك ان يـذرف الدموع عندما قال للصحافيين : « لا أستطيع ان أخبركم كم أنا سعيد اليوم . لكنه في الواقع شعور ممزوج بالكـآبة لان رفـاقي الآخرين ما زالوا في الجحيم وعلينا ان نخرجهم منه » .

ظهـر جاكـوبسون على شـرفـة المستشفى هـو وعـائلتـه ووراءهم معالم الزينـة فتعالت من مكبـرات الصوت أغنيـة كان ابنـه قد سجلهـا ليلفت الإنتباه إلى أسـره . ودعا جـاكـوبسـون المعــروف بشعــوره الــوطني العميق ، زمــلاءه الأميــركيين للمشاركة في انتخـابات الكـونغرس لانهـا « أفضل مكسب في العالم » .

وعندما صرخ الصحافيون عليه وأمـطروه بالأسئلة قـال :

« أعلم ان لدى كل واحد منكم سؤالاً ليطرحه » ثم أضاف وصوته يختلط بالدموع : « أنا أريد ان يكون هذا اليوم مناسبة فرح لي ولأولادي » .

وكانت المقالة التي نشرتها مجلة الشراع اللبنانية هي التي أثارت أسئلة الصحافيين . قالت ان روبرت مكفرلين قد زار طهران سراً وبحث مسألة الأسلحة . أما في واشنطن فقد نفت الإدارة الأميركية فوراً وجود أي صفقة . ولكن بعض الصحافيين كانوا متشككين خصوصاً بعدما شاهدوا أوليفر نورث في قبرص .

عندما عقد تيري وايت مؤتمراً صحافياً في ألمانيا ، تغيّر سلوكه بشكل لافت بعد أربع وعشرين من مغادرة قبرص . كان دائماً محبوباً من الصحافيين الذين رأوا فيه شخصاً يمكن الوصول إليه ، جاهزاً للتكلم حتى عندما لا يحدث أي شيء . وكان له العديد من الأصدقاء من بين صحافيي الشرق الأوسط . لكنه ما ان دخل الغرفة هذا المرة حتى لاحظ الجميع الفرق .

ففي حين كان في الماضي مرتاحاً ومرحاً يبدو الآن حذراً وقلقاً . كما انه بدا خلال المؤتمر مرتبكاً ومتردداً إذ كانت ثقته بنفسه قد اهتزت .

فقال : « بكل صراحة ، وعلى حد علمي ، فأنا أرى وضع الرهائن في لبنان خطيراً . لكن هناك عدد من الناس

يحـاولون الحصـول على مكاسب سيـاسية . وهنـاك عـدد من الناس يحاولون تخريب الجهود الشريفـة والمستقيمة . وهنـاك عدد من الناس يدخلون عنوة إلى هـذه القضية لأسبـاب مختلفة وهم أفضل من يعرف هذه الأسباب » .

وقال ان بعض الإدعاءات السابقة يجب ان لا تؤخذ على محمـل الجد . ولكن وفي تعليقـاته الجـديدة كـان هناك حس بـالتـردد . إذ قـال انـه من الممكن فعـلاً ان تكـون قـد جـرت مفـاوضات دون علمـه . وبعد هـذه الملاحـظات بدا انـه يعيد اكتشـاف ما كـان يؤمن بـه سـابقـاً . « في تلك اللحـظة هنـاك شخصان أمام ناظري تيري أندرسون وتوم سذرلاند وهنا تكمن فرصتنا » .

وقبل ان يغادر فيسبـادن ذهب وايت ليودع نـورث . فبدأ مسؤول البيت الأبيض غيـر منـزعـج من القصص التي تـدور : وقـال انها غيـر سعيدة وقـد تعقّد المـوقف ولكنه لم يلمـح إلى احتمال هبوب عـاصفة سيـاسية . ومـا تحداه وايت حـول هذه التقارير . كان نورث يأمل بان يسمع أنباء جيدة حـول الرهـائن لكنـه كان بحـاجة إلى مـزيد من الـوقت . فطلب من وايت ان يؤمن لـه بعض الوقت وذلـك بان يتحـدث علناً عن « مصـاعب جـديـدة » . فكتب نـورث في مفكـرة شهـر تشـرين الثـاني/ نوفمبر : « رسالة إلى وايت/ تأخرنا/ عقبات جديدة هـل تغيب عن النظر لأيام قليلة ؟ » وقد وعد نورث وايت انه سيكـون على إتصال به إذا جدَّ شيء وأنهى كلامه قائـلاً : « بارك الله فيـك يا

تيري وشكراً لك » ولم يلتق الرجلان بعد ذلك .

وفي واشنطن أكدت التقارير انه تم تبادل السلاح بالرهائن . فأعد رئيس البرلمان الإيراني علي أكبر هاشمي رفسنجاني قصته وقال : ان خمسة مسؤولين أميركيين رسميين قد وصلوا جواً إلى إيران وحسب قوله انهم كانوا يحملون هدايا من بينها كعكة حلوى على شكل مفتاح ونسخة من الكتاب المقدس عليها تقديم من الرئيس ريغان ومسدسات من نوع كولت للمسؤولين الإيرانيين وحمولة طائرة من الأسلحة الأميركية . وقال رفسنجاني : « نحن لم نرم الطعم وانما قلنا لهم اننا لا نقبل هذه الهدايا وليس لدينا شيء لنتحدث معهم » .

وفي ١٣ تشرين الثاني / نوفمبر ألقى الرئيس ريغان خطاباً أمام الشعب الأميركي ، قال فيه ان « المبادرة الدبلوماسية السرية » تجاه إيران تضمن كميات قليلة من الأسلحة الدفاعية وبعض القطع التبديلية التي تبلغ حجم حمولة طائرة . وأصرّ الرئيس : « اننا لن ، مشدداً على كلمة لن نبادل الأسلحة ولا أي شيء آخر بالرهائن ولا ننوي ذلك » . على أي حال فكل كلمة في الخطاب زادت الأمر ارتباكاً . وبدت الإدارة غير قادرة على معالجة الأزمة . حتى ان الرئيس السابق نيكسون الذي أرغم على الإستقالة بسبب فضيحة ووترغيت طلب منه تقديم النصح في هذه العملية . وبدأ نورث وزملاؤه في مجلس الأمن القومي باعداد روايتهم

للاحداث . وخلال فترة خمسة عشر يوماً توصلوا إلى عشر روايات مختلفة .

أضاف أحد الرهائن المحررين وهو بنجامين وير ازعاجاً إلى الإدارة عندما قال انه « غاضب ومشمئز » من هذه التقارير . فقد كانت كنيسته تعارض سباق التسلح في الشرق الأوسط وكتب إليه الرئيس ريغان بسرعة قائلاً :

« لقد أصبت بالحزن الشديد عندما علمت من التقارير الصحافية انك تقبلت ما ظهر في وسائل الإعلام عن ادعاء تبادل الأسلحة بالرهائن . دعني أؤكد لك اننا لم ندفع أية فدية لاطلاق سراحك . ان سياسة الحكومة الثابتة هي عدم تقديم تنازلات لمطالب الإرهابيين . وإذا قمنا بعكس ذلك نكون قد شجعنا على تعرض مزيد من الأميركيين للخطر . ان جميع الجهود التي قامت بها الحكومة من أجل الافراج عنك وعن بقية الرهائن الأميركيين والأجانب في لبنان هي متوافقة تماماً مع تلك السياسة » .

وكان أوليفر نورث يتطلع أيضاً إلى الرهائن لانقاذ نفسه . فخلال الأسبوع الذي تلا ظهور الخبر في المجلة اللبنانية كثف جهوده من أجل اطلاق المزيد من الرهائن . وفي ٨ تشرين الثاني / نوفمبر اجتمع هو وجورج كايف وسيكورد مع « الوحش » في جنيف . وكان كل من الجانبين يتطلع إلى الآخر من أجل انقاذه من الإرباكات السياسية . إذ

كان « الوحش » قلقاً من ان يتم الإعلان عن الـدور الذي لعبـه قريب رفسنجاني . فأكد له نورث ان ذلك سيبقى سريـاً . وقال بدوره ان تفاصيل صفقة الأسلحة تضر بإدارة ريغان وان الجهود لتحسين العلاقات الأميركية الإيرانية في خطر . وان ما يقيها هو اطلاق سراح المزيد من الـرهائن . وقـال نورث : « للوحش » انه إذا أرادت إيران امدادات سلاح من الـولايات المتحـدة في المستقبل فعليها ان تسلم الرهائن الآن لتساعد الإدارة .

ومن سخرية الأقدار ان نورث كان يناشد إيران المساعدة لانقـاذ الإدارة التي كانت تصفهـا « بالـدولة الإرهـابية » . وإذا أراد فـان آية الله الخميني سـوف يدلي ببضـع كلمات ويسـاعد الرئيس ريغان عدوه الأساسي . فبقي نورث صامتاً :

فقـال الوحش ان المشكلة تبقى في قضيـة المعتقلين في الكـويت . فلقـد تعب الخـاطفـون من الكلمـات والـوعـود الباطلة . وإذا أفرج الكويتيون عن المعتقلين عندها يضمن لهم اطـلاق سراح الـرهائن ، فغضب نـورث ، إذ انه بعـد سنة من الإتفاقات والمباحثات مـا زالوا متمسكين بقضيـة المعتقلين في الكـويت . فقال نـورث انـه تحـدث مـع الكـويتيين سـراً وانـه سيحاول ذلك مرة أخرى . وقد كان نورث في هذا صادقاً .

فبـدأ يعـد خـطة لـزيـارة شخصيـة إلى الكـويت لاقنـاع الكويتيين بإبداء بعض المرونة . فقال لـه « الوحش » ان إيـران لا تستـطيع اعـطاء أوامر للخـاطفين لاطلاق سـراح الرهـائن . فصـدقهُ الأميـركيون هـذه المرة . وكـان الخاطفـون متمسكين

بمطلبهم الأساسي . فحاول نورث اقناعهم بكل وسائله بانهم إذا أطلقوا سراح الرهائن فانه سيلي ذلك الافراج عن المعتقلين في الكويت . فلم يقتنع الخاطفون بل ازداد عنادهم . وكان الرهائن ورقتهم الوحيدة التي لن يتخلوا عنها بسهولة . وكل ما كان نورث يستطيع قوله هو انه سيعمل من أجل ذلك .

أعطى الجنرال سيكورد « الوحش » آلة ك ل ٤٣ وهي جهاز لامان الاتصالات بحيث يبقون على اتصال دائم . فوضع الوحش هذه الآلة في مقر قيادة الحرس الثوري . وفي الأسابيع اللاحقة حاول الإيرانيون وجورج كايف اجراء صفقة جديدة . وكانت تلك الآلة اشارة إلى مدى اليأس والاحباط اللذين أصابا أوليفر نورث وشركاءه بحيث انهم أعطوا آلة سرية للغاية إلى الحرس الثوري وهم الوحدات الخاصة للثورة الإسلامية لقد كان نورث يبحث عن معجزة ، عن أي شيء يبرر جهوده غير العادية التي كرّسها في العام الماضي .

يقول ستيفن أمرسون في كتابه « المحاربون السريون » ان نورث حاول ان يحيي فكرة عملية الانقاذ العسكرية . ويبدو ان قيادة العمليات الخاصة المشتركة بدأت تحضر لعملية تحرير الرهائن . لكن الوقت لم يكن إلى جانب نورث إذ تعالى الصراخ في الكونغرس وفي الصحافة فلن يستطيع الفرار منهم .

تزايد وقوع الإدارة في شرك التفاصيل المتعلقة ببيع الأسلحة . وفي ١٩ تشرين الثاني/ نوفمبر عقد الرئيس ريغان

مؤتمراً صحافياً خطيراً ارتكب فيه بعض الأخطاء . فحاول مساعدوه ان يحملوا مجلس الأمن القومي المسؤولية عن الأخبار المتناقضة . وأصر مساعدوه على ان مجلس الأمن القومي « قد أربك عقل الرئيس » . وعلى أي حال فقد كان نورث قاسياً فبكل هدوء مزق العديد من الوثائق البالغة السرية . وفي ٢٣ تشرين الثاني / نوفمبر قال لروبرت مكفرلين : « ستحدث ازمة لثلاثة أو أربعة أيام ثم يعود كل شيء طبيعياً » .

ودون ان يعلم نورث كان المحققون قد عثروا صدفة في اليوم السابق على مستندات عن أكثر نشاطاته سرية . وكان مساعد وزير العدل وليم رينولدز يتفحص الملفات في مكتب نورث فعثر على مذكرة تقول : « سوف يستخدم مبلغ اثني عشر مليون دولار من أرباح مبيعات الأسلحة لإيران في شراء امدادات للمقاومة النيكاراغوية » صعق نورث من ذلك . وكان يعرف ان تحويل الأرباح لمساعدة الكونترا كان غير قانوني وانه يعتبر محاولة لتجاوز القوانين التي سَنّها الكونغرس .

وكانت المذكرة واضحة . فقالت انها بحاجة إلى الأموال لردم الهوة حتى يوافق الكونغرس على تقديم المساعدات .

كان ذلك مسألة أخطر من بيع السلاح . فبعد يومين أي في ٢٥ تشرين الثاني / نوفمبر ألقى الرئيس ريغان خطاباً إلى الأمة : أعلن فيه ان الأميرال بويندكستر قد قدم استقالته « وان المقدم أوليفر نورث قد أعفي من مهامه في أركان مجلس الأمن

القومي . وأنا منزعج جداً لان تنفيذ السياسة الهادفة إلى حل الوضع المأساوي في الشرق الأوسط قد أدى إلى هذا الجدل » .

وخلال يومين منع نورث من الدخول إلى مكتبه ولكن ليس قبل ان يتلف كميات كبيرة من الوثائق فاتصل الرئيس ريغان به وشكره قائلاً عنه انه « بطل وطني » وانقسمت أميركا : فبالنسبة للبعض كان رجل مشاة البحرية المخلص الذي مزقته البيروقراطية وقاوم الشيوعية في أميركا الوسطى وعمل دون كد من أجل حرية زملائه الأميركيين . أما بالنسبة للبعض الآخر فكان يمثل تهديداً للديموقراطية ـ وجزءاً من مجموعة صغيرة داخل الحكومة كانت تقوم بعمليات سرية غير قانونية . وتحول من مسؤول رسمي ملتزم في البيت الأبيض إلى شخصية الموظف الذي يشبه قدامى رجال وكالة المخابرات المكزية ووسطاء الأسلحة والمغامرين . وكما اكتشف تيري وايت فيما بعد فإن الإجتماع مع شخص مثل أوليفر نورث لا بدّ أن يؤدي إلى ارباكات .

- ١٥ -

وقع في وابل من اطلاق النار السياسي

لم يكن تيـري وايت مطمئنـاً لمحادثـاته التي جـرت في المانيا مع اوليفر نورث بحضور ديفيد جاكوبسون . وعندما عاد إلى لندن كان في حالة الدفاع عن النفس ، ينفي التقـارير التي تفيد أنّه كان يعمل لمصلحـة الحكومـات ، شاكيـاً من أنّ هناك من يحاول تقويض جهوده ، سائلاً بغضب :

هل يدرك أولئـك الذين يكتبـون تعليقات كهـذه أنّها قـد تكلّفني حياتي ؟ هل يـدركون مـدى حساسيـة الموقف؟ وذكـر كيف أنّـه وفي زيارتـه الأخيـرة إلى لبنـان ، أعـطي مهلة أربـع وعشرين ساعة لمغادرة البلد . فسـأله أحـد المراسلين إذا كـان وعلى ضوء ذلك ، يريد العودة إلى بيروت . فأجابه وايت بتحدٍّ « نعم أنا ملتزم تماماً بـأولئك النـاس » . كان ذلـك إثباتـاً على

إلتـزامه المصيـري الذي سيـزيد تصميمـاً عليـه في الأسـابيـع المقبلة .

وإلتزم وايت الصمت بعد عـودته مـراقباً إنهيـار الأوضاع في واشنـطن . ففي الأساس ، لم يكن دوره في إطـلاق سراح الـرهـائن مـوضـع نقـاش . هـذا وكتبت الصحف البـريـطانيـة مدائحها المعتادة فورد في إحداها « نجاح آخر لمـلاك الرحمـة مبعـوث الأسقف » بينما كـانت صحيفة أخـرى أكثر إسـرافاً في التعبير إذ قالت : « إنَّ تيري وايت لا يلبس وشاحـه من الخلف إلى الأمام . إنه ليس كاهناً مرسومـاً ولا يسمح لنفسـه بأن يقـع فـريسة الأعمـال الإدارية والبـروتوكـول . إنَّه ليس دبلومـاسيـاً محتـرفاً لكن تيـري وايت يحقق مزيـداً من المكاسب لكنيستـه وأكثر من مبعوثي وزارة الخـارجية . . . تـابع يـا سيد وايت . وراءك أطيب تمنيات بريطانيا » .

راقب سمير حبيبي الأحداث من مكتبه في نيويورك فكان « مصدوماً تماماً » على حد قوله تحدّث على الهاتف مع أوليفـر نورث الذي إتفق معه على أن هناك عاصفة لكنه وعد : « بـأننا سنتحكم بهـا » فعبَّر حبيبي عن أمله بعـدم تـوريط وايت وكـان نـورث مراوغـاً فأبـدى إعتقاده « بـأنّهم سيستطيعـون الإهتمـام بـالموضـوع »لكن حبيبي لم يكن واثقاً . فقـد كـان جمهـوريـاً وكان يعرف مدى خيبة الصحف الليبيرالية في تحـدي ريغان . فلن يحضر الكلاب إلاّ عندما تسفك الدماء .

وحسب رأيه ، كان الليبيراليون يُحضّـرون (لووتـرغيت)

جديدة . فلم يشك في أنَّ الماء سيتدفق ويرتطم بباب الكنيسة أيضاً .

تحادث حبيبي ووايت على الهاتف . فقال وايت « نحن لسنا متورطين نحن انقياء » ولم يفاجأ أيّ من الشخصين عندما علم أنَّ شيئاً آخر كان وراء اطلاق سراح الرهائن . إذ كانت لديهما شكوك . وكان وايت مصراً على أنَّ الفضيحة لا تشمل الكنيسة أما حبيبي فلم يكن مرتاحاً : لقد حقّق الديموقراطيون نتائج جيدة في الإنتخابات وسيطروا على مجلس الشيوخ والنواب . فقال لتيري وايت إنّ هذا يغير الصورة السياسية وسوف يطلبون تفحص جميع زوايا القضية ويُحتمل أنْ يُلَوَّث أيُّ شخص كانت له علاقة بنورث . لذا حذَّر حبيبي وايت من مشاكل تنتظره .

وخلال أيّام بدأ الحديث يدور حول وايت إذ رُبِط بما سُمِّي « إيران غايت » وإنّ دوره كمفاوض مستقل كان موضع شك . فقالت صحيفة بريطانية في تقرير لها من الولايات المتحدة « تبيَّن أنَّ وايت قد إستخدم وبعلمه كرجل في الواجهة في نشاطات أميركية سرية من أجل تحرير الرهائن » . إلا أن دوره كان ، في الحقيقة ، بمثابة ظل كبير . ولم يتضح ما إذا كانت الصحيفة قد ذكرت كلمة « بعلمه » عن قصد . إذ لم يكن هناك أيُّ دليل في المقالة . لكن وايت كان غاضباً ومستاءً . فبرأيه لم يكن ذلك صحيحاً وهو لم يكن مُجرَّد غطاء . لقد قال عدّة مرات أنَّ هناك حاجةً لجهود عديدة من

أجل إطلاق سراح الرهائن وأنَّهُ كان أحد هذه الجهود . لقد عمل دون كلل في مبادرته الإنسانية من أجل إنقاذ الرهائن ولكنه بات يرى أن هذه الجهود قد أسيء فهمها ، وسوف يبدو ظهوره العلني ومؤتمراته الصحافية على أنه تجميلي محيّر لأجهزة الإعلام . وستصبح إنجازاته موضع شك . وسيكون المجد الذي إستحقه في غير موضعه وستتعرّض سمعته كرجل شريف للخطر والأسوأ من ذلك فإنَّ الكنيسة الأنغليكانية هي الآن في أوّل ظهور لها في القضايا الدولية وقد تبدو ساذجة وغير كفوءة .

وقد أُصيب أسقف كانتربري الذي كان قد أعطى مبعوثه حريّة العمل ، بالقلق الشديد . وفي إحدى المناسبات عبَّر عن وجهة نظره تلك بأنَّ الأمور المتعلقة بتيري وايت هي « خارج سيطرته » وعلى أيٍّ حال قَبِلَ الدكتور رونسي تأكيدات مبعوثه بأنَّه لم يتورط في أيٍّ عمل غير مستقيم . إلاّ أنّه لا يمكن تجنب الحقيقة في أنَّ الرهائن قد أُطلق سراحهم نتيجة لبيع الأسلحة أكثر مما كان نتيجة لتدخل تيري وايت ، ومع ذلك فإن الفضل كان للكنيسة . ولم يقل وايت أبداً إنَّ جهوده وحدها هي التي أطلقت سراح الرهائن ولكنه عندما كان يظهر مع الرهائن لحظة إطلاق سراحهم كان يعطي الإنطباع بأنّه وسيط ممتاز .

راقب الدكتور رونسي مبعوثه وهو يزداد شهرة وتلقت الكنيسة المديح بسبب جهودها الإنسانية . والآن عليه أن

يواجه إمكانية أن تكون كنيسة إنكلترا قد استُخدِمت بطريقة مضحكة .

ودعا الدكتور رونسي إلى إجتماع طارىء في قصر لامبث معتبراً أنّه من الضروري أنْ تصدر الكنيسة بياناً يوضح أنّ نشاطاتها كانت محض إنسانية . وكما فعل الرئيس ريغان منذ أيّام قليلة ، تطلعت الكنيسة إلى الرهائن ليكونوا تزكية لها . ودُعِي الرهائن الثلاثة الذين أُطلق سراحهم خلال فترة نشاط تيري وايت إلى لندن . ومع أنَّ اثنين منهم كانا على خلافٍ مع الإدارة الأميركية فقد أجمع الثلاثة على شكرهم وإمتنانهم للمبعوث الأنغليكاني . لقد خاطر دون شك بحياته من أجلهم .

وفي ١٧ تشرين الثاني / نوفمبر وصل الكاهن بنجامين وير والأب جنكو إلى قصر لامبث . وبعد ذلك بقليل كان لهما لقاء مع ديفيد جاكوبسون ـ وهي المرة الأولى التي يريان فيها زميلهما الرهينة منذ إطلاق سراحه . فتعانق الجميع مظهرين رابطاً خاصاً جمع بينهم وهو الأسر . وكما قال أحدهم « نحن جميعاً إخوة من كنيسة الباب الموصد ! » . ووقف الثلاثةُ معاً وظهرت صورتهم في الصحف في اليوم التالي .

ولكن وحتى الرجال الذين جهد وايت من أجل تحريرهم ، فقد تلقى منهم أسئلةً وشكوكاً . إذ واجه الأب جنكو وايت مباشرة وكان أحد الأسئلة التي طرحتها على تيري : « هل بعث سلاحاً من أجل إطلاق سراحيَ؟ فأجابني :

كـلا . لقد بقيت دائمـاً ضمن دوري الإنساني وتمسكت بـه . لقد تقبلت كلمته » .

بعد أخذ الصور قرأ وايت بياناً مفصلاً أنْ العمل لإطـلاق سراح الرهائن كان جزءاً من أعماله . وتحدث عن زيـاراته إلى جنـوب أفـريقيـا وعن مشـاريعـه في السـودان . لقــد أسهمت الكنيسـة في قضية الـرهائن الأميـركيين المخـطوفين إستجـابـة « لنداء من أقاربهم» ولأننا « نؤمن بقيمة حياة الإنسان » .

كـانت لهجته جـدية وأقـرَّ أنّه كـانت هنـاك مخـاطـر في إشتراك الكنيسة بقضية الرهائن الأميركيين ، فقال :

« في هـذا الـوقت من السنـة المـاضيــة وجـدت نفسي معرَّضاً لوابل من النار عندما عَلِقْتُ وسط معركـة في شوارع في بيروت . وهذه السنة أنا مُعرض لوابل من النار السيـاسية . أنـا أعلم أنّــه يجب أن يُنــظر إلى مشــاكــل لبنــان على مختلف الأصعـدة . فعلى الصعيد الـدولي على الحكـومـات أنّ تقـوم بمبادرات سريّة وعلنية . فلقـد علّمتني تجربـة سنوات أنّـهُ في الشـرق الأوسط وعنـدمـا ينقضي الأمـر يعـود هنـاك أيّ سـر . وكممثل للكنيسة ليس لديّ شيء أفعله حيال الصفقة التي بدت لي أنّها خرقٌ للرموز التي أؤمن بها .

لا لأنني أعرف أنَّ هذه الأعمـال سوف تنكشف يـوماً مـا فحسب بـل لـلأهمّ من ذلـك ، لأنّهـا قـد تـدمّــر إستقـلاليتي وسمعتي؟ » .

وقال إنّه كان رجل خير بالنسبة للإدارة الأميركية وإنها كرّمته وإحترمت موقفه وأضاف أنَّهُ مع أنَّ كلمة « غير شريف » قد وجهت للادارة الأميركية . فإنَّ اصبع الاتهام يمكن أنْ يُوجّه إلى أمكنة اخرى . وإذا كان قد شعر بأي غضب أو مرارة من أوليفر نورث فإنه يعتبر أن الأخير لم يخنه .

وإنتهى بقوله إنَّ الكنيسة كانت تنوي الإستمرار في مهمتها الإنسانية مهما كان الثمن . وقال : ليس هناك أدنى شك أنَّه إعتباراً من هذه النقطة وإلى الأمام سيصبح العمل أكثر صعوبةً . كان يخفي داخل تصريحه تحدياً وبعد ذلك لم يشأ أن يُجيب على أسئلتي . فأخذ صوراً مع الرهائن السابقين والكاهن حبيبي وبعض مسؤولي الكنيسة ، وإعتبر الجميع أنَّ هذه المناسبة مهمة وأنّها قد تُسكِتُ الأسئلة المطروحة حول دور الكنيسة .

إلا أن تغطية المؤتمر الصحافي كانت مخيّبةً للآمال . فلقد ظهرت في نشرة الأخبار المسائية في بريطانيا ولكن بيان تيري وايت لم يلق الإهتمام الملائم وبعد أيّام ثلاثة إتّضح أنَّ اجتماع لامبث قد فشل في إيقاف الأسئلة حول دوره . وقالت مجلة « ليسم » تحت عنوان « هل إستخدمت إدارة ريغان تيري وايت مادة للرهان؟ » « إنّ وايت يحاول أنّ يلئم الجراح التي أصابته خلال مهمته إلى لبنان . وتابعت المقالة : إنَّ سُمعته كمفاوض مستقل ومحايد قد تعرّضت للشبهة » .

لقد سببت هذه المقالة الأذى لتيري وايت . فبينما كان

يتلقى المديح أصبح الآن يُوصم بأنَّه « مادةُ رِهان » . وقد أصبحت سمات الحياد والاستقلال موضع أسئلة علنية .
وعندما ذهب في كانون الثاني / يناير التالي إلى بيروت كان ما يزال يتحدث عن تلك المقالة . بقي وايت لا يتكلم مع أحد ، لعدة أيّام . فقال زملاؤه في الكنيسة معلقين على ذلك بأنّه معتادٌ أساساً على الصمت . وأخذ شعوره يتزايد بأنَّ البيانات غير كافية وأنَّه يجب أن يبرّىء مهمته من كل التهم ، عندها راح يفكر بالعودة إلى لبنان في الميلاد معتبراً أنَّها مناسبة مهمة لدى المسيحيين وأنّها فرصة ليؤكد أنَّ مهمته هي ذات طابع إنساني ومستقلة عن أية حكومة . وقد شجعته على ذلك مكالمةٌ هاتفية كان سمير حبيبي قد تلقاها من اوليفر نورث .

كان نورث قد إتصل بحبيبي قبل أيّام قليلة من طَرْدِهِ من مجلس الأمن القومي وتحدّثا لمدة عشر دقائق . فقال نورث أنَّه على الرغم من جميع المشاكل في واشنطن فإن المبادرات ما زالت مستمرة . وذكر حبيبي أنَّ وايت يبحث في العودة إلى بيروت ففوجىء نورث وقال : « أنا أثق أنَّه سيأخذ الإحتياطات المناسبة » ومع أنَّه لم يكن يتحدث إلى تيري مباشرة فقد قال أنَّه سيكون ممتناً أن يحمل حبيبي رسالة له . وقال نورث أيضاً إنَّ موقف الولايات المتحدة من المعتقلين في الكويت قد يتغير فهي لن تبدي أيَّ إعتراض إذا أطلقت الكويت سراحهم ففوجىء حبيبي بهذا الكلام . إذ حتى تلك اللحظة ، كانت السياسة الأميركية الرسمية تدعم الكويت في مقاومة

الضغوطات والإبتزاز من أجل الإفراج عن المعتقلين المتورطين في أعمال إرهابية . فقال له نورث إنّه إذا بدأت الكنيسة بمبادرة إنسانية لتحسين أوضاع المعتقلين في الكويت ولإعادة النظر بأحكامهم فإنَّ الولايات المتحدة لن تقف عائقاً في طريقها بل ستدعم ذلك عبر أقنيتها الدبلوماسية . بدا لحبيبي أنّ هذا التعليق بشكل خاص ، بارز وملفت للنظر معتقداً وتيري وايت أنَّ وزارة الخارجية كانت قد أعاقت محاولتهما السابقة لزيارة الكويت .

وأضاف نورث بطريقة دراماتيكية إنَّ هذه ستكون آخر مكالمة ، ومع أنَّه لم يكن يعلم أنّه سيُطرد قريباً فإنّه أُعطي إنطباعاً بأنَّ أيّامه في البيت الأبيض أصبحت معدودة ، قائلاً إن أحد أركانه سوف يتولى الإتصالات في المستقبل ولم يكن هناك أيُّ إعتذار ولا تبرير لبيع أسلحة ولا ذكر للإنتقادات التي تقول إنّه إستخدم تيري وايت ، ولا أيَّ أثر للندم . كان رجلاً يؤمن أنَّ ما قام به هو الصحيح . وقد عبَّر عن تقديره لإهتمام الكنيسة بهذه المسألة .

وأخيراً طلب نورث إيصال اطيب تمنياته إلى تيري ثم قال وداعاً .

لا يستطيع حبيبي أنْ يتذكر جميع تفاصيل المحادثة لكنه متأكد من أنَّ نورث قال « لن يكون هناك أيّ إعتراض إذا شعرت الحكومة الكويتية ولأسباب إنسانية أنّها تريد إعادة النظر بالأحكام . أضاف حبيبي : لا أستطيع أن أقول أكثر من ذلك

حول هذه المحادثة وأنـا متأكـد من أنَّ الكولـونيل نـورث سوف يؤيد ما قلته حول هذه النقطة .

لم يشك حبيبي بأهمية الكلام الذي سمعه . فنقـل هذه المعلومات إلى تيري وايت الذي كان قد شرع في تـرتيبات من أجل عودته إلى العاصمة اللبنانية . وعندمـا أجريت مقـابلة مع حبيبي حول آخر محادثة هاتفية مع نورث ، أكّد أنَّه قـال لتيري وايت إنَّ سياسة الـولايات المتحـدة حول قضيـة المعتقلين في الكويت الحاسمة قد تغيرت .

ـ وهل نُقِل هذا الإنطباع إلى تيري وايت؟

ـ نعم كان تيري وايت مدركاً تماماً لهذا .

ـ أي أنَّ هناك تغييراً في سياسة الولايات المتحدة؟

ـ نعم .

لقد ظنّ وايت أنَّ أنباء حبيبي بـارزة وملفتة للنـظر . وفي هذا الوقت كان يخطط لـزيارة قصيـرة إلى بيروت لا تـدوم أكثر من ثمـان وأربعين ساعـة . وكان يـريـد أن يستغـل وجـوده في شوارع بيروت المكتـظة ليثبت أنَّ جهوده مستقلة عن الحكـومة الأميـركية . إذ ربمـا قتلت مبادرتهم فضيحـة إيران ـ كـونترا ، لكن مبـادرته مـا زالت حيّة إلا أن مكـالمـة نـورث رمت بـذوراً توحي أنّ للمهمة إحتمـالات اخرى . أي أنّـه يمكن أن يحدث تقـدمٌ حقيقي في الموضـوع الذي يشغـل بال الخـاطفين ـ وهو قضية المعتقلين في الكويت .

ففي الحقيقة لم يحصل تغيير في السياسة الأميركيـة كان نورث يغش فحتى الساعـة الحاديـة عشرة كـان يحاول أن يجـرّ الإيـرانيين إلى الاعتقاد بـأنهم إذا أطلقوا سـراح الرهـائن فـإنّـه يمكن أن يعقـد صفقـة حـول السجنـاء في الكـويت . وخـلال الأسابيع القليلة الأولى من شهر كانون الأول/ديسمبر كان وايت يعمل بإنطباع خاطىء .

فقـد علمت وزارة الخارجيـة خـلال شهـر كـانـون الأول ديسمبـر أنَّ الإجتمـاعـات مـع الـوسـطاء الإيــرانيين مـا زالت مستمرة . وحتى بعد طرد نورث كانت الإتصالات غير الرسمية ما تزال تجري من خلال أقنيـة الإتصالات السـرية التي أقيمت مـع مقر قيـادة الحرس الثـوري . وقد أوضـح الإيرانيـون أنهم يريدون إستمرار العلاقة التي أقامها نورث وسيكـورد وحكيم ، وتم الإتفـاق على إجتماع آخـر في ١٤ كانـون الأول/ ديسمبـر في فرانكفورت .

وأدرك جـورج كايف الـذي كان يجـري المحادثـات مع إيران إنّه من المستحيل في ظل الأجـواء السياسيـة السائـدة في واشنـطن أن يبقى هـذا الإجتمـاع سـريـاً : يجب إعـلام وزارة الخارجية . وعندما علم وزير الخارجيـة جورج شـولتز بـه أصر على إعـداد أسس جديـدة إذ يمكن للجـانب الأميـركي تقـديم المعلومـات فقط ولا يمكنه التعـامل بـأشيـاء ملمـوسـة . كمـا أصـرّت وزارة الخارجيـة على أن ينضمَّ أحد مسؤوليهـا شـارلـز دامبار إلى كايف في فرانكفورت .

وحتى قبل أن يجري الإجتماع كانت هناك محاولة لتعديل أسسه ، فكان مدير وكالة المخابرات المركزية وليم كايسي يعتقد أنَّ الصيغة الضيقة لا تغضب الإيرانيين فقط بل ستطيل أمد الإجتماعات . لذا وافق مع البيت الأبيض على أن تبحث الأمور السياسية في الاجتماع . وقد علم جورج شولتز فيما بعد بهذا التغيير فاشتكى بمرارة : أنّه لا يمكن أن يبقى أيُّ شيء ثابتاً في هذه المدينة دون فرانكفورت مثل الإيرانيين « الوحش » وعلى الرغم من الإنكشافات ، كانت القيادة الإيرانية مستعدةً لأن تتابع العمل بالإتفاق الذي تمَّ إعداده في تشرين الأول/اوكتوبر . وبدأ « الوحش » يبحث إتفاق النقاط التسع الذي توصّل إليه مع حكيم . فذُهِل شارلز دامبار الذي كان في الإجتماع عندما علم بالالتزام الأميركي بالإطاحة بالرئيس العراقي وبالخطة لإطلاق سراح المعتقلين في الكويت إذ لم يكن سمع بذلك ما لم تسمع به وزارة الخارجية . إلتفت إلى جورج كايف وسأله ما إذا كان الذي يسمعه صحيحاً ، فأومأ كايف برأسه موافقاً .

عندها سلّم دامبار الرسالة التي أعطته إيَّاها وزارة الخارجية ، بأنه لن تكون هناك صفقات أسلحة مقابل إطلاق سراح الرهائن في المستقبل فصحيح أنَّ الولايات المتحدة تريد إقامة علاقة جيدة مع إيران إلا أنها يجب أنْ تكون قائمة على قواعد مختلفة . فتمعن « الوحش » بما قيل له . لقد جاء إلى الإجتماع ومعه لائحة بأسلحة مطلوبة ومن ضمنها صواريخ

تو . لكن وزارة الخارجية قد استبعدت ذلك وبعد فترة صمت أجاب « الوحش » بهدوء بلهجة لا تخلو من التهديد : . . هذا سيعيدنا إلى نقطة الصفر » . وطلب من دامبار أن يستشير حكومته ليرى ما إذا كان هذا فعلاً ما تريده الولايات المتحدة .

عاد دافيار إلى واشنطن بينما إستمر كايف و« الوحش » يتحادثان ليوم آخر . فحثّ كايف الإيرانيين على إطلاق سراح أحد الرهائن . إنّه الجواب الوحيد الذي يؤدّي إلى استمرار حياة المبادرة . لكن تسرب المعلومات أدّت إلى تضييق مجال خيارات رئيسه . فكان على رفسنجاني أن يحارب من أجل حياته السياسية إذ إستخدم أعداؤه إنكشاف الإتصالات السرية مع الولايات المتحدة لمحاولة تحقيره والإطاحة به . وشرح « الوحش » أنّ على رفسنجاني أن يثبت أن الثورة الإسلامية استفادت من الصفقات مع الشيطان الأكبر ـ وكان يعني بذلك السلاح وان اقتراحات وزارة الخارجية سوف ترغم رفسنجاني على التحوّل ضد الولايات المتحدة لضمان حياته هذا يؤدي إلى توقف الحوار . وافق الرجلان على التحادث مرةً أخرى . ولكن بدا من المستحيل للولايات المتحدة وإيران أيضاً الإستمرار في هذا الوضع .

وقدّم شارلز دامبار تقريراً إلى جورج شولتز عن إجتماع فرانكفورت . فصُدم وزير الخارجية بالطريقة التي استخدمتها مجموعة من الموظفين لخطف السياسة الخارجية الأميركية وأصرّ على عقد لقاء مع الرئيس وقد رأى شولتز فيما بعد أن

« ردة فعل الرئيس كانت بمثابة طعنة في صدره ! » .

وتابع شولتز : « اخبرت الرئيس ببنود إتفاق حكيم التي تتضمن أموراً كقضية المعتقلين في الكويت أزهقت معدتي فذهل الرئيس ذهولاً لم أره فيه من قبل قط . إنّهُ رجل مرح سَهل ، لكن عينيه إذ سمع ذلك نظرتا شزراً ويديه مسكتا بفكيه » .

إنها كانت نهاية مبادرة مضطربة الأهداف ، فشلت في تحرير الرهائن لقد كان العديد من الأميركيين ما يزالون محتجزين في بيروت عندما بدأ بيع السلاح . وقد تطلب الإيرانيون بعض الوقت ليدركوا أنّ الأميركيين جادون في وقف تبادل الرهائن بالأسلحة فخلال ما تبقى من شهر كانون الأول/ديسمبر وفي بداية كانون الثاني/يناير أرسلت رسائل عديدة إلى إيران تتضمن ذلك القرار .

أما بالنسبة لتيري وايت فكان التوقيت سيئاً إذ سوف يعود إلى بيروت فيظهر تفاؤله في اللحظة التي تفهم فيها القيادة في طهران أنّهم لن يتلقوا مزيداً من الأسلحة الأميركية .

ولم يكن وايت على علم بإجتماع فرانكفورت ولا بأنّ المبادرة تجاه إيران قد ماتت .

لذلك كان تصميمه على العودة إلى بيروت يزداد باقتراب عيد الميلاد ولقد إلتقى قدامى أصدقائه ورأى الأسئلة في أعينهم فتحول نحو كمال خوري من أجل المساعدة في تنظيم

رحلته وهو وزير لبناني سابق يعيش في لندن كان قد تعرف عليه قبل بضعة أشهر . وكان خوري قد ترك بيروت عام ١٩٨٤ ، كالعديد من اللبنانيين الذين يعيشون في الغرب بقي على إتصال يومي بعائلته وأصدقائه . كان مسيحياً مارونياً وزوجته أنغليكانية . لكن لديه إتصالات ممتازة مع الطائفتين الدرزية والشيعية . وكرجل فكر كان خوري يتطلع إلى اليوم الذي يُعاد فيه بناءُ لبنان على أساس مجتمع واحد بدلاً من مجموعة من الدويلات الصغيرة المنقسمة إلى مذاهب . كان يعتقد أنَّ الكنيسة قد تساعد في إعادة البناء وأنَّ تيري وايت بما له من ثقل دولي يمكن أنَّ يلعب دوراً وها هو وايت الذي حُرِمَ من المساعدة الأميركية ، يطلب من خوري المساعدة على تأمين حمايته في بيروت .

أسرَّ وايت لصديقه القديم فيليب تورنر أنّه قلق من عودته . يقول تورنر :

« لقد تحدَّث عن ذلك عدة مرات وكان قلقاً لأنَّ ترتيبات حمايته . . . لم تعد متوفرة له » . إذ فهم تورنر أنّ أوليفر نورث كان قد ساعد على حمايته في الماضي .

ورأى خوري أنّ وايت تواقٌ إلى العودة إلى بيروت : « أراد أن يذهب فوراً . كان يتصل كل يوم » . وكان هناك شعور باليأس في تلك الإتصالات تذكرّه خوري وهو يقول : « إذا إستطعت أنْ أذهب إلى هناك لمدة اربع وعشرين ساعة

وأدلي بتصريح على التلفزيون ، يمكنني عندها أن أبرىء نفسي» .

ومع أنَّ هناك إلتزاماً نحو عائلات الرهائن ، إلاّ أنَّ وايت كان مدفوعاً بالحاجة لإثبات أنَّهُ يعمل من تلقاء نفسه وأنّهُ ليس ساذجاً أميركياً .

أراد خوري أن يساعد ، لكنه استاء في الوقت نفسه من موقف وايت فقال : « إنّهُ يرغب في ركوب مخاطر غير معقولة » . وإتصل خوري بصديق قديم كان زميل دراسته وهو أكرم شهيب ، ومن أقرب مساعدي الزعيم الدرزي وليد جنبلاط . لكن أكرم نفر من المساعدة إذ أصبحت بيروت الغربية مكاناً خطراً أكثر مما كانت عليه قبل سنة عندما جاءها وايت لذا ستكون حمايته صعبة ومع ذلك فإنه سيتحدث مع وليد جنبلاط بهذا الشأن . وعلى أيِّ حال فإنّه من المستحيل أن يقوم بزيارةٍ في عيد الميلاد .

أُصيب وايت بالإحباط بسبب هذا التأخير لأنه كان يريد أن يذهب بأسرع ما يمكن وخلال شهر كانون الثاني/يناير . لم يكن أسقف كانتربري مرتاحاً لهذه الزيارة . ذلك أن فضيحة إيران ـ كونترا كانت قد لفتت انتباهه وأن أصدقاءه في وزارة الخارجية البريطانية قد أفادوه بأن عودة مبعوثه إلى بيروت محفوفةٌ بالمخاطر . لقد عبَّر الدكتور رونسي عن تحفظاته إلى وايت الذي أجابه بأنَّ عليه إلتزامات تجاه عائلات الرهائن وأنه يريد القيام بها . يقول الأسقف بعد اختفاء وايت : « لقد أقنع

نفسه بأنّه على صواب . وهكذا وعلى أساس سجله القديم ومعرفتي بإتصالاته فقد بدا لي أن هناك خطراً في رحلته » .
ومع أنّ الأسقف كان يستطيع أن يأمر مبعوثه بعدم الذهاب فإنّهُ لم يرغب في إحباط عزيمة رجل أصبح أكثر شخصية معروفة في الكنيسة الأنغليكانية . لقد كان هناك ، على أيٍّ حال ، تفاهم بينهما على أنّ هذه ، ستكون آخر مهمة لوايت ، وأنّه بعدها سيبحث عن عمل آخر . وفي ٢ كانون الثاني/ يناير قال وايت أنّهُ يبحث في ترك الكنيسة الأنغليكانية ليعمل في ميدان الشؤون الدولية . وحاولت وزارة الخارجية أن تثني وايت عن العودة إلى بيروت . فلقد سمعوا عن خطته وإقترحوا أنّ يتحدث مع السفير البريطاني في لبنان جون غراي الذي كان يمضي إجازة في بريطانيا ، فطلب منه وايت أنْ يحضر إلى قصر لامبت .

وفي ٢٣ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٦ إستقبل تيري وايت جون غراي في قاعة الرسوم الوردية . كان غراي خبيراً في الشؤون العربية ويفهم الأساليب الشرقية للميليشيات اللبنانية ، فقال إنّ الوضع في بيروت الغربية قد تدهور . وان الميليشيات المتصارعة لم تكن تتنافس على السيطرة على شطر من المدينة فقط بل أن هناك عصابات مستقلة تقوم بعمليات لحساب الأكثر تمويلاً لها . وقال غراي إنّ لقاءات وايت مع أوليفرنورث قد إنكشفت في لبنان ومن المحتمل أنْ لا تكون قد فُهمت على حقيقتها . فأصغى وايت ، لكنه لم يتأثر

بكلمات السفير .

يقول غراي : « كـان مصمّماً على العـودة . وقبل نهـاية الإجتمـاع إنضمّ إليهمـا الاسقف الـذي إستنتج من التعـابيـر الظاهرة على وجه مبعوثه أن أحداً لن يثنيه عن عزمـه العودة إلى لبنان » .

وإتصل صديق كمال خوري ، أكـرم ، بالـزعيم الدرزي وليـد جنبلاط بشـأن تـأمين الحمـايـة لـوايت . فكـان جنبـلاط متـردداً ، مثل مسـاعده . وقـال إنه بـإمكانهم أن يحمـوا تيري وايت طـالما بقي بصحبـة حـراسـة الـدروز ، لكن إذا شـاء أن يلتقي الخاطفين فإنهم لا يضمنون سلامته . فأجاب خوري أنّ مهمـة وايت سـوف تستغـرق يـومين فقط وأنّـه سيـزور زعمـاء الـطوائف لتأكيـد قلق الكنيسة على مـأساة لبنـان وأنـه لن يـرى الخاطفين . فواقف جنبلاط على مضض .

وكـان الـزعيم الـدرزي في ذلـك الـوقت في الـولايـات المتحدة حيث كان يُخضـع إبنه لمعـالجة طبيـة . وعندمـا علم وايت بمكان وجوده إقترح أن ينضم إلى جنبلاط ويعود معه إلى بيروت . فذُهل خوري وقال إنه من الغباء أن تصل بيروت قادماً من الولايات المتحدة وهي المكان الذي تحاول فـكّ إرتباطـك بـه ونصحه قـائلاً : « يجب أنْ تنتـظر اسبوعـاً على عودة وليـد جنبلاط إلى بيروت كي تبعد عنك أية شبهة حول أيّ إتصال مع الأميـركيين » . وبعد المبـاحثات تحـدد يـوم الثـاني عشـر من كانون الثاني / يناير موعداً لعودة وايت إلى بيروت .

وإذ أوشكت إجراءات السفر على الإنتهاء كان سمير حبيبي يستكشف ما إذا كانت الكنيسة قادرةً على عمل أيّ شيءٍ آخر حول المعتقلين في الكويت ، معتقداً من خلال إتصالات أفراد عائلته أنَّ الحكومة الكويتية أصبحت أكثر تقبلاً لفكرة زيارة وايت ، وأنّها ستتفهم أنَّ إهتماماته إنسانية ومستقلة عن الحكومات : « لقد شعرنا من خلال المجادلات الخاصة انهم سيستقبلونه وأنّه سيتم الترحيب بوجوده في الكويت » يقتصر جدول أعمال الزيارة على تحسين الإتصالات بين المعتقلين وأقربائهم ، ولن يقتصر الأمر على تسليم الرسائل بل ستكون زيارات إلى السجن .

واستشار حبيبي كمال خوري الذي كانت له مصالح في مدرسة خاصة في الكويت وكان يعرف عدداً من أفراد العائلة المالكة . فقال خوري إذا كان ذلك مجدياً فإنّه مستعدٌ للذهاب إلى الخليج لإستطلاع الآراء فتحمّس وايت للفكرة إذ أنَّ الإجتماع مع الحكومة الكويتية سينعكس ايجاباً لدى الخاطفين ، لاسيما إذا تمت زيارة المعتقلين في السجن . لذا حثَّ خوري على الذهاب فوراً . وعندها أخذت توقعات وايت حول زيارته المقبلة إلى بيروت تتحول من كونها مهمة إعلامية كلامية إلى مهمة يمكن أنْ تحقق نتائج ملموسة ومثيرة .

لم يكن وايت وحبيبي على علم بأنَّ الكويت كانت ، وعلى عكس إعتقادهم ، تزداد تصلباً إذ أصبح معروفاً أن الولايات المتحدة بادلت الرهائن بالأسلحة ولهذا إبتعدت

الكويت عن طريقها . وقيل لجميع زائري الكويت أنَّ حكومتها تمارس اقسى سياسة مضادة للإرهاب في العـالم . أما بـالنسبة للمعتقلين السبعـة عشر فكـان الجواب : « لن نغيّـر سياستنـا » وقـالـوا للولايـات المتحـدة : « كيف نجـري تسـويـات حـول مبادئنا ؟ » . لقـد وردت تقاريـر قبل إنكشـاف فضيحة إيـران ـ كونترا تفيد أنّ إيران كانت تسعى إلى حوار مـع الكويت . أمـا الآن فهذا يستحيل .

كان حبيبي ، ومنذ محادثته الأخيرة مع نـورث ، لا يزال مقتنعاً بأنَّ الكنيسة يمكن أن تحقق تقدماً في موضوع المعتقلين في الكـويت . وبعد طـرد نورث بقي على إتصـال مع الـرائـد كريغ كوي الذي كـان أحد مسـاعدي نـورث في مجلس الأمن القومي . كان كوي قد أظهر إهتمامـه بخطة وايت بـالعودة إلى بيروت ولكنّهُ في خلال شهر كانون الأول/ديسمبـر أعلم حبيبي أنَّه إعتباراً من ذلـك التاريـخ تولّت وزارة الخـارجية ملف أزمـة الرهائن وخلال حديثه مع مسؤولي وزارة الخـارجية علم حبيبي أنَّ السياسة تجاه المعتقلين في الكويت لم تتغير وأنّه وبعـد كل ذلـك ، إستمرت وزارة الخـارجيـة في معـارضـة أيّـةِ تنـازلات تقدمها الحكومة الكويتية بهذا الخصوص .

بحث حبيبي مع تيري وايت هذا التناقض الظاهر فاتضح أنّهما إرتبكا إزاء ذلك فلقد إعتقـد الرجـلان أنَّ ذلك قـد يكون رأي المسؤول في وزارة الخـارجيـة ، الـذي لم يكن على علم بالإتصالات والأقنية الأخرى إذ أن هـذا الوضـع هو الـذي كان

سائداً في الثمـانية عشـر شهراً المـاضية عينهـا . كانت الإدارة الأميـركية تتحـدث بعدة لهجـات . ومـع الـوقت رأى وايت أنَّ نورث ومجلس الأمن القومي كـانوا قـريبين مما كـان يحدث . فقـال حبيبي أنّـه ووايت يحمـلان شعـوراً بـأن الـرأي المعلن للولايـات المتحدة يتنـاقض مـع مـا كـانت تـرغب في تحقيقـه بطريقة مكتومةً عندها شعر يوجين دوغلاس أنّ وايت بدأ ينهض من سُباته : « على مرّ الوقت وبعد أن تعمّقت أزمة الرهائن رأى من الصعب عليـه أن يفهم القشور الـظاهـرة . . . معتقـداً أنّـه واجـه صعوبـةً في إدراك شبهة بـل وازدواجية العـالم الأسود ، العالم الخفي الذي تقدم مع الوقت نحو العالم السامي » .

لم يُـدّرك حبيبي ونـورث أنّـهُ نتيجـة فضيحـة إيـران ـ كونترا ، تحوّلت سلطة السياسة الخارجيـة إلى وزارة الخارجيـة وانـه صار للولايـات المتحدة سيـاسة مـوحدة ومتجـانسة حـول مسـألة الـرهائن . وكـان من سوء خط وايت أنّ لم يخبـره أحد بالتغيير البارز في السياسة الأميركية كان يعلم ما يقوله له حبيبي لكن بدا واضحاً من تصاريحه في بيروت اعتقاده بأنَّ الكويتيين أصبحـوا أكثر ليـونة . وكـان في معظم فتـرات عمله كمبعـوث يعمـل في عـالم من السـريّـة ، حيث كـان من الصعب إظهـار الحقـائق . إلا أنه في هـذا المنعطف الخـطر لم يكن هناك من يوجهه سياسياً .

وفي كانون الثـاني وبينما كـان ينهي ترتيبـات عودتـه إلى بيروت ظهرت اخبار معينة حول تعامله مع أوليفر نورث . فنُقل

عن لسان روبرت أوكلي الرئيس السابق لمكتب بكافحة الإرهاب في وزارة الخارجية أنّ نورث ساعد وايت ، وذلك بتأمين الطائرات والحماية والملجأ .

لكن تعليقات أوكلي لم تلاق آنذاك الإنتباه الكافي إلا أنه خلال فترة قصيرة سيصبح إسم نورث كلمة متداولة في العمليات السرية وأن أي ارتباط بهذا الضابط الذي يعمل في البيت الأبيض . ومهما كان بريئاً ، ليعرض صاحبه للشبهة والشك . .

في أوائل كانون الثاني /يناير ١٩٨٧ لم تكن تفاصيل فضيحة إيران كونترا قد انتشرت بشكل واسع . وكانت لجنة تاور التي كُلِّفت بالتحقيق في المسألة ما تزال تدقق في الوثائق فهي لن تصدر تقاريرها إلا بعد شهر . ولم يعلم تيري وايت بأنّ أوليفر نورث لم يكذب على حكومته فحسب بل ضلّل الإيرانيين أيضاً ، إلا عندما وقف نورث مصرحاً بكل فخر : « لقد كذبت في كل مرة كنت التقي فيها الإيرانيين » . وإذا كانت وزارة الخارجية قد علمت بإتفاقات حكيم وبالوعود بإطلاق سراح المعتقلين في الكويت ، فإنّ وايت لم يكن على علم بذلك ، فإذا إنفجرت الفضيحة ، سقط وايت كالحجر : لم يكن متورطاً في الواقع لكنه كان غطاء كنسياً كما كان نورث يقول عنه .

لقد كان دوره ثانوياً ومن المتوقع أن يعود موظفاً متواضعاً في كنيسة انكلترا . ولم يتوقع أن يستأنف اللعبة بمفرده مستنداً

على إتفـاقات ووعـود باطلة : كـان يكافـح من أجل الـرهـائن الأميـركيين منذ ثمـانيـة عشـر شهـراً وقـد تكلم مـع الخـاطفين وتعرض للخطر . لكنه نُسي في خِضّم العاصفـة التي إجتاحت إدارة ريغان .

وخلال كانون الثاني /يناير وعندما بـاتت نيته بـالعودة إلى بيروت معروفة لم يفكر أحد في أنّ يتنحي جانباً مع تيري وايت وليطلعه على المخاطر المحدقة بمهمته .

صحيح أن السفير البـريطاني في لبنـان نصحه بـأنْ يبقى بعيداً . ولكن أحداً من الإدارة الأميـركية لم يبـادر إلى تحذيـره من أنَّ الإيرانيين والخاطفين يشعرون بالغضب لأنهم خُـدعوا . وبدا هذا الشخص الذي شجّع على التعامل مـع المسألـة التي يهتم بهـا الخاطفـون إنـه سيصبح عـلامـة وشم على الخيـانـة الأميـركية ولأنـه كان يُنـظر إليـه في واشنـطن على أنّـه « غـطاء السيلوفان حول إطلاق سراح الرهائن » فقد أهمل تمـاماً . ولم يتفهم أحـد أنّه عنـدما كـان العاملون معـه يحـاربـون من أجـل الحفاظ على سمعتهم ، كان هـو يتعامـل مع مشـروعية قضيتـه بالسبيل الوحيدة المتوفرة له : العودة إلى بيروت . لقد أضحى شخصيـة منعزلـة لا تصلهُ أيّـة معلومـات ، ممـا جعله عـرضـة لمزيج من الأوهام والآمال .

لم يكن غير مدرك تماماً للأخطار فقد قال قبل ثلاثـة أيّام من مغادرته إلى بيـروت أنّ هناك خـطراً كبيراً . وعنـدما أتخلّى عن أمني . . . فـإني أعتمـد كليـاً على سمعتي . . . فـأنـا

معرضٌ دائماً للخطر . ومع أنّه رأى سمعته قد تهدمت فقد كان يعتقد أن بامكانه تبرير كل شيء لذا حـاول في مؤتمر صحـافي عقده في إيطاليا ، أنْ ينقي الأجواء وذلك بالتعامل مبـاشرة مـع الأنباء التي تتحدث عنه وعن اوليفر نـورث : فهو كمبعـوث لم يكن على علم بمـا كان يحـدث : كانت مهمتي أن اقـوم بدور المفاوض المستقل وأنْ ألتقي العديد من النـاس وفقاً لجـدولي الخـاص وأن اتمكن في نهايـة اليوم من التحـديق في عيني أي شخص والقول بأن إتفاقاتي شريفة ومشـرفة وإذا حـاول البعض أن يستخدموني فتلك هي مشكلتهم » .

كان هذا الكلام الإشارة العلنية الوحيدة لاوليفر نورث إذ لم ينتقـد الرجـل الذي أُعجب بـإخلاصـه . حتى عندمـا طـرد نـورث كان تعليق وايت أمـام حبيبي « أنه أمـر محزن جـداً » . ومع أن ارتباطه بنورث وبالمشاريـع الأميركيـة قد حـطّم سمعته فـإنه لم يتـوصل إلى أن يكـره الكولـونيـل المخلص في البيت الأبيض ، إذ يمكن أن يكون اسلوبه موضع تسـاؤل لكن دوافعه شريفة وهي دوافع وايت نفسها . ومع أنّه إنـزعج عنـدما وُصِف « بـالـرجــل الـواجهــة » فـإنــه لم يَلُم أوليفــر نـــورث على « الاستخفاف به » وقد ألقى وايت بعض الضوء على مـا قام بـه أوليفر نورث أثنـاء تناول طعـام العشاء مـع فيليب تورنـر . قال تورنر : « لم يشعـر أنّه إستُخـدم شخصياً » وبـدا أنه يعـرف أن هنـاك اولويـات في العلاقـات بين النـاس . فقـال لصـديقـه : « جميع فئات الناس تستخدم بعضها بعضاً ولأسبـاب عديـدة ،

لكن المهم أن تعرف ماذا يحدث » .

وخلال حديثه مع تورنر كشف وايت عن هاجس كبير ينتابه تجاه العودة إلى بيروت : فهو يتحدّث في العلن عن إلتزامه مع عائلات الرهائن . لكنه في المجالس الخاصة كان مرتبكاً يحاول أن ينقذ سمعته ، وكان تورنر يعرف أنه ينجح في المهمات الخطيرة . لكنه وبينما كان يصغي إلى صديقه وهو يتحدث كان يرى أنّ النكهة القديمة قد فقدت : « آخر مرة شاهدته فيها كان شديد الشعور بالخطر . . . وكان يقول أنت تعلم يا فيليب إنها خطرة جداً . إنها خطرة جداً جداً » .

ومع أنه لم يعرف أنّ الخاطفين قد تلقوا وعوداً بطريقة غير مباشرة وأن تلك الوعود لم تحفظ ، فقد علم من الأب جنكو ومن ديفيد جاكوسبون أنّ الخاطفين فقدوا الثقة به . والأكثر من ذلك أنه ما زال يجولُ في خاطره ذلك التحذير الذي تلقّاه من الخاطفين الميلاد الفائت بأن لا يعود إلاّ إذا كان لديه أشياء ملموسة يقدمها لهم .

من هنا كان تصميمه على العودة إلى لبنان مثالاً على شجاعته بل على أصراره على اسمه .

إنه لن يواجه مشكلة إذا عمل في دائرة المسؤولين الرسميين أما إذا كان يخطط للقاء الخاطفين فإنّه يقامر بذلك كثيراً .

وقبل أيّام قليلة من توجهه إلى بيروت تكلّم مع « سبيرو » وهو الرجل الذي ساعد في ترتيب الزيارات السابقة والذي أخذ

يتنبه لنفسه بعد إنكشاف فضيحة أيران ـ كونترا ، مخافة أنْ تنكشف روابطه مع الأميركيين ، لاسيما وأن بعض الذين كان يتعامل معهم أصبحوا في دائرة الخطر .

أبدى « سبيرو » أسفه لأنه لا يقدر على المساعدة ضمن هذه الظروف . محذِّراً وايت من أنَّ عماد مغنية وهو الرجل الذي يقف وراء احتجاز الرهائن يشعر بأنّه خُدِع بعد إطلاق سراح ديفيد جاكوبسون وأنَّ الولايات المتحدة لم تحترم الإتفاق المعقود معها . فشكره وايت على نصيحته وصحيح أن هذه المحاولة قد ازعجته لكنها لم تهزّ تصميمه .

وطار سمير حبيبي إلى لندن ليودع وايت الذي كان توّاقاً للمغادرة ولمواجهة العمل الذي أعدَّ نفسه إليه . وتوقع حبيبي أنّ يمكثَ وايت في بيروت فترة لا تتجاوز ثمانية واربعين ساعة . لذا سيعمل في القريب العاجل على ترتيبات زيارة وايت إلى الكويت . وهنا تكمن بذور التناقض ففي جانب لم يكن تيري وايت ذاهباً لكي يفاوض وفي جانب آخر كان زميله يتابع المطلب الأساسي للخاطفين . فقد كان الهدف من رحلته إلى بيروت تأكيد إستقلاليته وإن كان يكمن في عقل وايت إعتقاد بإمكان ضمان إطلاق سراح أحد الرهائن . وإذا حدث ذلك فإنه سيسكت جميع من إنتقدوه . إنها جائرة مثيرة وخطيرة .

توجه حبيبي إلى مطار هيثرو ، فناشد وايت لدى افتراقهما : « مهما أردت أن تفعل فلا تكن وحيداً » .

١٦
رهينة غربية أخرى

يوم الاثنين في ١٢ كانون الثاني / ينـاير عـاد تيري وايت الى بيـروت الغربيـة وهي المدينـة التي كان يخشـاهـا كثيـراً . وكـانت آنذاك في قبضـة الميليشيـات والعصـابـات والعشـائـر المسلحة . وهي تختلف كثيراً عمـا كانت عليـه وإذ زارها قبـل سنة فقد أصبحت الشوارع أملاكاً خاصة وسُدَّت أطرافُ بعضها بحواجز بحيث غدت الرحلة القصيـرة أشبه بتجـول في سلسلة من الـدويلات الصغيـرة يقف بينها الحـراس يدققـون بالأوراق ويسمحون بالمرور .

إستقبل وايت عشرة حراس مسلحين من ميليشيا الـدروز ودهش أكرم شهيب من جدية المبعوث : « لم يكن تيري وايت الـذي نعرفـه وشعرتُ أنَّ هنـاك خطأً مـا » فقـال لهم وايت انـه

يخشى أن يُخطف . فذهبوا به الى فندق ريفييرا في عين المريسة . لقد اختار الدروز هذا المكان لأنه يقع في منطقة يسيطرون عليها ولأنه بعيدٌ عن الضاحية الجنوبية حيث يسيطر مسلحو حزب الله . كان الفندق منتجعاً بحرياً خالياً وكان تيري وايت النازل الوحيد فيه . كانت وجبات الطعام تُرسل إلى غرفة في الطابق الثاني فيما كان أحد الحراس المسلحين يتمشى في الممر .

في الماضي أحضر تيري وايت معه جهازاً صحافياً : كاميرات وميكروفونات وآلات تسجيل تحوم كلها حول الشخص الملتحي . وكانت تلك صورة زيارة وايت الى بيروت أما الآن فقد غادر البلد معظم الصحافيين الأجانب إذ كان لبنان دائماً مهمة صعبة ، وكان ذلك جزءاً من جاذبيته الغريبة . لكن الخاطفين زادوا من حدة الأخطار . فبدأت وكالات الأنباء الرئيسية تعتمد على المراسلين اللبنانيين ـ وهم صحافيون محليون يقبضون ثمن كل خبر ـ أكثر من اعتمادها على موظفيها . في رحلة وايت السابقة لم تكتفِ الصحافة بتأمين التغطية الإعلامية كان الصحافيون عنصر صداقة وصُحبة وأقام علاقات وثيقة مع البعض منهم . أما الآن فقد غابت الوجوه المألوفة وفضّلتْ أن تراقب المهمة من مكان آمن في دمشق أو في لارناكا . كان وايت في لحظات الشدة أو الملل ، يتمتّع بشربِ كأس في بار فندق الكومودور . أما في هذه المرة فكل ذلك مفقود استهلكته وحشية المدينة . وكان لا يستطيع مغادرة

غرفة الفندق دون مواكبة مسلحة .

لقد فوجىء السفير الأميركي جون كيلي عندما علم بعودة تيري وايت . ولم يعلمه أحد من قبل فاعتقد أنّ ذلك خطأ وأرسل برقية الى واشنطن : « عادوايت ، إنه في وضع خطير » .

حالما وصل الى فندق ريفييرا ، بدأ وايت بإبعاد نفسه عن قضية إيران ـ كونترا .

ونفى أن يكون قد بحث موضوع صفقات الأسلحة : « لو كان صحيحاً أن قمت بذلك لكنت خائفاً جداً ولما عدت إلى هنا . ولهذا عدت الى هنا بكامل وعيي وسوف أجتمع مع أيّ كان » . كانت خطته أن يجول على الزعماء اللبنانيين ومنهم من لم يلتقه من قبل . لقد أراد أن يظهر مرة أخرى في بيروت الغربية غير منزعج مما افتضح في واشنطن . إنَّ مشهده وهو يصافح زعماء الطوائف سيكون رداً قاسياً على الذين اعتقدوا أنّه تعرض للشبهة . لقد كانت هذه المهمة ، كما فهمها زملاؤه مثل سمير حبيبي ، إستعادة الثقة . لكن بدا واضحاً أنه حالما وصل وايت الى بيروت كان يأمل بلقاء الخاطفين . ومع أنه تلقى نصائح بعدم لقائهم فإن مردود الإفراج عن أحد الرهائن كان كبيراً جداً . إذ وصف مهمته أنها كانت على صعيدين « الصعيد الدبلوماسي العام والصعيد البعيد عن الأنظار » والبعد عن الأنظار يعني لقاءً سرياً مع محتجزي الرهائن الأميركيين .

وفي صباح اليوم التالي لوصوله شهد وايت مدى خطورة الوضع الذي وصلت إليه تلك المدينة . فقد عقد مؤتمراً صحافياً في بهو الفندق وبعد ذلك وافق على أن يتمشى على شاطىء البحر ليسمح للمصورين بالتقاط الصور . وكان من ضمن هؤلاء عدد قليل من الغربيين ومنهم روجيه أوك وهو مصور فرنسي . وبعد نصف ساعة من مغادرته فندق ريفييرا عاد أوك إلى شقته مع المراسل بول مارشان الذي قال فيما بعد : « كنت قرب مدخل البناية أنتظر روجيه عندما قدم رجلان واحد مسلح بمسدس والآخر ببندقية رشاشة من نوع كلاشينكوف وهمّا بالقبض عليّ فأخذت أصرخ وجريت هارباً فأطلق أحدهما النار في الهواء فركضت وأنا أصرخ منادياً روجيه أوك ، الذي كان يهم بالنزول من البناية ، محاولاً الهرب لكنه لم يفعل إذ عندما ترك المدخل قبضا عليه .

كانت نكسةً قبل أن تبدأ مهمة تيري وايت . وساد إعتقاد بأن الخطف يرتبط بزيارته . واعتقد البعض أن الخاطفين كانوا يستغلون مهمته للفت الإنتباه إلى أن مطالبهم لم تستجب . فكان على وايت أن يواجه اعتقاداً مريعاً بأنّ وجوده في بيروت يشجع على إحتجاز رهائن آخرين .

لذا توسل في ذلك المساء إلى الصحافيين الأجانب الإبتعاد عنه وناشد أحد الصحافيين الأميركيين الذي إتصل به من لندن « لا أنصح أحداً بأن يحضر الى هنا في هذه اللحظة . أعتقد أنه على الجميع أن يبقوا بعيدين » . كذلك اتصل به

أحـد أصدقـائه وهـو صحافي بـريطاني فقـال لـه وايت : « ابق بعيداً . إن جميع أنواع البشر يتجولون هنا » .

وعلى أي حال فقد كـانت اللقاءات العلنيـة مع الـزعماء اللبنـانيين تسير بشكـل جيد . فتنـاول وايت طعام العشـاء مـع الزعيم الدرزي وليد جنبلاط وتحدث الى رئيس مجلس النواب حسين الحسيني . وفي اليوم التالي قابل نائب قائد ميليشيا أمل والأمين العـام لحزب البعث المـوالي لسوريـا والشيـخ محمـد مهـدي شمس الدين نـائب رئيس المجلس الاسـلامي الشيعي الأعلى . وقـد علقت إحدى الصحف على تلك الإجتمـاعـات بأن زيارته كانت « زيارة رجل دولة أكثر ممـا هي زيارة مفـاوض سري » .

كان تيري وايت مسـروراً بحفاوة الإستقبـال . لقد رحّب الجميع بمهمته وتمنوا له النجاح . إذ كان الـرهائن عـائقاً أمـام حل مشاكل لبنان الشائكة . لكنّ الأهم من ذلك هو انه لم يكن هناك أيّ تلميح باهتزاز وضعه تحت تأثير قضية إيران ـ كونترا . فلم يذكر ذلك أيّ من الزعماء . فارتفعت معنوياتـه وقال لأحـد أصـدقائـه بلهجة المنتصـر : إنَّ « القضية » لا يبـدو أنهـا تؤثـر هنا .

في يـوم الأربعاء في ١٤ كـانون الثـاني / ينايـر دعـا الى مؤتمر صحافي وأفاد عن تقدم جيد : « أنا سعيد لأنني عدت . الوقت مناسب والجو مناسب » . وكشف عن تفاؤله قائلاً إنه قد يزور عواصم عربية أخرى ـ في إشارة منه إلى الكويت .

وقال حرفياً : « هناك خطط لذلك » .

أبدى وايت في إتصالاته الهاتفية اهتمامه بالطريقة التي تغطى بها زيارته .

فسأل أحد المراسلين : « ما هي الأنباء التي تلقيتها عني ؟ » » وإمتحن مراسلاً آخر : « كيف كانت التغطية في أميركا ؟ » وسأل ثالثاً : « هل شاهدت الصحف الإنكليزية ؟ » .

وهكذا أفعم بأسئلته جميع من اتصل به .

لكن عندما ذكر له أحد المتصلين أنَّ تقرير هيئة الإذاعة البريطانية كان سلبياً ، خاف وايت وقال عن المراسل : « إنه كذا وكذا . . إنّه تهديد لي . . . هذا ليس في مصلحتي » . وكان المراسل نفسه قد كتب من قبل عن زيارته لبيروت مع أوليفر نورث فاشتكى وايت : « إنه غير صحيح لم أحضر إلى هنا عدة مرات مع ذلك الرفيق » . وفيما بعد عاد الى الموضوع وقال إنه يريد أن يثبت أنَّ المراسل على خطأ .

كان وايت يشك في أنَّ هناك من يستمع إلى مكالماته وأنَّه قد يستغل محادثاته ليؤكد إستقلاله . وفي مجرى إحدى المكالمات فاجأ أحد أصدقائه بقوله « أنا لست ، وأكرّر ، لست عميلاً للحكومة البريطانية ولا للحكومة الأميركية وفي هذه الزيارة لم أتصل أبداً بالولايات المتحدة ولا ببريطانيا ولا بأي إدارة حكومية أخرى ، لم أتصل وتحديداً لم أتصل » .

ولو تقيّد وايت بخطته لغادر بيروت يوم الخميس مجرياً محادثات لمدة يومين ومعيداً بناء سمعته كوسيط شريف . لكنّه اتصل بالدكتور عدنان مروة الذي عمل سابقاً وسيطاً بينه وبين الخاطفين . وكان الدكتور مروة يعتقد أنّ زيارة بعض الرهائن ومشاهدتهم قد تكون ممكنة . وإستناداً إلى مروة هذا ، فإنّ وايت قال له إن لديه معلومات تتعلق بالكويت ويرغب في إيصالها للخاطفين . ووعد مروة بأن يعود إليه .

وهكذا جُذب وايت الى الذهاب نحو الجائزة الكبرى : إجتماع مع الخاطفين . فصورته في بيروت يمكن أن تقنع الرأي العام ، ولكن الصحافيين الذين يعرفون لبنان جيداً سيطرحون عليه أسئلة كثيرة . لم يشأ أن تظهر رحلته مسألة علاقات عامة كما كان يفعل بعض المراسلين . وهكذا ومن خلال الدكتور مروة وجد فرصته لإبعاد جميع هذه الأسئلة مرة واحدة وأخيرة .

وبينما كان وايت في الفندق ينتظر ردّ الخاطفين أضيف عنصر خطر آخر الى مهمته . ففي ١٣ كانون الثاني / يناير أي بعد يوم من وصوله حصلت حادثة توقيف بالصدفة في مطار في ألمانيا الغربية . فقد وصل شاب لبناني يدعى محمد علي حمادة إلى فرانكفورت على متن رحلةٍ جوية مباشرة من بيروت . وكان يحمل ما بدا أنه ثلاث زجاجات من النبيذ والتي تبين بعد التفتيش أنها مليئةً بمادة « ميثل نيترات » وهو سائل متفجر قوي . وكانت لعائلة حمادة وهي من وادي البقاع ،

روابط وثيقة مع حزب الله إذ كان أحد أشقّاء حمادة وهو رئيس جهاز الأمن في الحزب . وكان محمد علي حمادة صديقاً لعماد مغنية . وقد إشترك كلاهما في خطف طائرة TWA عام ١٩٨٥ .

بعد بضعة أيام تلقى حبيبي إتصالاً من وزارة الخارجية الأميركية يحذّر من أن توقيف حمادة قد يعرّض تيري وايت للخطر . فاتصل حبيبي على الفور ببيروت . وقال لتيري وايت « لديَّ رسالة من الأصدقاء . أنت تعلم لقد وقعت حادثة في أوروبا . . » مضت لحظات قبل أن يدرك وايت عما يتحدث صديقه ولكنه كان قد سمع فعلاً عن ذلك التوقيف في محطة إذاعة على الموجة القصيرة فحجة حبيبي على أن يكون حذراً ولكن وايت كان يعتقد ـ خطأ ـ أنَّ ذلك لا علاقة له بالأشخاص الذين يتعامل معهم .

ثم تلقى تحذيراً آخر لمكالمة غريبة من دبلوماسي بريطاني ، مدركٍ حساسية إتصاله كدبلوماسي بريطاني مع تيري وايت ، فقدم نفسه باللغة اللاتينية . « مساء الخير! أنظر هذه رسالة موجزة عليَّ أن أوصلها إليك . إنها رسالة من لندن . أريد أن تكون عاقلاً . سوف أحدثك باللغة اللاتينية هل تجيدها ؟ .

ـ قال وايت : نعم .

ـ أنا القنصل البريطاني .

ـ أجاب وايت : آه حسناً .

ـ إسمي فرانك غالاغر .

ـ وايت : نعم .

وبعدما إضطرب في تقديم نفسه باللاتينية ، أنهى القنصل البريطاني محادثته بالإنكليزية . وذكر توقيف حمادة وقال إنّ لديه رسالة من « جماعتنا » وقرأ ما بدا أنّه برقية من وزارة الخارجية البريطانية من لندن : « دون شك إنّ السيد وايت سوف يفهم أنّ هذا يتعلق بأمنه الشخصي » . وكان القنصل هادئاً في مكالمته ثم أقفل الخط . لكن وايت كان بارداً تجاه الدبلوماسي وتعجب كيف يشتبه لبناني عديم الثقافة بشخص يتحدث اللاتينية . وما جعل المكالمة كوميدية هي أنّ الأحداث العرضية قيلت باللغة اللاتينية بينما قيلت المعلومات الحسّاسة باللغة الإنكليزية .

أدرك وايت أنه سيكون الرهينة المثالية لاستبدالها بحمادة . وفي اليوم الذي تلا التحذيرات أدرك أن « بعض الناس في بيروت يمكن أن يحاولوا القبض على شخص ما للمساومة وسوف أكون نظيراً جيداً للمساومة » . لكن معرفة الخطر الزائد لم تردعه عن الأمل بلقاء مع الخاطفين وجهاً لوجه .

بعد ذلك بقليل إختُطف أجنبي آخر ، فتخوف وايت وأصيب بالخيبة تجاه الأجانب الذين ما زالوا يسافرون الى

بيروت : إن ذلك يؤدي الى تعقيد مهمته . كان الرهينة الجديد رجل أعمال يتاجر بالمنتوجات الصيدلية . لم يبدُ أن وايت أدرك أن الرهينة الجديد هو ألماني غربي وأنّ خطفه كان له علاقة مباشرة بتوقيف حمادة في فرانكفورت . فاشتكى هاتفياً إلى أحد أصدقائه : « يجب أن لا يحضر أيّ أجنبي إلى هنا إلا إذا كان لديه عمل يؤدي الى حياته أو موته » .

نحن لا نستطيع الإستمرار في تحمل مسؤولية محاولة الإفراج عن الرهائن إذا حضر الناس إلى هنا بإرادتهم وغير آبهين بالأخطار . فلدينا ما يكفينا لنعمل به . ولا يمكننا أن نتولى المزيد من القضايا . يا ربّ! قل لقد إكتفينا . أنا لا أعلم كم هو العدد الآن . أناس يحضرون الى هنا مثل ذلك الذي يبيع منتجات صيدلية . إفترض انه يبيع الترياق ويحاول أن يحد من إنتشار مرض الأيدز . فهو في الحقيقية يبحث عن المتاعب . أنا لا أدري أيَّة حاجة لوجوده هنا » .

يوم الجمعة تحدث وايت مع الدكتور مروة مرة أخرى . لم يكن هناك أنباء . فبدأت معنويات وايت تتلاشى . وبدأت لهجة التراجع تظهر في صوته أثناء الإتصالات الهاتفية مع الصحافيين ، إذ قال لأحد المتصلين : « يمكنك دائماً أن تشهد المفاجأة » . ومع أنه كان متفائلاً بالوصول الى حل لمسألة الرهائن فقد قال : « إنها لن تحصل قبل نهاية الأسبوع » .

حضر العديد من الناس إلى الفندق لمقابلته : وفد من

المواطنين اللبنانيين الذين لديهم أقارب مفقودون . زوجـة أحد الـرهـائن الأميـركيين . وبعض المـراسلين . لكن كـان هنـاك ساعات لم يجد أثناءها شيئاً يقـوم به ولا أحـداً يتحدث إليـه . فـطلب من أحد الصحـافيين في المـدينـة أن يحضـر لـه بعض شرائط التسجيل لموزارت ومونتفردي . لقد أزعجه الإنعزال . فقال لأحد المتصلين به : « أنت تجلس هنا وحيداً ولا يرشـدك أحـد وعليك أن تـأخذ جميع القـرارات بنفسـك . إنـه وضـع مضحك . ولا يوجد أي شخص يشاركك ذلك الوضع » .

وعندما سُئل ما إذا كان قد سمع شيئاً من الأسقف ، قـال بلهجـة إزدراء : « إذا اتصل بي فسيكـون ذلك شيئـاً جديـداً . أليس كذلك . لم أسمـع شيئاً من مكتبي » . هـذا السؤال فتح البـاب أمام سلسلة من الشكـاوى . فتذكـر ما قـام بـه صبيحـة مغـادرته : « لقـد ذهبت بنفسي إلى المطار . لقـد كنت عصبياً في ذلـك الصبـاح لأني كنت أحـاول أن أنـظف كـل شيء في مكتبي . كان عليَّ أن أدع لنفسي وقتاً لأمشي إلى مكان إنطلاق الـطائرة » (يتـذكر أن سميـر حبيبي طلب لـه تـاكسي) ويبـدو بوضوح أن وايت كان يشعر بـالمرارة من مستـوى الدعم الـذي قـدمه مكتبـه له . يقـول : « إنهم حتى لم يدفعـوا لي شيئاً » . وعنـدما حـاول أحـد المتصلين بـه أن يمتـدحـه قـائـلاً : « إنَّ الشهداء لا يتقاضـون رواتبهم » أجاب وايت : « وهم أيضـاً لا يلقون من الحياة أي مريح » .

ولشدة ما غضب من تقـرير لـوكالـة أنباء يقـول انَّ إحدى

الميليشيات الإسلامية قد أبـدت استياءهـا منه . فـإنفجر وايت قائلاً : « أنا أتعجب في بعض الأحيان مما إذا كنت أتعامـل مع مجانين! » مشيراً الى عدم الدقة في التقارير . ومع مرور الأيام بدأ صبره ينفذ من الصحافيين في بيـروت فقال شـاكياً : « إنَّهم جدّ أغبياء هنـا . إنهم يغيظونني . لأنهم سمجـاء . وهنا تجـد قعر البرميل » .

وفي اليوم التالي السبت في ١٧ كانون الثاني / ينايـر كان لـه موعـد مع الشيـخ محمد حسين فضـل الله الزعيم الـروحي لحزب الله . والذي كان الأميركيون ينظرون إليـه على أنه أحـد عـرَّابي الإرهاب الشيعي ويعتقـدون أنه متـورط في تفجير مقـر قيادة مشاة البحـرية وهجمـات أخرى على أبنيـة أميركيـة . في آذار مارس ١٩٨٥ كان فضل الله هدفـاً لمحاولـة إغتيال عنـدما إنفجرت قنبلة تبلغ وزنها ألفي رطل خارج منـزله . فقتـل إثنان وستون شخصاً وجرح أكثر من مـائتين وقيل أن المجمـوعة التي نفـذت هذا التفجيـر قد تمَّ تـدريبها وتمـويلها بـواسـطة وكـالـة المخابرات المركزيـة الأميركيـة . ويقول البعض ممن يعـرفون الـطائفة الشيعيـة بشكلٍ جيـد إنهم ليسوا متـأكـدين من تـورّط فضل الله المباشر في الإرهاب .

توجه وايت بمواكبة مـرافقيه الـدروز الى منزل فضـل الله في بئر العبد وهي معقل شيعي في الضاحية الجنوبيـة . إحتكَّ مرافقوه بمقاتلي حزب الله الملتحين الذين كانوا يحرسون منزل

فضـل الله . وكان حـزب الله قد تقـاتل مـع الدروز في منـاسبة سابقة .

كان فضل الله يرتدي عمامة سوداء وجُبَّة بنيَّـة ، ويجلس على كرسي خشبية مقـابل الحـائط . كان سميناً لحيته مـرقطة بـالشعـر البني ، عينيــه كـانتـا سـوداوين يقـظتين لا يمكن إختـراقهما . أشـار إلى تيـري وايت أن يجلس على أن يجلس المتـرجم بينهما . وكمـا هي العادة في الشـرق الأوسط ، كان على وايت أن يشـرح قضيتـه في وقت قصيـر . إذ كـان هنـــاك الكثيـرون ينتظرون في القـاعة لمقـابلة الشيخ ومـع أن بعضهم كانوا غير معروفين إلا أنهم كانوا نافذين في الطائفة الشيعية .

قال فضل الله ، إنَّه كان قد جرى حوارٌ من قبل ووعـود . فقال وايت وهو يعتقد أنَّ الشيخ يشير الى الوضع في الكويت ، إنَّــه يمكن الآن حصـول تقــدم في مــوضــوع السجنــاء في الكويت . « إنَّ له في هذه اللحظة رسولاً في الكويت يتوقع أن يسمـع منه شيئـاً . فلم يُبـدِ فضـل الله أيـة ردّة فعـل على هـذه الأنبـاء . قال وايت أنَّـه يرغب في لقـاء أي شخص قد يسـاعد على حــل هــذه المشكلة . فقـــال فضـــل الله إن المـعنـيـن بـالمـوضـوع يعـرفـون كيف يصلون إليـه ، فتجنَّب أيَّـة إشـارة للخاطفين إذ كان ينفي دائماً أن يكون له أيّ نفوذ عليهم . وقال إنه يرحب بوايت كممثل للكنيسـة وآملاً أن تحقق زيـارته حـلاً عادلاً فتصافح الرجلان وإنتهى الإجتماع .

إعتقد وايت أنَّ الإجتماع كـان جيداً . وفيمـا بعد ، وفي ذلـك المساء تلقى إتصـالاً ثـلاثيـاً سميـر حبيبي من الـولايـات المتحـدة ومن كمـال خـوري من لنـدن . فسجــل حبيبي تلك المحادثة :

وايت : هذا المساء ذهبت لمقابلة الشيخ فضل الله .

حبيبي : أوه ممتاز!

وايت : وكـان لنا حـديث جيّد وعليَّ أن أنتـظر هنا ربمـا حتى الإثنين .

حبيبي : أوكي جيد .

وايت : أريد أن أرى ما إذا كان سيحدث شيء ما . وإذا أمكن فإننا نقوم بشيء ما على الجبهة الأخرى ، أعتقد أن هناك بعض الحماس .

خـوري : أنا سـأتحرك مبـاشـرة . ليس لـدي عمـل في الغد .

وايت : ممتاز!

خوري : في الصباح .

وايت : ممتاز . حسناً تفعل!

خوري : عليَّ أن أكون هنـاك في المساء وسـأعمل يـوم الأحـد في المـوضـوع . وآمـل أن أقـابـل أحــداً في أوائـل الأسبوع .

كانت الجبهة الأخرى التي أشار إليها وايت هي الزيارة المقترحة الي الكويت . ويبدو من هذه المكالمة أنه لم تكن قد اتُّخذت أيةُ ترتيبات . حتى خوري لم يكن قد ذهب الى الكويت . ولذلك كان وايت يخاطر كثيراً عندما طلب مقابلة الخاطفين . فلقد حذّروه من قبل أن لا يعود دون أن يكون بحوزته شيء ما حول موضوع المعتقلين في الكويت ، ومن غير المحتمل أن يقتنعوا بموضوع زيارة الكويت ، إعتقد خوري أنّ بإمكانه أن يجري إتصالات مع المسؤولين في أيام قليلة لكنه توقع أن تمتد المحادثات إلى عدة أسابيع . ولم يتخيل أنَّ بإمكان المبعوث الأنغليكاني أن يسافر من بيروت الى الكويت . فلقد أصبحت مهمة تيري وايت الأخيرة مزيجاً وهمياً من التفاؤل والتبجح .

ويوم الأحد في ١٨ كانون الثاني / يناير ذهب وايت بصحبة مرافقيه الى الكورنيش ليتمشى ، فكانت فرصة له للخروج وفرصة للصحافيين ليلتقطوا له صوراً . قال : « إذا لم أمارس أيّ تمرين فسوف أموت » . كانت مناسبة مريحة . فقد أحضر معه زجاجة بيرة وأخذ يرتشفها تحت شمس الشتاء . وكان الحراس توّاقين ليعرفوا متى ستنتهي الزيارة . فسألوه عدة مرات : « متى ستغادر ؟ » لكنهم لم يستطيعوا أن يعرفوا ما كان يفعل .

وفي نهاية الأسبوع كان هناك لقاءٌ آخر مع الدكتور مروة . فقد أراد الخاطفون أن يتكلموا . سُرّ وايت وقال لأحد

الصحافيين الذي كان يثق به : « قال لي أصدقائي إنهم يريدون مقابلتي . ولهذا يبدو أنهم إما يريدون الكلام أو الإمساك بي ! » وأنهى كلامه بضحكة .

لكن كانت هناك عوائق . فبينما كان يحضّر للذهاب الى اجتماع آخر مع الدكتور مروة ، أعلمه مرافقوه أنهم لن يتمكنوا من اصطحابه . لقد تعرضت قافلة سيارات تضم رئيس جهاز الأمن لدى الدروز الى كمين قرب المطار . فأصيب رئيس الجهاز بجراح وقتل أحد مرافقيه . فأصيب وايت بالإحباط : « في كل مرة تبرز لنا صعوبات » . إذ كان لا يستطيع مغادرة الفندق دون حراسة . لكن معرفته أن الخاطفين أرادوا لقاءه كانت سبباً كافياً لتأجيل رحيله .

وبحلول يوم الإثنين كان متفائلاً أكثر من أيّ وقت مضى بزيارته . قال أمام مؤتمر صحافي : « هناك فرص جيدة لإطلاق سراح تيري أندرسون وتوماس سذرلاند ، وكانت منظمة الجهاد الإسلامي قد أكدت له أنها كانت « تعتني بهما » وأنهما كانا في حالة جيدة . وعندما سُئل عما إذا كان قد أجرى لقاءً وجهاً لوجه مع « الجهاد الإسلامي » قال : « نعم بالتحديد . أوه نعم إننا نتحادث » .

وعند المساء وعندما لم يبدر شيء عن اللقاء الذي كان يسعى إليه ، بدأ وايت يخطط للعودة الى لندن . فحجز على طائرة نهار الثلاثاء في ٢٠ كانون الثاني / يناير . قائلاً إنه يأمل أن يعود خلال ثلاثة أو أربعة أسابيع . وتوقع حرّاسه الدروز أن

يغادر كما توقع ذلك أيضاً سمير حبيبي في الولايات المتحدة . ومع أنه لم يُطلق سراح أيَّة رهينة ، فإن وايت شعر بأنه حقق ما كان يريد . فلقد أثبت إستقلاليته كمبعوث إستأنف اتصالاته بطريقة غير مباشرة مع الخاطفين . وإذا تمكن من الذهاب الى الكويت فهو يأمل بتحقيق المزيد .

كانت أول إشارة تلقاها الدروز الى تغيير في الخطة هي عندما طلب وايت من أكرم شهيِّب المساعد الشخصي للزعيم الدرزي ، أن يحضر الى الفندق ثلاث حقائب مختلفة الألوان . وطلب أيضاً ثياباً شتوية وسترةً جلدية ونظارات سوداء . دون أن يقدم أيّ تبرير لذلك .

وفي وقت ما من يوم الثلاثاء وهو اليوم المتوقع لرحيله ، تلقى رسالة من الخاطفين . إنهم مستعدون للقائه . لقد كانوا قلقين من أنّ معنويات الرهائن متدنّية ، تتدهور باستمرار وكان هناك تلميح واضح إلى أنه قد يُسمح له بمشاهدتهم وهو شيء لم يحققه في أيٍّ من زياراته السابقة . كان ذلك حافزاً قوياً بالنسبة الى رجل عاد من أجل إستعادة سمعته كمبعوث مستقل : زيارة الى الرهائن تمحو كل إدعاء بأنه كان أداة بيد الأميركيين .

أعلم حراسه أنه أجّل رحيله وأنه سيلتقي الخاطفين . فكانوا قلقين جداً . وطلب إليهم أن يأخذوه الى عيادة الدكتور عدنان مروة . وهناك عليهم أن يتركوه . لقد كان مُلحاً في طلبه : فلا يجوز أن تلاحقه أي سيارة ولا مراقبون ولا أن

تجري محاولة لتبيان المكان الذي يـذهب إليه . فـاحتجَّ رئيس الحـرس المولـج بحمايتـه بشدة : لا يمكنهم ضمـان أمنـه إذا تركوه وسيكون أمراً خـطيراً عليـه فأجـابهم وايت : « إنَّ عملي مليء بالمغامرات وعليَّ أن أقوم بذلك » .

وقبـل أن يغـادر الفنـدق تفحص وايت جميـع مـلابسـه وحـاجيـاتـه الشخصيـة بحثـاً عن أي شيء يمكن أن يشتبـه بـه الخاطفون على أنَّه جهاز مـلاحقة ألكتـروني ورمى قلمه جـانباً مظهراً للحراس ساعته التي لا تحتوي على بطاريات ، واضعـاً معطفه سائراً باتجاه بهو الفندق . فالتقط أحد المصورين صورةً لـه وهو يصعـد سيارة « رانـج روفر » حمـراء ، يـرافقـه ثـلاثـة حرّاس . كان ذلك الساعة السابعة إلا ربع مساءً .

كانت العيادة قريبة . وكان الدكتور مروة من عائلةٍ شيعية مرموقة . وكان الأميركيون يظنّون أنَّه كان يـزور الرهـائن عندمـا كانوا يمرضون . ومع ذلك فلم يتأكدوا من صحـة ذلك . ورأى وايت أنَّـه ذكي وشـريف . ولم يبـدُ مـروة أنَّـــه رجـل يصـــادق أشخـاصاً خـطرين . انه قصيـر القـامـة ، ذو شعـر خفيف وفي الخمسينات من العمر .

خارج العيادة ، حثَّه الحراس مرة أخرى على ألّا يـذهب وحيداً . فهزَّ وايت رأسـه قائـلاً لهم : « إذا لم تفعلوا ما أطلبـه منكم قد أموت أنا والرهائن » ثم شكرهم لإهتمـامهم وقال أنـه إما أن يراهم مرة أخرى في الفندق أو يتصل بهم عند الحاجة .

وقبيل الساعة السابعة مساء دخل العيادة وإلتقي الـدكتور مـروة . وإستناداً الى الأخيـر ، فـإنّـه قـال لـوايت أنّـه سيتلقى إتصالاً وأنهما سيؤخذان إلى بنايـة اخرى . فـاقترح وايت كمـا فعـل في زيـارتــه الأولى الى لبنـان أن يتحقق من أن الشخص الذي سيحضر هـو فعلاً من الخـاطفين . وأشار إلى مجلة على الـطاولة قـائلاً أنّـه سيطلب من الـرجل أن يلتقط صـورة لأحـد الرهائن وهو يمسك بها .

تحدث الرجـلان لمدة أربعين دقيقـة إذ قاطعهمـا جرس الهـاتف . كانت هنـاك حالـة طارئـة في المستشفى : فإحـدى النسـاء تلاقي صعـوبة في الـولادة والمستشفى بحـاجـة إليـه . إدعى الدكتور مروة أنّه قـال لوايت إنـه سيعود بعـد قليل . ولم يكن وارداً أن يغادر وايت العيادة دون مروة .

وعنـدما عـاد بعد سـاعة ونصف ، كـان تيـري وايت قـد ذهب . ولم تكن هنـاك أيّة رسـالـة أو إشـارة الى عـراك . ولم تكن المجلة التي أشار إليها تيري موجودة . فافتـرض الدكتـور مروة أنه خلال الوقت الـذي غاب فيـه عن العيادة يمكن لـرجل الإتصال أن يأخذ المجلة ويلتقط صورة لأحد الرهـائن ثم يعود ويقنـع وايت بأن يـذهب معه . ومهمـا يكن وايت تـواقـاً للقـاء الخـاطفين فإنـه من غير المحتمـل أن يغـادر دون أن يتـرك أيّـة إشارة .

أما الدروز فيروون قصة مختلفة : على الرغم من إصرار

وايت على الـذهاب وحيـداً فإنهم ركـزوا رجلاً في بنـاية مـركز هيكل المقابلة . وإستناداً الى أكرم شهيِّب لاحظ الـرجل وايت والـدكتور مـروة يجتمعان مـع شخص يعتقد أنـه عماد مغنيـة . لذلك يعتقد الدروز أن وايت قد أُخرج من البناية عبر ممر تحت الأرض يؤدي الى الجامعة الأميركية وبعـد عدة سـاعات إتصـل رئيس الحـراس الدروز بـالعيـادة وسـأل الـدكتـور مـروة : أين تيري ؟ لكن مروة كان قلقاً . فشـرح أنَّ وايت قد غـادر دون أن يصطحبه وأنـه لا يعرف أين هـو . وأضاف الـدكتور مـروة أنَّـه إتصل بالشخص الذي كان لقاؤه مقرراً مع وايت لكن الشخص قال أنَّه لم يرَ وايت وإدعى أنَّه توجه الى العيادة للقائه فلم يجده هناك .

شكَّ الدروز بالموضوع فوراً وإلتزموا الصمت لمدة أربع وعشرين ساعة لأنَّ وايت ألحَّ عليهم عـدم محاولـة العثور عليـه فاعتقدوا بإمكان أن يكون قد ذهب الى البقاع وأنه قـد يعود في اليـوم التالي . ولكن وبحلول يـوم الخميس أي بعد يـومين من إختفائه قرروا التحقيق في الموضوع . فتوجّه أكرم شهيِّب للقاء الشيخ فضل الله فبدا الشيخ قلقاً : سنقف ضد كـل من يحتجز تيري وايت . ولأنه كان رئيس جهاز أمن زعيم الدروز فإن لدى أكرم معلومات حول الجهة التي تقف وراء إحتجاز الرهـائن لذا طلب لقاء عماد مغنية .

إتصل مغنية بأكرم في اليوم التالي واقترح لقاءً في فنـدق سمرلاند على الفور . وبعد ساعات جلسـا معاً فنفى مغنيـة أيَّ

علم لــه عن تيــري وايت ، إنــه لم يشــاهــده ولم يخــطط لمشاهدته . فوعد بأن يبحث في المسألة ويردَّ عليه جواباً خلال أربـع وعشرين سـاعة لكنـه لم يتصل . وعنـدما حـاول الدروز الإتصال به قيل لهم إنه موجود خارج المدينة .

في البـداية كـان قصر لامبث هـادئـاً . قيـل إنَّـه يجـري « محادثات هـادئة » وحتى بعـد مرور سـتـة أيام ، كـانت ثقتهم ثـابتة : « ان السيـد وايت منغمس في مفـاوضـات سـريـة مـع الخاطفين لكنه في أمان وبحالـة جيدة » . وسـرعان مـا أدركت الكنيسـة الانغليكانيـة ، التي اختـارت العمـل بـالـدبلومـاسيـة الخـطرة ، حدودهـا . فتحوَّل الاسقف إلى وزارة الخـارجية . وهناك كانوا يتلقون التقارير بصورة رئيسية من الـدكتور مـروة ، وكـانت تفيد أن وايت هـو « ضيف » وأنَّهم يعتنون بـه . وفيمـا بدأت الحكومة البريطانية بتـوجيه النـداءات وتمحيص التقاريـر المشكوك بصحتها أدركت أنها عاجزة مثل بقية الحكومـات عن إستعـادة مواطنيهـا . وكما قـال تيـري وايت نفسـه : « عنـدمـا أتخلى عن أمني فأنا دائمـاً معرض للخـطر » كان فقـدان وايت إهـانةً للدروز ، فلقـد إستضافـوه وأكرمـوه . وإن الفشـل يعني العار أما بالنسبة لوليد جنبلاط زعيم الدروز فكانت إهانةً موجهةً لـه ولشعبـه : « إن احتجـازه يعتبـر عمـلاً معـاديـاً لـلإسـلام وللضيـافة » . وأعـطى أوامر لعنـاصـر حـزبـه بـأن يفتشـوا عن تيري وايت بشكل دقيق .

وتوجه جنبلاط للقاء فضل الله طالباً منه إستعـادة وايت .

فانحنى أمام الشيخ ، وهو عمل وضيع يقوم به أحد زعماء الطوائف في لبنان ، وناشده : « لا تربكني . فإذا أردت خذني رهينة ، لكني أطلب تسلّم السيد وايت » فوعد الزعيم الشيعي بالمساعدة ، لكن الدروز شككوا في مصداقيته . ولم يغادر جنبلاط دون أن يوجه تحذيراً من أنه إذا حدث شيء ما لتيري وايت فانه سينتقم . وكان هذا النوع من التهديد مفهوماً تماماً بين الميليشيات وربما ساعد في إنقاذ حياة وايت .

وفي إحدى المرات إعتقد الدروز أنهم حددوا المنزل الذي كان يحتجز فيه وايت . ففكر جنبلاط في محاولة إنقاذ أو في خطف أحد أقرباء مغنية ، لكنه لم يكن مستعداً للبدء بجولة قتال جديدة من أجل تيري وايت . وبعد بضعة أسابيع كان جنبلاط يحارب من أجل بقائه ، في جولةٍ أخرى من الحرب الأهلية اللبنانية ، مصرّحاً : « هناك مشكلة سياسية أهم من تيري وايت » .

وانتشرت الشائعات . وكانت هناك مشاهدات . ففي ٥ شباط/ فبراير قال سائق تاكسي أنّه شاهد وايت يتمشى في الضاحية الجنوبية بمواكبة عشرة مسلحين وأربعة ملالي معمّمين : « رأيته يبتسم ويلوح بيده أثناء سيره » وصرح سائق آخر أنه رأى الشيء نفسه . وبعد ذلك شوهد وايت في قافلةٍ مؤلفة من ثلاث سيارات تتجه الى وادي البقاع . ومن الممكن أنّه كان يجري مفاوضات ، إلا أنها مجرّد أخبار نفاها آخرون . وبعد أسبوعين من إختفائه إتصل أحد قادة الميليشيات في

بيروت الغربية بوكالة رويتـر ، وقال : « معلومـاتي أن وايت لن يعود . إنَّه مخـطوف . لقد أضيف الى لائحـة الرهـائن منذ أن غـادر دون مرافقـة » . كانت الحقيقـة مقلقـة لكن الـزمن أثبت صحة هذا الإدعاء .

١٧

ما هذا الغباء الفظيع ؟

كان توقيت المهمة هو الأسوأ بالنسبة لتيري وايت . فقد تآمرت الأحداث ضده . فقبل يوم واحد من ذهابه للقاء الخاطفين حدثت ثلاث هجمات ضد حقول النفط الكويتية . وأعلنت « المنظمة الثورية لقوات النبي محمد في الكويت » مسؤوليتها عن ذلك : وكانت إلكويت قد كشفت في الماضي أنَّ يداً إيرانية تقف وراء الأعمال الإرهابية التي جرت على أراضيها . وكان الكويتيون يعتقدون أن الأعضاء السبعة عشر في حزب الدعوة والذين هم الآن في السجن ، كانوا يتلقون توجيهاتهم من طهران . ولقد ردّ الكويتيون بعنف على هذه الهجمات ؛ فأعلن وزير الخارجية الكويتي أنه لن يكون هناك أيَّة تنازلات بشأن المعتقلين السبعة عشر . وأوجزت إحدى

الصحف الكويتية ذلك تحت عنوان : « لا صفقة من أجل سبعة عشر مجرماً وقاتلاً » . في تلك البرهة بالذات كان وايت يشرح للخاطفين أنّ لديه مبعوثاً في الكويت :

وزيادة على ذلك فقد أدرك الإيرانيون الذين كان لهم نفوذ قوي على حزب الله أنَّ قضية إيران ـ كونترا قد أغلقت الباب أمام أية إمدادات أسلحة أخرى من الولايات المتحدة . وبعد ثلاثة أيام من إختفاء وايت قال الرئيس الإيراني علي خامنئي في خطبة صلاة الجمعة : « إنَّهم صدوا جهود ريغان لإقامة إتصالات . لقد واجههم إخواننا في وزارة الخارجية بموقف إسلامي » . ولكن الحقيقة هي انه لم تكن هناك جهود من قبل الإدارة الأميركية : فالتعليق كان يدور في سياق الصراع على السلطة في إيران . وكان خامنئي يقصد بقوله « صدوا الأميركيين أن يصيب منافسه رفسنجاني الذي أجرى أحد أقاربه بعض المفاوضات مع الأميركيين هؤلاء وكان الهدف من هذا التلميح دفع رفسنجاني بإتجاه مواقف معادية لأميركا .

ويعتقد المسؤولون في واشنطن وباريس أن رفسنجاني قد وافق على إحتجاز وايت . فلقد عرّضته قضية إيران ـ كونترا للأخطار السياسية فبارك خطف تيري وايت من أجل المحافظة على موقعه السياسي .

كما وجرت أحداثٌ آخرى كان لها إنطباعات مشؤومة على مهمة المبعوث الأنغليكاني . ذلك أن الحكومة الأميركية

كانت تسعى الى استرداد محمد علي حمادة من ألمانيا الغربية بسبب دوره في خطف طائرة TWA عام ١٩٨٥ . وكان ذلك تذكرة لحزب الله بأنّ الولايات المتحدة لم تنسَ إساءته لها هذا وكان مغنية يعتقد أنّ وكالة المخابرات المركزية مصممة على الإنتقام لمقتل بكلي . لذا شجّع توقيف حمادة حزب الله على خطف المزيد من الرهائن ، ليس للمساومة عليهم فحسب بل ولضمان سلامتهم من أعدائهم أيضاً . وكان تيري وايت ، كما قال هو نفسه سابقاً ، أفضل من يُساوَم عليه .

إلا أن أكثر ما أضرَّ بتيري وايت كانت فضيحة إيران ـ كونترا . فمع أنه أدرك الضرر الذي أحدثته لسمعته في الغرب فإنه لم يستطع أن يقدّر تأثيرها على الخاطفين إلى أن التقاهم . ومع أنه كان من دواعي الاطمئنان أن يشعر بجديَّة معاملة مختلف الزعماء اللبنانيين له فإن أحداً منهم لم يكترث في النهاية . وقد كشفت قضية إيران كونترا للخاطفين أن إيران استفادت من إطلاق سراح الرهائن في حين لم يحصلوا هم على شيء . وهم كميليشيا موالية لإيران ، كانوا يتلقون منها السلاح والمال والإمدادات الطبية ، لكنهم لم يستطيعوا اطلاق سراح المعتقلين في الكويت ، ولا سيما صهر عماد مغنية . وبالمقابل فإن مساهمة وايت الطويلة في قضية الرهائن كانت بمثابة إسترضاء لهم وخداع في الوقت الذي كانت إيران والولايات المتحدة تعقِدان الصفقات من وراء ظهرهم . لقد بدا كلٌ الحديث عن التقدم وعن الأوضاع الحسنة للسجناء

وعن التبادل المنتظم للرسائل والتخفيف للأحكام وفكرة « أموال الدم » مجرد كلمات جوفاء . ومع ذلك فها هو بائع الأمس يعود ثانية ويعرض البضاعة نفسها .

كما أن وايت لم يكتف بتذكير الخاطفين بالوعود التي لم يفِ بها بل أثار شكوكهم . فلقد كشفت الصحافة أنه عقد إجتماعات مع أوليفر نورث . لذا لم يعد في نظرهم مؤهلاً ليكون مبعوثاً دينياً ، بل إعتبروه عضواً في فريق أميركي يعالج أزمة الرهائن . إذاً ما كان الهدف الحقيقي لعودته ؟ لقد كانت الروايات التي دارت بعد خطفه حول نشاطاته السابقة ، مؤشراً على مدى تراجع مصداقيته كمبعوث . فلقد إدعتْ منظمة التحرير الفلسطينية أنَّ وايت كان يحمل مليوني دولار عند إطلاق سراح ديفيد جاكوبسون . حتى الزعيم الدرزي وليد جنبلاط ، فإنه أخبر إذاعة بيروت أنَّ وايت كان يحمل « كمية من المال » خلال مهمته الأخيرة ، إلا أنه لم يقدم أيّ دليل .

أما إذاعة طهران فقد أعلنت أن تيري وايت إعتقل لأنّه جاسوس ، كما أعلنت منظمة العدالة الثورية أنّها عثرت على جهاز الكتروني لتحديد المكان مزروعاً تحت جلده . وقال وزير الدفاع السوري مصطفى طلاس لأحد المسؤولين البريطانيين أنه تمَّ العثور على جهاز وأنّ خبراء سوفيات يعملون في السفارة السوفياتية في دمشق تأكدوا من صلاحيته .

ومهما يكن مدى صحة هذه الرواية ، فقد بدا أنّ

الإيرانيين والخاطفين قد صدقوها . فصادر الحراس من الرهينة الألماني الفريد شميدت نـظاراته وقـالوا لـه أنهم أصبحوا أكثـر حذراً بعدما إكتشفوا آلة مع تيري وايت .

كذلك سمع الرواية نفسها روجر كوبر وهو بريطاني كـان محتجزاً في إيران لمدة خمس سنوات بتهمـة التجسس . وبعد إحتجاز وايت بوقت قليل سأل المحققون الإيرانيـون كوبـر عن صلتـه بتيري وايت . فقـال إنّه لم يلتق المبعـوث الأنغليكـاني أبداً . عندها قال المحقق أن وايت جاسوس فـأنكر كـوبر هـذا الإدعـاء ، لكنهم قالـوا بوجـود الدليـل لـديهم . وكـان قـد تم إكتشـاف آلة إسـتـراق سمع مـع وايت تبث إشارات راديـويـة . فقيـل لكوبـر أنه قـد عثـر عليهـا مخبـأة في شعـر رأسـه أو في لحيتـه . فقال كـوبـر : « هـذا يثبت أنّ وايت كـان يحـاول أن يستدرج الخاطفين إلى مكان إحتجاز الـرهائن وبـالتالي تمكين وكالة المخابرات المـركزيـة من تحديـد مكانـه ، بحيث يصبح الأميركيون قادرين على القيام بعملية إنقاذ ومع أنّ كوبر ثبّته إلى أن محققيه كانـوا يكذبـون عليه في بعض الأحيـان إلا أنّه كـان مقتنعاً بتصديقهم لتلك الـرواية : « لقـد أثارتهم الأنبـاء وعادوا إلى الموضوع في مناسبتين أو ثلاث » .

إلتقط البعض هذه الإتهامات ، فأعلن العقيد القذافي أنّ وايت خدع ليبيا وأنّه كان على علاقة مع أجهزة المخابرات ولم يكن الناس في الشرق الاوسط الوحيدين الـذين اقتنعوا بقضيـة جهاز التنصت إذ أنّ جون ليتـل وهو الـرجل الـذي كلفه أسقف

كانتر بري بالبحث عن وايت قال إنّ البعض في وزارة الخارجية البريطانية يشكون في أنّ وايت كان يحمل ذلك الجهاز .

كانت بعض هذه الأخبار قاسيةً غير محتملة ، لكن وايت أصبح شخصية تحوم حولها المؤامرات والحقيقة أن تصديق الناس لبعض الروايات تشير إلى مدى تعرضه . وإنه لمن المأساة أن تكون محكمة الرأي العام التي تحاكم تيري وايت في طابق سفلي في بيروت . أو الاسوأ من ذلك فهو أنّه جرى إتفاق بأن يُحذف إسم تيري وايت من تحقيقات الكونغرس وأن يبقى ذكره الوارد في مفكرات أوليفر نورث سرياً إلا أن هذا الإتفاق ظل ناقصاً ، إذ لم تُشطب كلمة نورث : « بأن وايت كان طريقنا الوحيد لمعرفة ما يجري في لبنان » ، وظهرت عدة مقالات تذكر حرفياً تعامل اوليفر نورث مع تيري وأيت . فكانت هذه التعليقات بمثابة تأكيد للخاطفين على ذنب رهينتهم .

ويعتقد بريان جنكنز الذي كان يشارك في محاولة إطلاق سراح الرهائن أنّ عودة تيري وايت إلى بيروت كانت محفوفة بالمخاطر .

« أعتقد أنّهم كانوا ينظرون إليه كجاسوس وكعميل للإستخبارت الغربية وليس كوسيط شريف ، ينظرون إليه كشخص يُستخدم وهو يعلم ، من أجل الحصول على معلومات حول الخاطفين والرهائن . وكان هؤلاء يزدادون شكاً به فقد كانوا يتعاملون مع الغرب بشكل عصبي .

هذا ولم يُعرف السبب الحقيقي لإحتجاز تيري وايت بل ربما كان هو شخصياً لا يعرف ذلك ، إذ لم يصـرّح أحدٌ بشيء ولم تصدر له صور وهو في الأسر ولم يسجل أيـة رسالـة فيديـو ولم تصدر أية نداءات عاطفية . لا شيء لقد حيَّـر هذا الصمت العـديـد من النـاس فتسـاءل بعضهم عن الهــدف من احتجـاز شخص دون مطالبة بأيّ شيء مقابل إطلاق سراحه ؟ » .

الحقيقة أن الرهائن أصبحوا مع الوقت ، سياسة مضمونه في مواجهة تقلبات الحياة اللبنانية لذا يمكن أن يستغل التهديد بقتـل وايت وهـو الـرهينـة الأهم ، لمنـع الجيش السـوري من إقتحام أحد معاقل حزب الله . كما يمكن المبـادلة بـه في حال القبض على أحد أقرباء الخاطفين . أو يمكن إفتداؤه بالمال إذا تـوقفت إيران عن التمـويل . وبتعبيـر موجـز فقد عـزّز إحتجاز الأجانب وضع الخـاطفين الذين صـاروا أحد عنـاصر المعـادلة لأنهم يحتجـزون بضاعـة قيمـة لـدى الحكـومـات الأجنبيـة ، لاسيما وأن حزبَ الله ، الذي يقاتل من أجل بقـائه في لبنـان ، لم يكن مستعجلاً على قبض ثمن توظيفاته .

وكـان هـذا الفـراغ مـلائمــاً للخـاطفين . فكلمــا قلّت المعلومـات التي أعطوهـا زادت الشائعـات وزاد إرتباك أجهـزة الاستخبـارات وقد أثبت تيـري وايت أنّه كـان مصنع شـائعـات تعمل الصحافة لنشرها : فقيل أنّـه تم تهريبـه إلى إيران داخـل كفن ، وقيـل أنّه يعيش في مـدينة قم الإيـرانيـة أو أنّـه يجـري تمـارين في وادي البقاع ، أو جُـرح في حادث إطـلاق نار ، أو

أنّـه حوكم من قبـل محكمة إسـلامية ، أو قتـل لأنَّ الخـاطفين إعتقدوا أنَّ منظم ضـربات القلب ـ والـذي لم يكن لديـه واحد منه ـ هو كناية عن جهاز الكتروني .

وبعد إحتجازه سنوات قليلة لم يكن هناك أي إثبات على ما حدث له إنما نتف من المعلومـات فقط ، وقد أفـاد الدكتـور مروة الذي شعر أنّه مشبوهٌ بإشتراكه في الجريمة ، عن أنَّ وايت كان يتلقى معاملة حسنة . وأكّدت القيادة الإيرانية ، التي كانت تُعلن أن ليس لـديها نفـوذ على الخـاطفين ، للعـديـد من زوار طهـران أنّ وايت ما زال على قيـد الحياة . كمـا صـرّح الشيـخ شمس الـدين نائب رئيس المجلس الشيعي الـواسع النفـوذ في لبنـان ، وبصورة غـريبة أنّ وايت « هـو أكثر الـرهائن حيـاةً ! » وافـاد العـديـد من الـرهـائن الفـرنسيين المحـررين عن رجـل إعتقـدوا أنّه تيـري وايت فقد رأى روجيـه أوك « رجـلاً طـويـل القامة ذا لحية رمادية وشعر رمادي » . وإعتقد مـارسيل فـونتين أنّـه ربما كـان مع وايت في زنـزانة واحـدة كما رأى جـان بـول كوفمان من خلال ثقب المفتاح رجلاً طويلاً ضخماً .

وخـلال عام ١٩٨٧ تسـربت شكـوك جـديـة إلى وكـالـة المخابرات المركزية الأميركية حول مـا إذا كان وايت على قيـد الحياة . فقال أحد المسؤولين : « لقد فقدناه » . فكانت مسألة نقاش داخل الـوكالـة . ودفعت ملايين الـدولارات إلى مصادر المعلومـات . وفيما بعـد كـان للوكـالـة إثبـات قـوي أنّـه حي وشاركتها الحكومة البريطانية في ذلك . وفي نهاية عـام ١٩٨٨

علم الأميركيون بمكـان إحتجاز الـرهائن وعن أحـوالهم . وقد تثبتوا من ذلك بعد التحقق من بعض الأوراق التي عُثر عليها مع طعام طائره « بأن اميركان » التي إنفجـرت فوق اسكتلنـدا وكان أحد أعضاء وكالة المخابرات المركزية وهو يعمل في بيروت ، على متن الـطائرة في طـريق عودتـه إلى الولايـات المتحدة من أجل أن يقدّم تقريراً لقوة عمل تحديد مكان الرهائن ، وعثر بين أوراقه على رسوم مفصلة لمكان إحتجاز الرهائن ولطريقة تبديل الحرس ومراكزهم في مختلف أوقات النهار والليل .

أما أولى المعلومات المؤكدة عن حياة وايت فقـد جاءت على لسان الرهينة الإيرلندي بريـان كينان الـذي أطلق سراحـه في أيلول/سبتمبر ١٩٩٠ . كان ذلـك بعد مـرور أربع سنـوات تقريباً على احتجـازه . لم ير كينـان وايت لكنه رأى من خـلال فجـوة في داخل البـاب قـدم رجـلٍ كبيـر . وعلم أنَّ الشخص انكليـزي لأنّه سمعـه يطلب شمعـةً وزجاجـة من المـاء . كمـا سمع الحراس ينادونه باسم تيري .

وأفـاد كينـان أنّ وايت كـان محتجـزاً في سجن إنفـرادي داخل زنزانة صغيرة وإلى جانبه مولد كهربائي . وكان يعتقد أنّ وايت يعـاني . « إنه على قيـد الحياة ولكن أحـواله سيئـة . أنا مقتنع أنّه هو وقد كنت أسمعـه يصرخ في الليـل قائـلاً أوه لا . كانت أخبار كينان مزعجـة . إذ سمع وايت وهـو يتنهد فتخـوف على سـلامة عقله . وهـو يعتقد أنّ وايت قـد تعرض للتعـذيب وأنّ معاملته كانت أسوأ من معاملة الأخرين » .

وعندما أطلق سراح جون مكارثي في آب/اغسطس عام ١٩٩١ كانت الأخبار أفضل من السابق : لقد كان مع وايت في زنـزانةٍ واحـدة منذ كـانون الأول/ ديسمبـر ١٩٩٠ فقد تحسّنت معنويات وايت عندما أقـام بقربـه إنسان آخـر . وعندمـا لاحت آمال الإفراج عنهم بدأ الخاطفون بتحسين أوضاعهم . ووصف أحد الرهائن ذلك على أنّه « استعداد من أجل الحرية » . فقال مكارثي أنّه كان لديهم نسخـة من الكتاب المقـدس ومن مجلة تايم ونيوزويـك وجهاز راديـو واضاف : « إنّ تيـري مدمن على الإستماع إلى الراديو . لذا يمكنـك أن تلصق جهاز راديـو على أذنه فيكون سعيداً جداً لذلك » .

بـدأ وايت الـذي كـان يعـاني من مـرض الـربـو أثنـاء احتجـازه ، يتلقى العلاج منـذ أيّار/مـايـو ١٩٩١ وكـان يـزوره طبيب درزي قادر على تحرير الرسائل .

وعندما عاد مكارثي إلى بريطانيا سألتـه عائلة وايت عمـا إذا كان تيري يشعر بأنهم يبـذلون مـا بوسعهم من أجـل إطلاق سراحه . فـأكدّ لهـا مكارثي ذلـك . حتى أنّ محاولات إخـلاء سبيله كانت مثار جدل :

فقـد بدأ « سبيـرو » وهو رجـل الإتصـال الـذي يقف في الـظل ، يسأل مصـادره في لبنان عن اللحـظة التي إختفى فيها وايت . وسرعان ما علم أنّ وايت على قيد الحياة وأعطى رواية مفصلة عن صحـة وايت . حتى أنه خضـع لاستجـواب مـطوّل بهذا الشأن ارسلت نسخـة عنه إلى إيـران . وكان بعض رجـال

الإتصال الشيعة الذين يتعاملون مع سبيرو قد سألـوه عن علاقـة تيـري وايت بأوليفـر نـورث . وفي بعض أسئلتهم جـاء ذكـر سمير حبيبي . فبدا أن سبيرو شعر ببعض المسؤولية تجاه تيري وايت : تقـدم من قصر لامبث وعـرض خدمـاتـه لكنهم كـانـوا حـذرين . تحققوا منـه عبر وزارة الخـارجية وانكـر المسؤولون هناك معرفتهم به لكنهم طلبوا بصمـات يديـه . ولم يكن جهاز م١٦ بحاجة إلى هذه المداخلات فقد كـان قصر لامبث يضجُّ بشخصياتٍ من العالم الرمادي ورفض عرض سبيرو .

وبعد وقت قصير من إختفاء وايت كان سبيرو قد تلقى ما إعتبره طلب فدية لكن الطلب لم يوضع في إطار مالي بـل على شكـل طلب مساعـدة لعائـلات المحتجـزين السبعـة عشـر في الكويت . وكان أحـد أفراد هـذه العائـلات يحتاج إلى جـراحة عين خـارج لبنان بـالإضافـة إلى مصاريف طبيـة أخـرى فنقـل سبيرو الطلب إلى سمير حبيبي الذي أخذه بجديـة : أنا مقتنـع أن طلب المساعدة المالية لعـائلات المعتقلين في الكـويت قد جـاء من الخـاطفين » وبينمـا كـان سبيـرو يستكشف الفكـرة ، بـدأت تتضح معـالمها . طلب بعض مصـادره برنـامج إغـاثـة لجنوب لبنان يتضمن مستشفيات ومدارس وإسكـان وتبلغ كلفة هذه المشاريع ملايين الدولارات . وكان حبيبي يعتقـد أنه يلزم حوالي عشرين مليون دولار لضمان إطلاق سراح تيري وايت . فقـدّمت بعض الجهات تبـرعات من أجـل التنمية ـ وهـو تعبيـر لطيف عن دفع مبالغ مالية لحزب الله . وبحث حبيبي في انشاء

وكالة تنمية حيث يمكن أن يستخدم رأس مـال خاص من أجـل القرى الشيعية الفقيرة لكنه أدرك أن بعض الناس سوف يعتبرون ذلك بمثابة الفدية وهذا ما لا تقبله الكنيسة .

كان تيري وايت قد ترك وراءه تعليمات صارمة بعدم دفع أيّة فدية في حال إحتجازه . أصرّ على « عدم بذل أي جهد من أية سلطة وعدم إجراء أيّة مفاوضات من أجل إطلاق سـراحي » لقـد وُضع خط تحت الكلمـات : « عدم بـذل أيّ جهد » وإذا جـرى غير ذلـك فمن شأنـه أن يعـرض المبعـوثين للخـطر في المستقبل .

في البداية لم يقم قصر لامبث بأي شيء سوى الحصول على معلومات . لقد واجهوا مأزقاً مألوفاً لدى الحكومـات التي أحتجز بعض مواطنيهـا : كيف يسعون إلى إطـلاق سراح وايت دون مفاوضات ؛ وتحركت الحكومة البريطانية بسرعة لإستبعاد فكـرة خصـوصيـة مبعـوث الاسقف . وقـال متحـدث بـاسم الخارجية : نحن لا نعقـد إتفاقـات ، يجب أن نعامله مثـل أيّ مواطن آخر . ومع ذلك فلم تتنكـر الكنيسة لمبعـوثها ، لـذلك كتب الـدكتور رونسي إلى رئيس البـرلمان الإيـراني علي أكبـر هـاشمي رفسنجـاني طـالبـاً منــه إستخـدام نفــوذ إيـران على الخاطفين من أجل اطلاق سراح وايت .

كان رفسنجاني يـظهر ، وربمـا خطأ ، بـأنّه معتـدل وأنّه يعمـل لإطلاق سـراح الرهـائن . كان بـراغماتيـاً أكثر من بقيـة المـلالي المتعصبين وبصورة خـاصة فيمـا يتعلق بالتعـامل مـع

الغرب لكنه كان طموحاً ومصمماً على خلافة آية الله الخميني بعد وفاته . وبينما كان يُظهر تعاطفاً مع النداءات الغربية فإنه لم يكن في الواقع ، مستعداً لإعطاء أيّ أمر بإطلاق سراح الرهائن ، إلا إذا تمكّن من إظهار حصول إيران على شيء ما أو إذا كان هو شخصياً في وضع سياسي مريح .

لقد وجد ذريعة تمكنه من تجنب القيام بأي عمل . إذ أعلن أنّ إيران لديها رهائن أيضاً . فإذا استطاعت الكنيسة أن تعرف ماذا حدث للإيرانيين الأربعة الذين فقدوا في لبنان فإن ذلك سيساعد في مسألة الرهائن الغربيين . وكل ما كان معروفاً هو أن الأربعة كانوا قد احتجزوا على يد الكتائب المسيحيين على طريق بيروت بعلبك في تموز/ يوليه عام ١٩٨٢ ، وكان أحد هؤلاء الأربعة ويدعى مات فازيلاني قائداً في الحرس الثوري . وقد إفترض الجميع في لبنان انهم قتلوا . وعرض الدكتور رونسي إستخدام إتصالات الكنيسة مع الطائفة المسيحية للتحقيق بالموضوع . لكنها لم تحصل على أيّة معلومات وطُرحت قضية الإيرانيين الأربعة في جميع المباحثات التي جرت مع القيادة الإيرانية في طهران . ويعتقد معظم الدبلوماسيين الذين يعرفون إيران أنّ الصرخة : نحن لدينا رهائن أيضاً كانت طريقة مناسبة للإنتقاد ولتجنب إتخاذ أيّ أجراء .

وقد عهدت الكنيسة إلى جون لتيل وهو رجل يتمتع بخبرة سياسية عالمية للبحث عن تيري وايت . أغرق لتيل

بالمكالمات من الذين يعرضون المساعدة أو يدعون أنّ لـديهم معلومـات . لكن يجب التـدقيق في الجميـع : السـاعين وراء الشهرة ، والثرثارين ، وغريبي الأطوار . وعام ١٩٨٨ تقدّم منه شخصان كانا يعتقدان أن بإمكانهما إطلاق سـراح وايت . وبدا أنّه لديهما إتصالات غير عادية في الشرق الأوسط وكانا يـرغبان في مـلاحقة مصـادرهما ، لكنهمـا أرادا أن تتولى الكنيسـةُ دفع فاتورة الفنـدق ومصاريف السفـر . فأرسـل لتيل إسميهمـا إلى الشرطة لكن لم يكن للشرطة أية معلومات عنهمـا وهكذا مضى قدماً ودفـع مبلغ اثني عشر ألف جنيـه إسترالييني لكنهمـا إختفيا بعد ذلك بسرعة ، ثم تبينّ أنهما محتالان ـ أحدهما تاجر خردة سابق والآخر تاجر فاشل . وكان ذلك خطأ نادراً .

توجه لتيل إلى بيروت بحماية سورية فقـابل فضـل الله . وكـان الشيخ قـد انزعـج من الأسئلة المـطروحـة حـول تيـري وايت ، وقال إنه حقّق في هـذه المسألـة من قبل وأنـه لا يملك معلومات . . فقام لتيل برحـلات عديـدة إلى إيران . وبعـدما إنتهت الحرب العراقية ـ الإيرانية لمس جواً من الليـونة : فقـد كـانوا تـواقين إلى مساعـدة الغـرب في إعـادة بنـاء إقتصـادهم المنهك . وأوضح لتيل أنّ إستمرار إحتجاز الرهائن يقف عائقـاً أمـام تحسين العلاقـات الدبلومـاسية . وكـانت هنـاك فـورة إذ إلتقى الـدبلومـاسيـون وتحسنت العـلاقـات ولكن ذلـك كبقيـة المبادرات لم يؤدّ إلى أيّة نتيجة . كانت أزمة الرهائن ديناميكيـة بحد ذاتها ودون أيّ تعلق بالغرب . فقـد كانت المؤثـرات تأتي

من الصراع على السلطة داخل إيران ومن معركة الزعامة داخـل الطائفة الشيعية .

وكان على الكنيسة أن تنتظر انتهاء هـذه الصراعـات قبل أن ترى تيري وايت .

لقـد كانت هنـاك على أيّ حال أسئلة مـزعجـة للكنيسـة حـول دور وايت وكيفية إحتجـازه : بماذا كـانت تقوم الكنيسـة لمصلحة الرهائن الأميركيين ؟ هـل فكّرت بـالأخطار المحـدقة بدور المبعوث ؟ هل أخطأت كنيسـة انكلترا بلعب دور لم تكن مستعـدة لـه ؟ هـل أعـطي وايت دعمـاً كـافيـاً ؟ هـل سَمحت الكنيسة لنفسها بأن تستخدمها الإدارة الأميركيـة ؟ وهل وضعت سمعة الكنيسة وإستقلالها في خطر ؟

لم يكن لكنيسة إنكلترا أيُّ سجـل سابق حـول الاشتراك في الشؤون الدولية ما عدا الأمور الكنسية هـذا ما تبين إذ إنضم تيـري وايت إلى مـوظفي الاسقف عــام ١٩٨٠ . وكـان عمله تـرتيب زيارات الاسقف للخـارج . وفي عـام ١٩٨١ وعنـدمـا إحتجـز المبشرون الانغليكـانيون في إيـران كان ذلـك مثار قلق الكنيسـة فأثبت وايت أنّـه وسيط « قادر وبـدا أنَّ نـظرتـه كـانت بسيطة . إذ كان مولعاً بإقتطاف أقوال من سِفْر حزقيال :

« إنّ روح الـرّب الإلـه هي فـوقي لأنّ الله مسحني لكي أحضـر الأنبـاء الجيـدة للمحـزونين . لقــد أرسلني لكي أوثق القلوب المحطمة وأنادي بالحرية لـلأسرى وأفتـح السجن أمام المحتجزين » .

وبعد ثلاث سنوات وعندما احتجز البريطانيون في ليبيا قرر الأسقف أن يساهم مرة أخرى ، رغم أنّ المحتجزين لم تكن لهم صلة مباشرة بالكنيسة ، وكان العقيد القذافي يستجيب لنداءات رجال الكنيسة أكثر من إستجابته للحكومات .

سُرّ وايت بدوره الجديد . فلقد كان بمثابة تحدٍّ لا يجده في الأعمال الدينية التقليدية . وبدأ يمضي مزيداً من الوقت في عمل الوساطة . ومع تزايد نجاحاته إنهالت النداءات على قصر لامبث . فرح الدكتور رونسي لذلك وقال : « إنّ تيري وايت يُحضر معه الضوء إلى الأمكنة المظلمة والعدالة إلى المناطق التي يسودها الظلم والجور » .

رأى الاسقف ووايت أن هناك مهمة جديدة للكنيسة بدأت تتبلور وهي لم تكن موجودة من قبل ومن شأنها تعزيز الوضع الدولي للكنيسة إنها تقف جنباً إلى جنب مع وكالات مثل اللجنة الدولية للصليب الأحمر في تقديم عروض التوسط في المناطق المضطربة في العالم .

وبحلول عام ١٩٨٤ كان وايت الرجل الواضح أمام الكنيسة المشيخية في الولايات المتحدة بحيث تحوّلت إليه عندما خُطف أحد مبشريها بنجامين وير في لبنان . وكان ذلك طلباً سهلاً . بالنسبة للدكتور رونسي كان وير رجل دين وكانت الكنيسة تساعد أحد رجالها بغض النظر عن اختلاف الجنسية وعندما أطلق سراح وير ظهر أنّ وايت كان له الفضل في ذلك

وهكذا ناشد ذوو بقية الـرهائن الأميـركيين الأسقف مساعـدتهم أيضـاً . وخـلال أيّـام ودون أيِّ إدراك لمـدى الخـطوة التي إتخذت ، كانت كنيسـة إنكلترا تعمـل لإطلاق سـراح الرهـائن الأميركيين .

ظاهريـاً كانت مهمتـه لا تختلف عن المهمات الإنسـانية الأخرى التي نفذهـا تيري وايت . لكن الـرهائن الأميـركيين ، على عكس المبشرين في إيران والبريطانيين في ليبيـا الذين لم يكـونوا محتجـزين بتهمة التجسس والـذين كان يمكن تبـرئتهم منها بسهولة . كانت عوامل إحتجاز الرهائن اكثر تعقيداً . ففي جـانب ، كـان هنـاك مسـاومـة على إطـلاق سـراح المعتقلين الآخـرين ، وفي جـانب آخـر كـان ذلـك « تكتيكـاً إعتمـدتـه الجمـاعات الإسـلامية لـطرد الأميركيين من الشـرق الأوسط . والأكثر من ذلك أن الخاطفين كانوا يتلقون التمويل من حكـومة اجنبيـة تمـارس بعض النفـوذ عليهم وكـان لهـذه الحكـومـة مصالحها الخاصة . أما بالنسبـة لوايت فقـد كان هنـاك مسائـل كثيرة ليفاوض بشأنها ، وهي مسائل تحتاج إلى قرارات سياسية من حكـومات عـديدة . كـانت الكنيسة تـورط نفسهـا ، سـواء أعجبها ذلك أم لا ، في سياسة الشرق الأوسط . وبعد احتجاز تيري وايت قال الاسقف أنّه كان يرى بوضوح ما كانوا يحاولون القيـام بـه . قـال « لم نحـاول أن نتصـرّف كسيـاسيين أو كـدبلوماسيين . لكننـا كنا نقـوم بـواجب مسيحي قـديم حـول أولوية الـرحمة والعـطف تجاه السجين » إلا أنـه لم يكن يسيراً

الفصل بين هذه الأدوار بسهولة . فمن غير الممكن فصل الجهود الإنسانية عن الجهود السياسية .

كان وايت يحتاج في مفاوضاته إلى معرفة موقف الحكومة الأميركية من قضية المعتقلين في الكويت . وقد تطلّب منه ذلك أن يتحدّث إلى المسؤولين الأميركيين . وبدا أنّ أهدافهم كانت متطابقة . كان كلاهما يعمل لإطلاق سراح الرهائن . لكن الخطر كان يكمن في تضافر جهود الكنيسة مع جهود الحكومة الأميركية . يقول أحد المسؤولين الأميركيين : « إن الخطر الذي يتعرض له مبعوث الكنيسة هو النظر إليه على أنّه آداة بيد الحكومة » .

لذا كان على وايت أن يحرص في تعامله مع « الجهاد الإسلامي » وحزب الله فيبقى مستقلاً عن الحكومة الاميركية . فلقد تعلّم المتشددون الشيعة السياسة من إيران : كانت الولايات المتحدة قوة الظلام ، قوية عسكرياً ومهيمنة إقتصادياً ولديها جهاز إستخبارات يمكن أن يطيح بالحكومات وفقاً لرغباتها . فمن أجل كسب ثقة الشيعة ، يجب أنْ يظهر مبعوث الكنيسة جدياً وبارداً في تعامله مع المسؤولين الأميركيين إذ لا يمكنه احتمال أيّ إنطباع عن قربه من الجانب الأميركي . كان يجب أن يتجنب الركوب في طائرات الهلكوبتر الأميركية ويتجنب ترتيبات السفر الأميركية والاجتماعية مع مسؤولي البيت الأبيض التي كانت تجري في الفنادق ويتجنب الذهاب إلى بيروت بناء لتوجيه الأميركيين . كانت هذه الأمور ذات

أهميّة بالغة بالنسبة للمقاتلين العصبيين في جنوب بيروت بحيث أنّها صارت جزءاً من الحقيقة .

وبدا أن قصر لامبث لم يكن يدرك مدى الحساسية السياسية لمهمة تيري وايت . فترك يتصرف من تلقاء نفسه إذ كان لديه خبرة كافية لتجنب أيّة زلّة . ولكن إذا كانت كنيسة إنكلترا جادةً في لعب دور الوسيط الدولي فكان آنذاك يجب أنّ تؤمن الدعم الضروري لضمان إستقلالية مبعوثها . ولم يكن هناك مستشارون سياسيون ولا موظفو ابحاث ولا مشرفون . فلم يكن وايت بحاجة لتدوين نشاطاته . كان للدكتور رونسي فكرة غامضة عما كان يقوم به مبعوثة وعمّن كان يقابلهم . وفوق كل ذلك كان يجب أن تتوفر لدى الكنيسة الموارد المالية اللازمة من أجل تمويل رحلات الطيران الخاصة عوضاً عن إستخدام الطائرات الحكومية . ففي إحدى المرات لم يكن لدى وايت مالاً يكفيه بحيث أن وكالة اسوشياتد برس دفعت بعض فواتيره التي ردّتها إليها الكنيسة فيما بعد .

لم يكن لدى كنيسة انكلترا سياسة متجانسة في كيفية التعامل مع محتجزي الرهائن . إذ كانت تعتقد أنها تتوجه إلى الإهتمامات الإنسانية للأفراد بغض النظر عن الطريقة التي تمنع المزيد من الخطف في المستقبل . وقد واجهت الحكومات المأزق نفسه . فلقد رفعت قيمة الرهائن عندما فاوضت الخاطفين بحيث تشجّع هؤلاء على خطف المزيد فلو تمَّ تجاهل الرهائن لما عادت هناك غاية من احتجازهم لكن

هـذا الحـال كـان صعبـاً من النـاحيـة السيـاسيـة : إذ كـانت الحكـومات تتعـرض للانتقـاد وللتـأنيب إذا تجـاهلت نـداءات مواطنيها .

وفي الولايات المتحدة كان الإهتمام بأزمة الرهـائن كبيراً بحيث أصبح رؤساءُ متعاقبون أسرى لهذه الأزمة . فلقد شكـل الإرهـاب واحتجاز الـرهائن ابعـاد هـذا المسـرح : مجمـوعـة صغيـرة مغمـورة يمكنهـا أن تحـوز على إنتبـاه النـاس وتحقق إنجازات لا تحلم بها من قبـل وكانت وسـائل الإعـلام مسرحـاً لهـذه اللعبة ، تعـرض في كل لحـظة تلك الـدرامـا : مـطالب الخـاطفين ومعانـاة أقربـائهم والمظهـر العاطفي لجمـع شمـل العـائـلات . وعـام ١٩٨٠ وبينمـا كـان الـرهـائن مـا يـزالـون محتجزين في إيران كـان التلفزيـون الأميركي يعـرض كل يـوم عدد أيّام الإحتجاز وقد ولدت السياسة الإنفعال والخيبـة بحيث أنَّ المسـألـة بـاتت مـوضـع تبـاهٍ وطني . وقـد أرغم الـرؤسـاء والـوزراء على التعامـل مع العصـابات المسلحـة . قال بـريان جنكنـز من مؤسسـة رانـد : « إنَّـه من غيـر العـادي أن تجـد جمـاعات على شكـل عصابـات مثل رؤسـاء عائـلات المـافيـا تتعامل مع رؤساء دول قوية وكأنهم متساوون » .

بدا تيري وايت وكأنه أضاف شيئاً إلى هـذه الدرامـا فلقد ايقظ إنتبـاه وسائـل الأعلام . وكـانت له أسبـابه . لقـد مكنتـه الصحـافة من إرسـال الرسـائـل إلى الخـاطفين . لكنّ مهمتـه جذبت مجموعة الخاطفين . فمع وجود وايت في بيروت تخيّل

الشبــاب في ضـواحي بيــروت الفقيــرة أنفسهم أنّهم محــور العالم . فكان هناك من ناقش بـأنً تدخـل الكنيسة قـد رفع من قيمة الرهائن وقدّم حافزاً من اجل المزيد من أعمال الخطف . كانت الدبلوماسية الهادئة هي البديل ، تجري في الخفاء بعيداً عن أضواء التلفزيون ـ حتى ولو اهملت الأعمال البطولية .

وإذا كـانت الكنيسـة قــد جـرّت إلى لعب دور لم تكن مستعـدةً له ولم تتفهم تـأثيراتـه ، فإنّ الحكـومات قـد تصرفت بشكل يقلل من احترامهـا فلقد تشجـع الخاطفـون على خطف المــزيـد من الأجــانب ومن بينهم وايت وذلــك بسبب رغبــة الحكـومات في دفـع الفديـة . فلقد بـادلت الولايـات المتحدة الأسلحـة بالـرهائن ودفعت جهـات خاصـة في المانيـا الغربيـة المال إلى حزب الله وتفاوضت فرنسا بوقـاحة مـع إيران . حتى إسرائيل التي وبخّت الأمم الغربية لخضوعها لـلإرهاب بـادلت سجناءها بجنودها الأسرى .

وكانت الحكومـة الفرنسيـة تعتقد أنّ أيـران تملك مفتاح أزمة الرهائن فقدمت بعض التنـازلات في إجتماعـات سريـة . أولاً فوعدت بإعادة العلاقات الدبلوماسية مع إيـران . وتعهدت ثانياً بإعادة دفع ثلاثمائة مليـون دولار من قيمة قـرض كانت قـد تفاوضت عليه مع حكومة الشاه . أما ثالثـاً فقد أمـل الإيرانيـون في أن يخفف الفرنسيون الحكم على أنيس النقاش وهو لبنـاني معتقـل في فرنسـا بسبب محاولـة إغتيـال آخـر رئيس وزراء في عهد الشاه .

وخلال فترة سنتين أطلق سراح الرهائن الفرنسيين العشرة ، مع أن حزب الله اتهم فرنسا بنكث وعودها بإطلاق سراح النقاش الذي سمح له في صيف ١٩٩٠ ، بمغادرة فرنسا .

وفي تعاملهم مع الخاطفين في بيروت لم يخدع الفرنسيون أنفسهم بإعتقادهم أنَّ ذلك ليس مبادلة مع الخاطفين . فقد أوفدت الحكومة الفرنسية إلى لبنان جان شارل مارشياني وهو كورسيكي غليظ تعامل مباشرة مع حزب الله وقبل بدء المفاوضات ذكر لهم أسماء أقاربهم الذين يعيشون في الخارج وقال لهم أنّه إذا حدث أيّ شيء له فإنّ رفاقه الكورسيكيين سوف يقومون بزيارات لإقاربهم . وكانت هذه لغة يفهمها حزب الله .

حتى البريطانيين الذين كانوا يعارضون في العلن تقديم التنازلات للارهابيين فإنهم إجتمعوا مع الإيرانيين أحد أقرباء رفسنجاني وهو الرجل نفسه الذي تفاوض معه أوليفر نورث . وقال المسؤول أنّه إذا اطلق سراح الرهائن البريطانيين فإنه سيسمح لإيران بشراء جهاز رادار ماركوني وسوف تستعاد العلاقات الدبلوماسية . تتلقى إيران قرضاً هاماً من أجل إعادة بناء اقتصادها بمساعدة المؤسسات البريطانية وقد رأت إيران أنّ هذه الصفقة جيدة وكافية من أجل إعطاء إشارة إلى حزب الله لإطلاق سراح الرهائن ، لكنّ الخاطفين شعروا أنّهم لم يستفيدوا بما فيه الكفاية من الصفقة الفرنسية فرفضوا التعاون

ولقد ادى دفع الفدية إلى إطالة مدة إحتجاز الرهائن لأنهم توقعوا أنّ الغرب سوف يدفع عاجلاً أم اجلاً .

هذا ولا تدور قصة تيري وايت بصورة أساسية حول دور الكنيسة أو التعامل الأخلاقي مع محتجزي الرهائن إنها ملحمة رجل مثالي يبحث عن نداء في وقت كانت فيه الظروف غير ملائمة . إنه ينتمي إلى الماضي حين كان الأفراد يجهدون حول اقدارهم من خلال الإكتشافات وبناء الامبراطوريات . لقد بحث عن المغامرة في أفريقيا عندما كان مبشراً ، فلم يحقق أمانيه .

لقد أعطته دبلوماسية المحرومين ، وإحتجاز الرهائن ، الفرصة الملائمة لذلك فقد أصبح بطلاً بالنسبة للبريئين المحتجزين لقد كان دوراً كبيراً ، لعبه على صرح عالمي برعاية التلفزيون ولقي من جرائه المديح من الجميع .

لقد رأى في أوليفر نورث رفيقاً روحياً وزميلاً مسيحياً ومغامراً كرس جهوده من أجل إطلاق سراح الأميركيين البريئين . تعامل نورث بأسلوب بطولي وتحدى عقبات البيروقراطية ، فموّل حروب الأدغال وخطط للغزوات وتبادل السلاح مع العدو وإصطاد الإرهابيين . لم يحقق أيّ ضابط صغير في مجلس الأمن القومي سلطةً على سياسة أميركا الخارجية كما حقّق . كان شخصية تنطوي على مفارقة تاريخية . وما زال يعيش في الغرب القديم حيث تحلُّ

النزاعات وجهاً لوجه ويقول « سوف اكون سعيداً بلقاء « أبو نضال » في شروط متساوية . وفي أي مكان في العالم . لقد إصطادته أعين محققيه في الكونغرس ذكرى اليمه : فيتنام وجعله يصمّم على أنّ لا يكون هناك تراجع في المستقبل . لقد ذكّره الخاطفون في بيروت بإهانات أخرى . كان هناك غبار في عين ريغان يُقلقه دائماً . فكل غريزة كانت تقول له أن يتحدى تهديدهم ، لكن معاناة العائلات كانت أكثر تحريكاً له . تولى نورث تدريجاً مسؤولية إنهاء عذاب الرئيس . فأصبح الهدف سامياً وطرح جانباً ما تبقى من القيم . لقد كان نورث يخوض معركة الرئيس التي كانت معركته الأمس أيضاً . وفي التغلب على أعداء أميركا كان يطرد الأشباح الشريرة . لقد أصبح متفرداً بعقله وراغباً في التنازل عن أيّ شيء لمحاوريه الإيرانيين إذا تمكن من إطلاق سراح الرهائن .

شاركه رجل دين إنكليزي هذا الاهتمام فبالنسبة لتيري وايت كان إطلاق سراح الرهائن من الأولويات . لقد وعد نورث بعدم التسبب بأذى للكنيسة . لكنّ الكذب كان سلاحاً في جعبته ، كذبات مبرّرة ، كذبات حربيّة ، كلامٌ غير صحيح يفهمه الجنود . لم تكن هناك أية علاقة عار في الاعتراف بإزدواجيته أمام الكونغرس .

نورث : لقد كذبت كل مرة كنت ألتقي فيها الإيرانيين .

فان كليف (مستشار لجنة قضية إيران ـ كونترا) : وأنت تقرُّ أنك كذبت على الجنرال سيكود بالنسبة للمحادثات التي

افترضت انك أجريتها مع الرئيس أليس كذلك ؟

نـورث : من أجل أن أشجعـه على البقاء في المشـروع نعم .

فان كليف : وأنت تقرّ بأنّك كذبت على الكونغرس .

نورث : نعم .

فان كليف : وأنت تقرّ بـأنك كـذبت في تأليف روايـات كاذبة عن هذه الأحداث ، أليس ذلك صحيحاً ؟

نورث : بلى .

كان لوايت شكوكه وهواجسه لكنه أزاحها جانباً إزاء إثارة المشـروع فقد كـان نورث ممثـلاً يؤدي أدوار ثـانـويـة وكـأنهـا رئيسة ، إذ يمكنه لعب دور البـريء . ودور الصبي الكشاف ، والنظر بعيون الصبي الذي يخدم مذبح الكنيسة .

وعنـدمـا انكشفت قضيـة إيـران ـ كـونتـرا ومـع وجـود تيري وايت في الأسر كان على سمير حبيبي أن يواجه الإحتمال المؤلم من أن يكـون ضـابط البيت الأبيض « قـد كـذب عليـه وعلى وايت أيضـاً » . عنـدمـا سمعت مـا قـالـه أوليفـر نـورث للكـونغرس سبّب ذلـك حزنـاً شخصياً لي لأنني قلت لنفسي . حسناً ليس هذا أوليفر نورث الـذي أعرفـه . . . لا أعتقد أنـه كـذب علينـا . لا لأنّنـا لم نكن في وضـع يمكنـه من الكـذب علينا ، فمن المحتمل أن لا يكون نورث قـد كذب على تيـري

وايت بل كان مكتفياً بإظهار الحماسة واسم كنيسة إنكلترا . إن رجلاً يختلف عن تيري وايت يمكن أن يرى الجانب المظلم من شخصية أوليفر نورث . لكنه لم يرَ ذلك مثلُ معظم زملاء نورث في مجلس الأمن القومي .

وفي ٢٥ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨٦ وبينما كان العالم ينهار من حوله اطلق نورث العنان لنفسه في لحظات قليلة . ومسجلاً أولوياته :

١ ـ بلدي .

٢ ـ الرئاسة .

٣ ـ العائلة .

٤ ـ الرهائن .

٥ ـ الآخرون الذين ساعدوا

وكان نورث قد كتب قبل كلمة : « الآخرون الذين ساعدوا » كلمة « نفس » لكنه شطبها .

كان بإمكان تيري وايت أن يعمل بهذه اللائحة خلال فترة الثمانية عشر شهراً التي أمضاها في العمل لتحرير الرهائن الأميركيين .

ولم يكن نورث نادماً على استخدام تيري وايت . فعندما واجه تحدياً بإظهار ما إذا كان يشعر بذنب تجاه تيري وايت أجاب : « ذنب ؟ إن لي مشكلة صعبة مع هذه

الكلمة ». كان ذلك صحيحاً بالطبع لأنه في عالم أوليفر نورث كانت مصالح أميركا ذات أولوية مطلقة. لقد مكنته من الكذب والخداع دون ندم.

إنّ ما كشف عنه نورث لوايت كان عالماً لم يختبره من قبل ـ لمحات عن الجهود الحكومية الخفية . . . وكالات الإستخبارات . . . أقنية الأبواب الخلفية . . . الشخصيات الرمادية . . . وهذا ما لاحظه يوجين دوغلاس من تألق وايت المتصاعد :

« أعتقد أن وايت كان يعلم أنه يواجه خطراً بتعامله وتحدثه مع ذلك الوجه من الحياة. لكنَّ حِسَّه بالإلتزام وما توحي به روحه أرغمهُ فيما بعد على ركوب المخاطر والتعامل معها بصورة عقلية، لكن لا بد من التعامل معها في الحال ».

كان أوليفر نورث وتيري وايت مسيحيين كليهما، تحركهما بواعث كبيرة هي حرية البريئين المحتجزين. سعياً وراء ذلك الهدف كان على نورث أن ينغمس في خداع على مستوى كبير قال : « إنه خداعٌ كبير يمارس في سياق العمليات السرية إنه في النهاية كذب ». إن مأساة تيري وايت هي أنه وقع ضحية الخداع الكبير الذي كان يهدف الى إطلاق سراح الرهائن. أما بالنسبة لنورث فقد أضرت اتفاقياته السرية بمصداقية المبعوث إذ عليها كان يتوقف كل شيء ـ نجاحاته السابقة وخططه المستقبلية. أما بالنسبة لوايت فلم يكن هناك إجتماعات متلفزة حيث يطرد الشكوك وعلامات الإستفهام.

لقد كانت جميع هذه الأسئلة تلقى جواباً في شوارع بيروت .

وعندما فهم الأب جنكو أنه ضمن إطلاق سراحه ذهل . وقال انه لو عرف ذلك من قبل لقال : « لا . هاأنذا شخص وحيد . ليس لي زوجة ولا أطفال ، وأنتم تبادلونني بأسلحة سوف تقتل الرجال والنساء والأطفال بالآلاف . كل ذلك من أجل رجلٍ واحد ؟ ما هذا الغباء الفظيع ؟!

١٨

ثلاث وعشرون ساعة وخمسون دقيقة يوميا

عـام ١٩٩٠ تغيرت الأوضـاع في الشرق الأوسط بشكـل جذري فلقد أقدم العراق متشجعاً بترسانته القوية على إحتـلال الكـويت . لكن صدام الـذي لم يكن يبـالي بـرد فعـل العـالم الضعيف إزاء فظائعه السـابقة ، قـد خدع نفســه . وصحيح أنّ ثـروة الكويت كـانت مثار غيظ وحسـد في معظم أنحـاء العالم العـربي إلا أن طموحـات صـدام أرعبت المنـطقـة . فصممت الـولايات المتحـدة وبريـطانيا والغـرب على مقـاومـة العـدوان العـراقي بمسـاعـدة حلفـاء غيــر متـوقعين إذ أن التحــالفـات والولاءات في الشرق الأوسط كانت عرضة للتغيرات .

وفي ليلة واحـدة أصبحت الـدول المنبــوذة ، حليفـة . فـأرسلت سـوريـا التي وصفتهـا واشنـطن بـأنهـا دولـة تــرعى

الإرهـاب ، قـواتهـا لتنضم إلى التحـالف . حتى إيـران التي أرسلت مجموعات الإرهابيين لطرد أميركا من المنطقة ، راقبت صامتة الـولايات المتحـدة وهي تجمع أكبـر قوة عسكـرية منـذ حرب فيتنام . فقد وضعت إيران خلافاتها الدينية والأيديولوجية مع « الشيطان الأكبر » جانبـاً ، وهي تتفرج على تـدمير عـدوها العراق .

وغيّـرت « عاصفـة الصحراء » الحقـائق . فلقـد جعلت التكنولوجيا العسكرية التي حشدهـا الحلفاء من المـلايين التي أنفقها صدام على بناء آلته العسكرية هباء منثوراً . وخـلال أيام تمَّ القضاء على جيشه . فأعادت الولايات المتحدة تأكيد قوتهـا العالمية . أما أولئك الذين كانـوا ينبذون الإمبـرياليـة الأميركيـة في المنطقة فقد فهموا أن خيار التحول الى البديل وهو الإتحاد السوفياتي لم يعد موجوداً .

وتوافقت الحرب مـع تفكّك الإتحـاد السوفيـاتي . وبعد ستة أشهر من النصر الذي تحقق في الصحـراء دُفنت الشيوعيـة رسميـاً في الإتحاد السـوفيـاتي . وبـدأت الـدول تنفصـل عن بعضها مفتشة عن أقدارها . لقد تفتتت القوة السـوفياتيـة . ولم يعد بإستطاعة دول الشـرق الأوسط اللعب مع دولـة كبرى ضـد الأخرى أما الرئيس السوري الأسد ، وهو أوثق حليف لـلإتحاد السوفياتي في المنطقة ، فكـان سريعـاً في تفهم زوال الحليف السابق .

إنه ليس مجرد إقرار بأنَّ تغيير القوى قـد أدّى إلى إطلاق

سراح الرهائن . فقد كانت سوريا وإيران وهما الدولتان اللتان لهما تأثير كبير على الخاطفين في بيروت تملكان أسباباً موجبة لطلب تحسين العلاقات مع واشنطن .

ولسوريا طموحات في المنطقة يمكن تحقيقها بالسعي الى تسوية أولاها كان لبنان ، الخلافات مع الولايات المتحدة ، فقد كان الرئيس الأسد يحلم بانضمام الدولة اللبنانية الى سوريا الكبرى . وحتى لو لم يتحقق إنشاء هذه الدولة ، فيمكن وضع لبنان في دائرة النفوذ السوري . لقد قبلت الولايات المتحدة ، التي طردها الإرهاب من لبنان ، بالسلم السوري الذي هو أفضل أمل لإستقرار بلد مزقته الخلافات . وثانيها أن سوريا تريد إستعادة مرتفعات الجولان التي فقدتها عام ١٩٦٧ اثر سيطرة إسرائيل عليها . فحتى لو لم يكن هناك إحتمال بأن يتحقق ذلك الهدف في وقت قصير ، فان الأسد يعلم أنه لا يمكن إستعادة الأراضي دون مشاركة من الولايات المتحدة .

كما ان إيران « بدأت تأتي من الصقيع » فمنذ الثورة الاسلامية التي قادها آية الله الخميني ، إستبعدت إيران عن التكنولوجيا الغربية وعن السلاح الغربي أيضاً .

وفي البداية لم يكن الأمر هاماً إذ كان الإيرانيون لا يزالون تحت تأثير تعاليم إمامهم .

بيد أنه ومع الوقت ، بدأت الإهتمامات القديمة تظهر

عنوة ، فجماهير جنوب طهران التي كانت تتجمع منذ عشر سنوات على أبواب السفارة الأميركية لتصرخ « الموت لأميركا ، هي الآن تتذمر وتلعن بسبب النقص في المواد التموينية في المحلات التجارية » فلقد أدرك البراغماتيون الذين خلفوا الخميني أن حياتهم السياسية في إيران تعتمد كلياً كما في بقية البلدان ، على قدرتهم على تأمين شروط حياة أفضل للسكان . إذاً يجب إستعادة الروابط مع الغرب . وكان الرهائن حاجزاً كبيراً أمام تحسين العلاقات ، لذا بدأت إيران ترسل إشارات بأنها مستعدة لإنهاء عزلتها .

أزيلت تدريجياً بقية العوائق أمام إنهاء أزمة الرهائن . فكان الخاطفون في بيروت يطالبون بإطلاق سراح سبعة عشر معتقلاً من حزب الدعوة في الكويت . ومن سخرية الأقدار انه أفرج عنهم ، ليس بناءً على إتفاق ولا مقابل دفع فدية بل لأن صدام حسين غزا الكويت . فعندما دخلت القوات العراقية مدينة الكويت فرَّ حراس السجن وحدثت أعمال نزوح جماعية . وفي آب/ أغسطس ١٩٩٠ شق السبعة عشر سجيناً طريقهم إلى إيران ، وربما بمساعدة من العراقيين أمَّا عماد مغنية الذي إحتجز الرهائن من أجل حرية صهره فلم تعد لديه قضية فلقد لعب قريبه دوراً مهماً في مفاوضات الرهائن التي جرت مع الأمم المتحدة .

ومن نتائج حرب الخليج أن أميركا إختارت أن تعمل وسيطاً في محاولة لحل المشكلة الأساسية في الشرق

الأوسط : مشكلة الفلسطينيين . فناشد جيمس بايكر وزير الخارجية الأميركي المتنازعين في الشرق الأوسط أن يجلسوا معاً . وفي تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٩١ واجهوا بعضهم بعضاً على مائدة المفاوضات في مدريد . واستمرت المحادثات على الرغم من تبادل للإهانات القديمة .

وبقيت المشاكل عالقة ، رفض الراديكاليون في إيران إجتماعات مدريد واستضافوا في طهران مؤتمراً للجماعات الإرهابية الراديكالية يتوافق موعده مع محادثات السلام . وكان ذلك تذكرة الى قيادة هاشمي رفسنجاني البراغماتية بأنه ما زال عليها أن تبقي عينيها على الأصوليين وكراهيتهم للغرب . فاعتقد الدبلوماسيون أن القيادة في طهران قد وافقت على المؤتمر وسيلةً لجذب أولئك الذين كانوا يعارضون إنهاء أزمة الرهائن .

وحصلت حوادث أخرى كانت في الماضي تسبب تأخير إطلاق سراح الرهائن . فقد شن مقاتلو حزب الله غارات عديدة داخل الحزام الأمني الإسرائيلي في جنوب لبنان مما أدى الى مقتل العديد من الجنود فردّت إسرائيل بقصف القرى الشيعية . ووضع جميع الفرقاء هذه الهجمات جانباً وكأنها تنتمي لقضيةٍ أخرى فهناك الآن أسباب موجبة وملحة للتساؤل حول رغبة الخاطفين في بيروت وإنهاء مشكلة الرهائن . فوق كل شيء ، زاد عمر الأزمة عن حدّه المفيد . فلقد إحتجز الرهائن في ذروة حرب غير معلنة بين الأصولية الإسلامية

والغـرب . وكـان يمكن أن يسـاعـد الـرهـائن على منـع طـرد الكـافرين من المنـطقة كمـا كان يمكن مبـادلتهم بالأسلحـة أو بـالمال أو الإحتفـاظ بهم كورقـة تُلعب في اللحظة المنـاسبة . لكن وبحلول عـام ١٩٩١ صارت هـذه الـورقـة دون أيـة قيمـة تذكر . فالغرب وبكل بساطة ، لم يعد راغباً في المبادلـة . في الماضي عندما كان قادة الغرب يـدعون أن ليس هنـاك صفقات كان حزب الله يبتسم . فلقد شهدوا قدوم الوسـطاء والسياسيين والمبعوثين إلى أبوابهم . وكان الغرب يتكلم بلهجـة قاسيـة ثم يبـادل . لكن الخاطفين أدركـوا أنَّ مناخـاً بـارداً بـدأ يسـود في العـواصم الغربيـة : فصحيح أن الحكـومات مـا زالت تـطالب بعـودة الـرهـائن ولكنهـا كـانت مستعـدة للصبـر إذا كـان ذلـك ضـرورياً كـان الخاطفـون يعرفـون أن عـرّابيهم في إيـران وفي سـوريا يسعـون إلى إنهاء الأزمـة . وقد مـارسوا ضغـطاً عليهم لإنهاء القضية بأفضل ما يمكن .

وقبل إطلاق سـراح الرهـائن طلب الخاطفـون ضمانـات بـأن لا تلاحقهم أجهـزة الاستخبارات الغـربية وحلفـاؤها بعـد إنتهاء القضية . وكانوا متخوفين من أن تسعى وكالة المخابرات المركزية الأميركيـة الى الإنتقام لمقتـل وليم بكلي رئيس محطة الـوكالـة في بيروت والـذي مات في الأسـر . لقـد بـاتـوا دون رهائن ، معرّضين للخـطر . وفي مباحثـاتهم مع مبعـوث الأمم المتحدة جياندومينكو بيكو طلبوا ضمـانات لحمـايتهم في حال إطلاق سراح الرهائن . فلم يستـطع مبعوث الأمم المتحـدة أن

يقدم هذا الضمـان . ولكن الولايـات المتحدة وعـدت سوريـا وإيـران بشكـل خـاص ، بـأنـه لن تكـون هنـاك مـلاحقـات أو عقـوبـات ، ومهمـا كـانت الآثـار والعـواقب فقــد أقفـل ملف الرهائن .

أمـا الخاطفـون فكان لهم شـرطٌ واحد : كـانوا يـريدون إطـلاق سراح مجمـوعة من السجنـاء الشيعة تعتقلهم السلطات الإسـرائيلية وحليفهـا جيش لبنان الجنـوبي . وكانت إسـرائيـل تعتبـر هؤلاء المئـات من الـرجـال سجنــاء وإرهـابيين مــع أن معـظمهم لم يخضـع للمحـاكمـة . ورأى محتجـزو الـرهـائن الغربيين أن حرية أولئك الناس هي آخر مكـافأة قبـل أن يعودوا إلي حياتهم الدنيوية في أزقـة بيروت الغـربية . ولـم يكن ذلـك لأنّ السجناء الشيعة كانوا رفاقاً لمقاتلي حزب الله فحسب ، بل أراد خاطفو الرهائن أن تدين لهم الطائفـة الشيعية لـدورهم في فرض الإفراج عن أقاربهم كما كان ذلك نوعاً من الحماية .

وهكـذا وفي فتـرة أشهـر ظهـرت الصفقـة التي تضمنت إيـران وسـوريـا وإسـرائيــل وحـزب الله بــوسـاطــة من الأمم المتحـدة . فلقد إنتهت أزمـة الـرهـائن دون بيـع صـواريـخ أو وسطاء في الظل ، بل دون وساطة مبعوثين شجعـان للكنيسة ، وبوساطة مسؤول رسمي من الأمم المتحدة يمـارس دبلوماسيـة هـادئة . فقـد بدأت المبـاحثـات في أوائـل الصيف وأدت الى إطلاق سراح جـون مكارثي وجـاكي مان وجسي تـورنر ، كمـا أفرج الإسرائيليون عن ستة وستين سجيناً شيعياً أما إسرائيل فقد

تسلمت بالمقابل أنباءً عن بعض جنودها المفقـودين وعن جثث القتلى . ومـع أن الافـراج أحيط بـالصمت فقـد إستمـرت العمليـة . ولم تكن الإتفاقيـة التي عقدت بعـد إجتماعـات في فرنسا وتركيا دقيقة في نواياها فقط بل حددت مـواعيد للمـرحلة التالية من الإفراج . فشددت إيران على التقيد بالجدول الزمني حتى عندما حاول الخاطفـون إعادة المفـاوضات حـول الصفقة بكاملها كما كانوا يفعلون عند كل عملية إفراج .

وفي الأسبـوع الثالث من شهـر تشرين الثـاني / نـوفمبـر ١٩٩١ أزيل أحد آخر العقبات أمام إنهاء أزمـة الرهـائن : كان ذلـك يتضمن تفجير طـائرة « بـان أميركـان » فـوق لـوكـربي . فـأعلنت الشرطـة الاسكتلنديـة ووزارة العدل الأميـركيـة أنهمـا تبحثان عن ضابطي مخابرات ليبين لهما علاقة بالتفجير .

لقد استبعد تورط سوريا وإيران ، وقال المسؤولون أنهم لم يعثروا على أي دليل يربط هاتين الدولتين بالتفجيـر . وشك أقارب ضحايا الانفجار بذلك . لقـد قيل لهم بـأن إيران أرادت أن تنتقم لضحـايا طـائرة الإيـربـاص التي أسقـطتهـا البحـريـة الأميركية وانها كلفت الجبهة الشعبية لتحريـر فلسطين ـ القيـادة العامة بهذه المهمة . وكان مقر هذه الجبهة في دمشق وقـد عثر على قنابل وأجهزة بارومترية ، يمكنهـا تفجير الـطائرات ، مـع فـريق من الجبهة المـذكورة في ألمـانيا وذلـك قبل أسـابيع من تفجير طائرة « البان أميركان » لكن الولايات المتحدة وبريـطانيا استبعدتا سوريا من أية علاقة بالتفجير . ومهما تكن الحقيقـة ،

فقد تخلصت سوريا وإيران من وصمـة الإرهاب . وخـلال أيام أفرج عن المزيد من الرهائن .

كـان يفترض دائمـاً أنّ تيري وايت سيكـون آخـر رهينـة يفرج عنه فهو أهم الرهـائن ومركـزه مرمـوق . لكن وفجأة وفي ١٨ تشرين الثاني / نوفمبر أصـدرت منظمـة الجهاد الاسـلامي بياناً تقـول فيه : « من أجـل إكمال مـا بدأنـاه مع الأمين العـام لـلأمم المتحـدة بيـريـز ديكــويليـار نعلن عن إطــلاق سـراح تيري وايت وتومـاس سذرلانـد . وقد أرفقت بـالرسـالة صـورة قديمة لتيري أندرسون بالأسود والأبيض . وبعد ثلاث ساعـات وبعد ما أمضى ألفاً وسبعمائة وثلاثة وستين يوماً في الأسر أفـرج عن تيري وايت .

في ذلك المساء ظهـر مجدداً أمـام العالم في مبنى وزارة الخـارجية السـورية وكـان ذلك جـزءاً من طقوس الإفـراج عن الرهائن بأن تتلقى سوريـا الشكر على دورهـا في إنهاء كـابوس رجل آخر .

ومثل بقية الـرهائن الـذين حرروا قبله ، كـان وايت أشد نحـولاً ، شـاحب الـوجـه من جـراء السنين التي أمضـاهـا في الظلام . كان صوته ضعيفاً وكان يسعل مراراً ، لكنه كان يتكلم بوقار واحترام . فذكر كيف سمع عن قرب الإفراج عنه : « بعد ظهـر اليوم عنـدما كنـا نجلس في الزنـزانـة ونحن مقيـدون الى الحـائط كما كنـا في السنوات الخمس المـاضية . . . حضـر

أحد الخاطفين وأخبرنا أنـه سيتم الإفراج عني وعن تـوم ، هذا المساء » .

حاول الخاطف أن يعتذر له عن عدم عدالة إحتجازه وهو نوع من الندم قيل من قبل لـلأب جنكو . قـال لوايت : « نحن نعتذر عن إحتجازك . لقد أدركنا الآن أن هذا عمل خـاطىء . إن احتجاز الرهائن لا يحقق أي هدف مفيـد » . ولم يقل وايت وسذرلاند ما فعلاه تجـاه هذا الإعتـراف العلني بالخـطأ . فقد رحّبا بحريتهما وتجاهلا سخرية الحراس .

إذا أغمضت عينيـك وأصغيت الى تيري وايت تشعـر أنه كان غائباً لمدة أسابيع معدودة . لقد عاد مرة أخـرى : وها هـو يتكلم أمام وسائل الإعلام العالمية حاملاً معه أنباء إقفـال فصل الرهائن . وعنـدها وجـه نداءً وبصـوت مجبول بـالعاطفـة تجاه الرهائن المحتجزين في المنطقة . لقد كان نداءً عاماً لكنه كان مـوجهاً إلى إسـرائيل : « جميـع الرهـائن يلتمسون من أولئـك الـذين يحتجزون أنـاساً في جنـوب لبنان ، أشخـاصـاً بـريئين محتجـزين رهـائن . يلتمسـون إطـلاق سـراحهم في القـريب العـاجل لـوضع حـدّ للإرهـاب وللعثـور على وسـائـل سلميـة وإنسـانيـة ، متحضـرة لحـلّ المشـاكـل المعقـدة في الشـرق الأوسط » . كـان صوتـه يعبّر عن ألم وكـرب خلفتهما سنـوات خمس مليئة بالرعب . ولو كان الخاطفـون يصغون إليـه لتأملوا كيف كـان وايت سيتحـدث عن مـظالمهم لـو لم يحـرمـوه من حريته .

وعندما تكلم زميله توماس سذرلاند إرتـاح وايت وكشف أن مـرحـهُ لازمـه في محنتـه . وعلى سبيــل المـرح ، إشتكى سـذرلاند من الـوقت الـطويـل الـذي أمضـاه وايت كي يـطلق سـراحه : « هنـاك شيء أستطيـع أن أقولـه هو أن البـريـطانيين يمضـون وقتاً طـويلاً لإنهـاء أعمالهم . لقـد حضر تيـري وايت لينقذني وها هو الآن بعد خمس سنوات يأخذني الى منزلي » .

كان تيري وايت رجل إيمان وصدق . كان حـريصاً على الأسرار التي يفضل البعض عدم البوح بها . لقد شـاهد أميـركا تتاجر في بازار الرهـائن . وكان إحتجـازه مأسـاة غير ضـرورية ناشئة عن سياسة خاطئة . فإذا كان هنـاك أي أمل في التخلص من محنته المزعجة فإنه يكمن في كرامة عودته .

وقف في قاعدة لينهـام تحت أجنحة طـائرة نقـل من نوع هيركوليس كـانت قد إنتشـرت في حرب الخليـج وهي الحرب التي سـاعدت على إطـلاق سراحـه . وأخبر عن قصـةٍ من أيام الإحتجاز حول بصيص أمل في حياته البائسـة : ذات يوم قـدَّم له أحد الحـراس بطاقـة بريـدية عليهـا صورة شبـاك في مدينـة بدفورد تعلو زجاجه الأوسـاخ وتعبّر عن جـون بونـايان وهـو في السجن .

قال وايت : « ونظرت إلى البطاقة وفكـرت : بونـايان ، أنت رفيق محـظوظ . لـديـك شبـاك تنـظر من خـلالــه وتـرى السماء . ها أنا في غرفة مظلمة . لديـك قلم وحبر ، يمكنـك

أن تكتب لكن ها أنا لا أملك شيئاً وأنت لديك ثيابك وطاولة وكرسي » .

« عندها قلبت البطاقة ووجدت أنها رسالة من شخص لا أعرفه تقول : نحن نتذكر . نحن لا ننسى . نحن سوف نستمر بالصلاة لأجلك وبالعمل من أجل جميع المحتجزين في جميع أنحاء العالم » .

كانت هذه الكلمات بمثابة دم الحياة وهو يسري في عروق الأسر .

فقبل أيام من اطلاق سراحه ، كان أوليفر نورث يتحدث عما فعله . قال : « ان المحاولات التي أسهمت بها كانت مليئة بالأخطار . لكني أعتقد أن الأهداف كانت نبيلة » . ففي السعي لتحرير الرهائن كان هناك ثمن تدفعه مقابل كل خطأ . انتهى بتيري وايت الى حالة سكون فاتر : « كنّا نقيّد بالحائط في السنوات الخمس الأخيرة لمدة ثلاث وعشرين ساعة وخمسين دقيقة يومياً » .

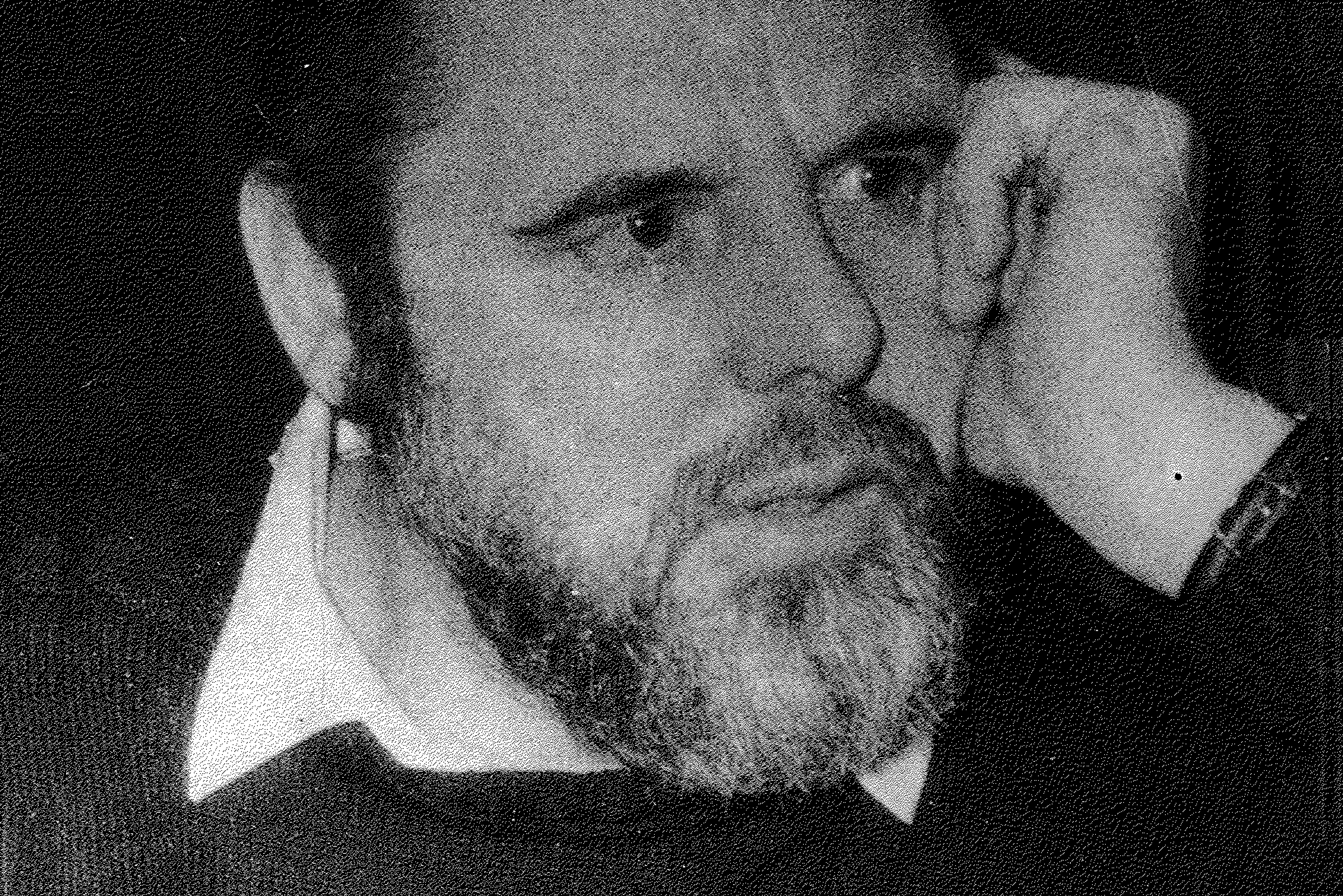
لم يكن نورث نادماً على استخدامه تيري وايت . فعندما تحدّاه البعض عما إذا كان يشعر بأي ذنب تجاه تيري وايت أجاب : « ذنب ؟ إن لي مشكلة صعبة مع هذه الكلمة » . كان ذلك صحيحاً بالطبع لأنه في عالم أوليفر نورث هناك أولوية لمصالح أميركا . لقد مكنته من أن يكذب ويخدع دون ندم .

قال نورث أنه لم يخبّر وايت بتبادل الأسلحة بالرهائن :

« لم يعــرف ذلـك أبــداً » لكن ذلـك طبعــاً كــان جــزءاً من المشكلة . كان ذلك له معنى في أية عملية خفية . وقـد أصبح موضع جدل عندما تعرض مبعـوث الكنيسة لـلإحتجاز . وبعـد تفكيـر ، تنازل نـورث وقال إن بعض مـا قام بـه كان « أقـل من المطلوب » . لقد أقنع نفسه أن تيري وايت كان يريد المساعدة بطريقة « نكران الذات » . وفي قاموس نورث إن نكران الذات يعني أن الجندي مستعدّ للتضحيـة بنفسه . وتحـدث عن رغبة وايت في إكمال مهمته وقال عنها « إنها شيء جميل » لقـد كان يـرى أن المسيحية في حـالة حـرب وان الغايـة تبرر الـوسيلة . وقبل ثلاثـة أسابيـع من الإفراج عن تيـري وايت كان نـورث قد قـال انه كـان يتـطلع قـدمـاً لتجـديـد صـداقتـه مـع المبعـوث الإنكليزي . ولو نـظر أحد الى وجهـه لكشف قليلاً من الشـك في أن صداقته يمكن أن تنقلب ، لكن لم يكن هنـاك أحد . . كان وايت « مفقوداً أثناء العمل » . قال نورث : « أنـا أتمنى لو كان باستطاعتي أن أمنعه من العودة الى بيروت » . وبعـد ذلك لا آسف على شيء .

الفهرس

TERRY WAITE



THE UNTOLD STORY OF
THE KIDNAPPING-
AND THE RELEASE

GAVIN HEWITT

DAR AL-HADI
Beirut - Lebanon